

(( الاسطول العربي ))  
منذ فجر الاسلام حتى اواخر عهد المماليك

\*\*\*\*\*

رسالة قدمت الى دائرة التاريخ العربي  
في كلية العلوم والاداب بجامعة بيروت الاميركية  
لنيل شهادة استاذ في العلوم

بقلم  
رفيق المهابني

بيروت في ٦ آذار سنة ١٩٤٢ ميلادية



## آ توطئة للبحث

لقد تعجب الكثيرون عندما سمعوا اني اكتب عن " الأطول العربي " وما اكتر الأسئلة التي عرضت علي " اصحيح ان للعرب اسطولا ؟ " وما هو ذاك الأطول الذي كان عند العرب " ولو ان هذه الأسئلة صدرت عن جماعات غير مثقفين لما نوهت بهما ولكن الكثيرين من الدارسين دراسات عالیه كانوا يعجبون عند ما تطرق آذانهم كلمة " الأطول العربي " لاغرابة في ذلك لأن ما كتبني هذه الناحية - سواء في الأزمنة القديمة ام في العصر الحاضر قليل جدا . وان الذين تعرضوا لهذا الموضوع كانوا يسمون به عرضا ومضهم كان يلف هنيئة فيمتسح فيكتب فضلا لا يعجاوز بنوع صفحات وهذا لا شك غير كاف لاقتناع القارئ بوجود ذاك الأطول الذي يتوخاه عند رؤية هذا العنوان الضخم " الأطول العربي " اننا اليوم في آونة حرب عنيفة طاحنة قائمة بين الدول العظمى في العالم وكل يوم نسبح باهمية الأساطيل عند ذلك الدول الصاربة ومالها من القامهرات في احرار النصر والتفوق على الآخرين فاذا سمع انسان كلمة " الأطول العربي " يتبادر لذهنه حالا احدى هذه الأساطيل العالمية الموجودة الآن في الشرق او الغرب ويقارن هذه الأساطيل بالأطول العربي القديم دون ان يعلم ان المقارنة يجب ان تكون بين عيشتين في زمنين متقاربين . لذلك اذا ماخطر لنا تقدير قيمة الأطول العربي يجب علينا مقارنة مع اساطيل الدول التي كانت في الأيام القاهرة لامع اساطيل هذه الأيام .

ان الفاية من دراسة الأطول العربي هي الكشف عن هذه الناحية الهامة من تاريخنا المجيد لمعرفة ما قام به اجدادنا العرب من ما ~~كان~~ ما ~~كان~~ في الأعمال البحرية وفي خدمة الأساطيل ليكون لنا معرفة بماضينا اللامع لنهني على اركانه اساس نهضتنا الحاضرة . وقد حاولت في دراسة هذا الموضوع ان اورد ما كتبه المؤرخون القدماء في ضاعف كتبهم عن الأطول وكان جل عملي في جمع تلك المادة المبعثرة في دنيا المصادر الأولية وتنسيقها وترتيبها في اباحات مبنية منظمه وصوغها بأسلوب يتفهمه القارئ وعرضها عرضا علميا موضوعيا لا يمتدحى الى الخيال العربي او العنشق الأدبي بل هي الحقيقة التي ذكرها المؤرخون القدماء ووصفوها في كتبهم .

اني على يقين ان هناك كتب كثيرة فادني قراءتها لأن بعضها مخطوط لم ينشر بعد وبعضها مخزون مخبأ في زوايا المكاتب التي لا يستطيع ايدي العلماء الوصول اليها . وكتب اخرى لم اتوصل اليها لعدم وجودها في مكتبة الجامعة الأميركية او ما يجاورها من المكتب الهامة الأخرى . وان ما قمت به في دراساتي للأطول ما هو الا خطوة أولى للكشف عن هذه الناحية الهامة في حياتنا العلمية والقومية يستطيع متابعيها من اراد التعمق والتوسع فيها في المستقبل . وفيما يلي لا نعرض للمصادر الأولية والثانوية التي اعتمدتها في دراسة هذا الموضوع وقد وضعها رتبتي الأولية منها بحسب أهمية مؤلفيها ونسبتا القانونية بحسب قدم طبعها وذكرت علاوة عن ذلك مكان طبعها وزمنه ومن اهم بنشرها ليسهل على الباحث الراغب في الاطلاع والتوسع في الموضوع الوصول الى تلك المصادر على الوجه الصحيح .



ب  
- لائحة المصادر -

المصادر الأولية

- فتوح البلدان = احمد بن يحيى بن جابر البغدادي الشيبلي بالبغداد توفي سنة ٢٧٩ هـ ٨٩٢ م - كتاب فتوح البلدان  
الطبعة الأولى مطبعة الموسوعات بمصر ٠ سنة ١٣١٩ هـ ١٩٠١ م
- سلسلة التواريخ = سليمان العاجر - وابو زيد حسن السهرافي ٠ من القرن الثالث الهجري - سلسلة التواريخ  
دار الطباعة السلطانية بباريس سنة ١٨١١ م - ترجمه ونشرة  
M. Reinaud
- عجايب الهند = بنوك بن عريار النخداة الروم هرمزي من اهل القرن الثالث الهجري - عجائب الهند برة وجر  
الطبعة الاولى بمطبعة السعادة بمصر سنة ١٣٣٦ هـ ١٩٠٨ م
- الصالك = ابو القاسم عميد الله بن عبد الله بن خرداذبه - توفي حوالي سنة ٤٠٠ هـ ٩١٢ م - الصالك والمجا  
لك طبع بمدينة لندن بمطبعة بريل سنة ١٣٠٦ هـ
- حولج الطبري = ابو جعفر محمد بن جرير الطبري - ٤١٠ هـ ٩٢٢ م - تاريخ الرسل والملوك نشره ديغويه في مطبعة  
بريل سنة ١٩٠١ م
- الاصطوري = ابو اسحاق ابراهيم بن محمد الفارسي الاصطوري - سنه ٤٧٥ هـ ٩٨٥ م - صالك الصالك نشره  
ديغويه ودوزي في لندن سنة ١٩٠٦ م
- مروج = ابو الحسن علي بن السنين بن علي السمودي - توفي سنة ٤٦٩ هـ ٩٥٧ م - مروج الذهب ومعادن الج  
طبع بدار الرجا ٠ بمصر سنة ١٣٥٧ هـ
- صورة الأرض = ابو القاسم بن حوقل النخعي ٤٦٧ هـ ٩٧٧ م - صورة الأرض - طبع بمدينة لندن بمطبعة بريل  
سنة ١٩٣٩ م
- احسن التقاسيم = ابو عبد الله محمد بن احمد بن ابي بكر الهنا المقدسي - سنه ٤٧٥ هـ ٩٨٥ م - احسن  
التقاسيم في معرفة الاقاليم نشره ديغويه ودوزي في لندن سنة ١٩٠٦ م
- زهر الآداب = ابو اسحاق الحصري الفيرواني - ٤٥٣ هـ ١٠٦١ م - زهر الآداب ومنه الالهاب - نشره الدكتور زكي  
مبارك المطبعة الرحمانية بمصر سنة ١٣٠٢ هـ
- الافريسي = ابو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن ابراهيم الصقلي - ٥٦٠ هـ ١١٦٤ م - سنه المشرق في  
اخبار القباي نشره ديغويه ودوزي في مدينة لندن بمطبعة بريل سنة ١٨٦٦ م
- قوانين = عرف الدين ابي المكارم بن ساعي - سنة ٥٦٠ هـ ١٢٠٩ م - قوانين الدواوين مطبعة ادارة الوطن بمصر  
سنة ١٣٢٩ هـ
- رحلة ابن جبير = ابو الحسين محمد بن جبير الاندلسي - ٦١٤ هـ ١٢١٧ م - رحلة ابن جبير مطبعة السعادة بمصر سنة  
١٣٣٦ هـ ١٩٠٨ م



- معجم البلدان = ابو عبد الله ياقوت الرومي الحموي - ١٢٢٦ هـ ١٢٢٨ م - معجم البلدان الطبعة الاولى بمطبعة السادة بمصر سنة ١٣٢٤ هـ ١٩٠٦ م
- المعجم الكامل = ابو الحسن علي بن ابي الكرم المعروف بابن الاثير - ١٢٣٢ هـ ١٣٣٤ م - الكامل في التاريخ المطبعة الكبرى بمصر سنة ١٢٩٠ هـ
- سيرة صلاح الدين = بهاء الدين المعروف بابن عداد - ١٢٣٢ هـ ١٣٣٤ م - سيرة صلاح الدين الايوبي السادة بالنوادر السلطانية والمعائن الميمنية مطبعة المؤيد بمصر سنة ١٣٢٧ هـ
- المختصر = الملك المؤيد عماد الدين اسماعيل ابي القدا - ١٢٣٢ هـ ١٣٣١ م - المختصر في اخبار البشر المطبعة الصنيعة المصرية سنة ١٣٢٥ هـ
- رحلة ابن بطوطة = ابو عبد الله محمد بن عبد الله المعروف بابن بطوطة - ١٢٧٧ هـ ١٣٧٧ م - حكمة النظائر في غرائب الانصار وعجائب الآثار المطبعة الخيرية بمصر سنة ١٣٢٢ هـ
- العبور وكثرة = عبد الرحمن بن خلدون المغربي - ٨٠٨ هـ ١٤٠٥ م - كتاب العبور ودوران المبتدأ والخبر في ايام العرب والعجم والبربر دار الطباعة الخديوية بولاق سنة ١٢٨٤ هـ
- صبح الاقشي = ابو العباس احمد الدلقشندى - ٨٢١ هـ ١٤١٨ م - صبح الاقشي المطبعة الاميرية بالقاهرة سنة ١٣٣٣ هـ
- تاريخ بيروت = صالح بن يحيى - ٨٤٠ هـ ١٤٣٩ م - تاريخ بيروت نشره الأب شيخ المطبعة القانية المطبعة الكاثوليكية ببيروت سنة ١٩٢٢ م
- الخط = فتي الدين احمد بن علي المقرئ - ٨٤٥ هـ ١٤٤١ م - كتاب الخط والآثار في مصر والقاهرة جزئين بولاق سنة ١٢٧٠ هـ
- الملوك = المقرئ كتاب الملوك في معرفة بدول الملوك ترجمه Quatremère: Histoire des Sultans Mamlouks de l'Egypte. Paris, 1845
- النجوم = ابو الحسن يوسف بن تفرى بردى الاغاكى - ٨٧٤ هـ ١٤٦٩ م - النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة نشره وليام بيبير مطبعة جامعة كاليفورنيا سنة ١٩٣٢ م
- حوادث = ابو الحسن يوسف بن تفرى بردى - حوادث الدهود في مدي الايام والشهود نشره وليام بيبير مطبعة جامعة كاليفورنيا سنة ١٩٣١ م
- الروض = طه الجيادى ابن عبد المنعم الحميرى - ٩٠٠ هـ ١٤٩٤ م - طه جزيرة الاندلس منتخبة من كتاب الروض الصغار مطبعة لجنة التأليف والنشر القاهرة سنة ١٩٣٧ م نشره لاهوتى بروفنصل
- بدائع الزهور = محمد بن احمد بن اياس - ٩٣٠ هـ ١٥٢٣ م - بدائع الزهور في وفاق الدهود الطبعة الاولى بولاق مصر سنة ١٣١٢ هـ



- الفوائد = عهاب الدين احمد بن ماجه - ٨٩٠٠ م ١٤٩٤ م كتاب الفوائد في اصول البحر والقواعد نشره فرائد في  
باريز سنة ١٩٣٣ م
- العمدة المهرية = سليمان المهرى توفي حوالي سنة ٨٩٦١ م ١٥٥٣ م العمدة المهرية في ضبط العلوم البحرية نشره فرائد  
في باريز سنة ١٩٣٥ م
- الف ليلة = الف ليلة وليلة الطبعة الثانية المطبعة الكاثوليكية في بيروت سنة ١٩٠٩ م
- العرف = كتاب للعرف الطيبي شرح ديوان أبي الطيب نشره الشيخ ناصيف الباشا المطبعة الادبية بيروت سنة ١٣٠٥
- ديوان ابي نولي = ديوان ابي نواس شرحه محمود واصف الطبعة الاولى المطبعة العمومية بمصر سنة ١٨٩٨ م
- ديوان ابن الرومي = ديوان ابن الرومي اختيار وتصنيف كامل كيلاني مطبعة التوفيق الادبية بمصر سنة ١٩٢٤ م
- 
- المصادر العربية الثانوية
- دائرة المعارف = الهستاني دائرة المعارف المطبعة الادبية في بيروت سنة ١٨٨٧ م ١٣٠٥ م
- حقائق الاخبار = الميرالاي اسماعيل سرهنگ حقايق الاخبار عن قول البحار الطبعة الاولى المطبعة الاميرية بولاق ١٣١٢ م
- العمد = جرجي زيدان تاريخ التمدن الاسلامي الطبعة الثالثة مطبعة الهلال مصر سنة ١٩٣٢ م
- خزائن العرب = عبد الرحمن الهرقوفي خزائن العرب في الاندلس المكتبة التجارية مصر سنة ١٣٤١ م ١٩٣٣ م
- خط الشام = محمد كرد علي خط الشام مطبعة العربي بدمشق سنة ١٣٤٦ م ١٩٣٧ م
- معاوية = عمر ابو النصر معاوية بن ابي نحيان المطبعة الوطنية بيروت سنة ١٣٥٥ م ١٩٣٦ م
- ميهوس = محمد جمال مرود الظاهر بميهوس وخزائن مصر في عصره مطبعة دار الكتب القاهرة ١٩٣٨ م
- النظم الاسلامية = حسن ابراهيم حسن وعلي ابراهيم حسن النظم الاسلامية الطبعة الاولى مكتبة النهضة المصرية مصر ١٣٥٨ م
- الضارة الاسلامية = ادم معز الضارة الاسلامية في القرون الاربعة الهجرية ترجمه ابو ريده مطبعة لجنة التأليف والترجمة  
والنشر القاهرة ١٣٥٩ م ١٩٤٠ م
- 
- المجلات
- المقتطف = المقتطف مجلد ١٩ ج ٥ غباط سنة ١٨٩٢ م " مدينة عذاب وصراوها "
- = المقتطف مجلد ٦٣ ج ٤ سنة ١٩٣٣ م " مقالة امين الخولي - الاسلحة النارية في الجيوش الاسلامية "
- مجلة الجامعة المصرية = الجامعة المصرية مجلة كلية الادب المجلد الاول الجزء الاول سنة ١٩٣٣ م
- العراق الجديد = مجلتي العراق الجديد العدد الاول السنة الاولى سنة ١٩٣٩ م " مقالة جواد الطائي الطول العربي الذي "



## المعاجم والكعب المساعدة

- لسان العرب = ابو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور ٧١١ هـ ١٣١١ م - لسان العرب الطبعة الاولى  
بالمطبعة الكبرى ببولاق سنة ١٣٠٠ هـ
- تاج العروس = معبد الدين ابي الفتح الواسطي الزبيدي - تاج العروس من جواهر القاموس الطبعة الاولى في  
المطبعة الخيرية بمصر سنة ١٣٠٦ هـ
- المعيط = بطرس البستاني معيط المعيط طبع في بيروت سنة ١٢٨٦ هـ ١٨٧٠ م
- ملحق دوزي = R. Dozy: Supplément aux Dictionnaires Arabes. Leyde, Brill 1881
- الالفاظ الفارسية = السيد ادي شير كتاب الالفاظ الفارسية العربية المطبعة الكاثوليكية بيروت سنة ١٩٠٨ م
- سركيس = مصمم المطبوعات العربية والعربية مطبعة سركيس بمصر سنة ١٢٦٧ هـ ١٩٢٨ م
- Lane-Poole. The Mohammadan Dynasties. London 1894
- E. Mabler vergleichungs-Tabellen. Leipzig 1926.

## المصادر الأجنبية الثانوية

- H. Coppée. History of the Conquest of Spain by The Arabs-Moors. Boston 1881
- W. Heyd. Histoire du Commerce du Levant au Moyen-Age. Trans. par F. Raynaud Leipzig 1886
- H. Lammens. Remarques sur les Mots Français dérivés de l'Arabe. Beyrouth 1890
- Scott. History of the Moorish Empire in Europe. Philadelphia 1904
- N. Barnaby: Naval Development in the Century. London 1904
- Chau-Ju-Kua : Chu-Fan-Chi, on the Chinese and Arab Trade in twelfth and thirteenth Centuries. Trans. from the Chinese annotated by F. Hirth and W. Rockhill, St. Petersburg 1911
- Von Kremer. The Orient under the Caliphs, trans. by Bukhah. University of Calcutta 1920
- Becker: Cambridge. Med. Hist. Cambridge University 1923 Vol. II
- Brooks. Camb. Med. Hist. Vol. IV.



The Travels of Marco Polo. Revised from Marsden's. Marco Polo. Trans.  
by M. Komroff. New-York 1928

رحلة ماركو بولو

G. Ferrand. Introduction à l'Astronomie Nautique Arabe. Paris 1928  
Ferrand

Van Berchem: Corpus inscriptionum Arabicarum 1e. Pt. Egypt. Tome 2e  
Caire 1930

Corpus

Ph. K. Hitti, History of the Arabs. London 1937

تاريخ العرب

Nallino. Encyclopaedia of Islam "Asturlab".

الموسوعة الإسلامية

D. Hannay: Encyclopaedia Britannica 11th. Ed.

"Navy"

الموسوعة البريطانية



مناهج البحث

رقم الصفحة	
٢	نوطقة للبحث
ب	لائحة المصادر
ز	مناهج البحث
١٧	تعريف الاسطول
٣	عماره
٤	صورة الاسطول
٧	الباب الاول
	انواع المراكب
٧٧	الفصل الاول
	المراكب العامة
	المفينة - المركب - سورة عامة عن المراكب التجارية - القطعة .
١٧	الفصل الثاني
	انواع المراكب الحربية
	الحراقة - البسوة - الطريدة - البارجة - الجفنة - الشندون - المصطح -
	الغراب - البطسة - الحمامات حربي - غنيم .
٤٣	الفصل الثالث
	انواع المراكب البحرية المصافة لقطع الاسطول
	عشار - قرقور - زوز - قارب - جلبه - سنبون .
٦١	الباب الثاني
	معدات الاسطول
٦٢	الفصل الاول
	المعدات الحربية التي تصاف الى المراكب
	المنجنيق - المراده - الجرج - الاحجار - قوارير النفط - القدور - الزرافة
	النار اليونانية - ثياب الفاطين - ستائر المراكب - مكاحل البارود - القوس -
	النبل - الحمام الزاجل - نار المخابرات - الاعلام - الفانوس - الابراج -
	القلاع - التوابيت - الاسطام - اللجام - الحبال - الكلاب - السلام .



الفصل الثاني	٩٨٧
وسائل اجراء المراكب	
الابرة المغناطيسية - الاسطولا - الرهناج - المجاذف - الشراع - المرساة .	
الباب الثالث	١١٣
دار الصناعة	
الفصل الاول	١١٤٧
المواد المستعملة في بناء الاسطول	
الخشب - الحديد - القار	
الفصل الثاني	١٢٤٧
كيفية صنع المراكب	
المراكب المصارية - المراكب المصممة .	
الفصل الثالث	١٢٨
مراكز دور الصناعة	
المبحث الاول	١٢٨٧
مراكز الصناعة في بلاد الشام	
هكا - صور - بيروت - طرابلس - حيفا .	
المبحث الثاني	١٣٠٧
مراكز الصناعة بمصر	
اسكندرية - دمياط - جزيرة الروضة - صناعة مصر - القس - بولاق - الجزيرة الوسطى - الرشيد - السويس .	
المبحث الثالث	١٣٨٧
مراكز الصناعة في التريفة	
تونس - بجاية - مكنة - طنجة - ولاء .	
المبحث الرابع	١٤٠٧
مراكز الصناعة في الاندلس	
الجزيرة الخضراء - مالقة - المرية - النكب - لقنت - دانية - طرطوشة - اريونه	
القصر - قرمونه - شلطةس - شلب - شفتنريه .	



المبحث الخامس	١٤٣ ✓
مراكز الصناعة في صقلية	
الخالصة — مينة — بلم .	
خاتمة الباب	١٤٣
اهتمام الخلفاء والسلاطين بامر دور الصناعة .	
الباب الرابع	١٤٦
قيادة الاسطول	
الفصل الاول	١٤٩ ✓
رتب البحرية	
امير البحر — الرئيس ، القائد او التقدم — الغواص .	
الفصل الثاني	١٥٥
مشاهير رجال الاسطول العربي	
الفصل الثالث	١٥٩ ✓
صفات الريان او الرئيس — والقائد	
الباب الخامس	١٦٥ ✓
ادارة الاسطول	
الفصل الاول	١٦٦
ديوان الاسطول زمن الامويين .	
الفصل الثاني	١٧١
تجمع مراكب الاسطول قبل الغزو	
الفصل الثالث	١٧٢ ✓
عدد مراكب الاسطول في مختلف الدول العربية	
الفصل الرابع	١٧٥ ✓
اجور البحرية	
الفصل الخامس	١٧٧ ✓
تحصين السواحل في مختلف الادوار العربية	
تحصين السواحل زمن الخلفاء الراشدين والامويين — الحباسيين — الطولونيين —	
الفاطميين — الامويين — المالكيين — في افريقية والاندلس .	



رقم الصفحة	
١٨٢	الفصل السادس
	وداع الاسطول عند ذهابه للغزو وعودته منه
١٩٣	الباب السادس
	مطالب الاسطول الحربية
١٩٣	الفصل الاول
	غزوات الاسطول في زمن الخلفاء الراشدين
٢٠٠	الفصل الثاني
	غزوات الاسطول في زمن الامويين
٢٠٦	الفصل الثالث
	غزوات الاسطول في زمن العباسيين
٢١١	الفصل الرابع غزوات الاسطول في زمن الفاطميين
٢١٤	الفصل الخامس
	غزوات الاسطول ايام الدولة الزيرية
٢١٧	الفصل السادس
	غزوات الاسطول الاندلسي
٢١٩	الفصل السابع
	غزوات الاسطول في زمن الايربيين
٢٢٦	الفصل الثامن
	غزوات الاسطول في زمن السليكيين



## تعريف الأسطول

ان كلمة " الأسطول " مأخوذة من اللفظ اليوناني (stoly) و stolon هو اسم رداء طويل كانت نساء الرومان يلبسنه وهو شبه بدلع المركب ويجمع ابن خلدون كلمة اسطول على اساطيل فهو يقول " وكان قاء الأساطيل بالاندلس ابن رماح " ٢ وسبقت الأساطيل الى الجزائر فملكوها " ٣ واتصل به ان العدو اوعز الى اساطيله . . . واستدعى اساطيله " ٤ وركب اساطيله الى تونس . . . ثم نالت الأساطيل بمرسى قرطاج " ٥

وقد تطور معنى هذه الكلمة في خلال العصور فقد كانت في القديم تطلق على انواع المراكب الحربية فحسب يقول ابن خرداذبه في تعريف " ومقدار ما ينفذ في الفزاة من مراكب الفخود الثاميه ما يجتمع منها الأسطول كما يسمى ما يجتمع من الجيوش في البر كالكلكل المعسكر " ٦

اذن الأسطول اسم يدل على مجموع المراكب الحربية التي تجتمع للفتوح والقتال في البر . ويؤيد هذا القول ايضا ما ذكره المسعودي في كتاب القنبيه والأعراف في معنى الأسطول يقول " انها كلمة رومية وهي سنة للمراكب الحربية المجتمعه " ٧ ويعرف الطبريزي الأسطول بقوله " المراكب الحربية يقال لها اسطول ولا احب هذا اللفظ عربيا " ٨ واما ابن خلدون فيطلق كلمة اسطول على المراكب الحربية على اختلاف الأغراض الحربية التي تستعمل فيها فتارة تستعمل لعدل على المراكب التي تعمل الرجال والمقاتله كما يدل القول الآتي " وفي سنة ( ٥٨٥ ) طفر العدو بجزيرة مبيدته وركب اليها طاغية برشاونة اساطيله في عشرين الفا من الرجال المقاتله ومروا بمبيدته كل تعلم بحر من البحار " ٩ وحينئذ تستعمل لعدل على مجموع مراكب قطر من الأتطار يقول " انتهى اسطول الأندلس في زمن عبد الرحمن الناصر الى مثنى مركب " ١٠ وتارة تستعمل لعدل على المراكب التي تنقل الميرة او تسفن الرجال والذخيرة يقول " وصل اسطول مصر بالميرة بعد اخذ طرابلس بثمانية ايام . . . وذلك انه وصل اسطول للأفرنج من ستين مركبا مشعونه بالرجال والزخائر " ١١

واخيرا يطلق ابن خلدون كلمة اسطول ليدل بها على مركب واحد فيقول " وصله من المراكب عشرة اساطيل " ١٢ " جهزله بعد ذلك ما ٥ وثمانين اسطولا " ١٣ و " كانت اساطيلهم ولما ٥ بين كبار وصغار " ١٤ و كانوا فيها قبل سبعين اسطولا من غربان وغواني " ١٥ استدعى اساطيله فتوافقت منها ستة ودرتون اسطولا " ١٦

- 
- ١- هامش السلوك ج ١ قسم ١ ص ١٥٧ و دائرة المعارف مادة " اسطول " والعمد ج ١ ص ١٩٥  
 ٢- المقدمة ص ٢١٠ ٣- كلكل المعبر ج ٦ ص ٢٤٣ ٤- نفس المصدر ج ٧ ص ٢٠٨ ٥- نفس المصدر ج ٦ ص ٢٩٢  
 ٦- المسالك ص ٢٥٥ ٧- هامش السلوك ج ١ قسم ١ ص ١٥٧ ٨- الخط ج ٢ ص ١٨٩ ٩- المعبر ج ٦ ص ٢٠٦  
 ١٠- المقدمة ص ٢١١ ١١- المعبر ج ٥ ص ١٩٣ ١٢- نفس المصدر ج ٦ ص ٣٣١ ١٣- نفس المصدر ج ٦ ص ٢٤٦  
 ١٤- نفس المصدر ج ٥ ص ٢٩٢ ١٥- نفس المصدر ج ٦ ص ٢٠٦ ١٦- نفس المصدر ج ٧ ص ٢٠٨ و هامش السلوك ج ١ قسم ١ ص ١٥٧



اما مفهوم الاسطول في العصر الحديث فيتناول المراكب العربية والتجارية يقول المعلم بطرس المستاني " الاسطول عبارة عن مجموعة سفن معدة للحرب او للتجارة " ١ وهو مفهوم لا ينطبق علي المصدر التي ادرس فيها الاسطول العربي ولذا ساكتفي في بحثي عن الاسطول العربي بدرس الاسطول العربي فقط دون التعرض لعبارة العرب البحري وما يتعلق بهذه العبارة من الابحاث . وتمثل هذه الفكرة في تعريف هنيي للاسطول يقول " الاسطول Navy بمعنى الاسطول هو مجموع السفن مهما كان نوعها سواء كانت تعمل في العرب او لبحر او لصيد السمك الا ان العادة جرت ان تطلق هذه الكلمة علي المراكب العربية فقط " ٢

وقد يضيف المؤرخون اسما او صفة لكلمة اسطول ليدلوا به علي نوع الاسطول الذي يبحثون عنه . فابن خلدون مثلا يقول الاسطول المصري واسطول الافرنج في عبارتيه الاتيتين " وحاصروا ( الفرنج ) طرابلس ونصبوا عليها الأبراج فاعتد بهم الحصار وعمدوا القوت لفاخر الاسطول المصري بالميرة ٣٠٠٠ " ويقول " وصل اسطول للافرنج " ٤ ويقول ابن الأثير " ظهر اهل الاسكندرية وعسكر مصر باسطول الفرنج " ٥ . ويقول ابن عداد اسطول مصر ٦ واسطول والحلول الكفار ٧ واسطول العدو ٨ والاسطول الاسلامي ٩ ليدل علي نوع الاسطول الذي يتكلم عنه . وكلمة اسطول تضمن انواعا عدة من المراكب بعضها معد لعمل المقاتلين والعرب واخري معدة لعمل الخيل والامتعة وانواع اخرى مبنية لفتح الزودة والسلاح ١٠ ولكل نوع من هذه المراكب اسما ١١ وانواعا خاصة ساكلم عنها فيما بعد .

ومن كلمة اسطول اشتقت كلمة " اسطولي " وهو الرجل المنتسب الي الاسطول ١١ وهي تقابل كلمة جندي فكلمة جندي تطلق علي المعارب في الجيش البري وكلمة اسطولي تطلق علي المعارب في البحر ١٢ وفي اخر الدولة الايوبية بعد موت السلطان صلاح الدين يوسف بن ايوب قل الاعتماد بامر الاسطول وصارت خدمة الاسطول عارا بسببها اليها الرجال فاذا قيل لرجل في مصر يا اسطولي غلبت فيها بعد ما كان خدام الاسطول يقال لهم المجاهدون في سبيل الله والفرز والفرزة في اعداء الله ويعتبرك بدعائهم الناهي ١٣

ويحل حسن ابراهيم حسن هذا النفور من كلمة اسطول بقوله " ويظهر ان تلك الكراهية انما جاءت علي اثر تحول العروبية الصليبية الي مصر فاذا قيل لرجل يا اسطولي فكانهم قالوا له انت مثل هذا الرجل الذي جاء في الاساطيل ١٤ اما المطريزي فيعزو النفور من هذه الكلمة لقلة شأن الاسطول وانحطاط الخدمة فيه ١٥ . في ايام الايوبيين اخبرنا وعيه بكلمة اسطول فتعمل المؤرخون كلمة عمارة او تعبيرة ليدلوا بها علي معنى الاسطول .

١ - دائرة المعارف ج ٣ مادة " اسطول " ٢ - الموسوعة البريطانية مادة " Navy " ٣ - المعبر ج ٥ ص ١٩٤

٤ - نفس المصدر ص ٥٥ ٥ - الكامل ج ١١ ص ١٦٧ ٦ - سيرة صلاح الدين ص ٥٥ ٧ - نفس المصدر ص ٥٥

٨ - نفس المصدر ص ١٠٠ ٩ - نفس المصدر ص ١٥٤ وايضا الخط ج ١ ص ٢٢١ ١٠ - الكامل ج ١٦ ص ١٦٧

١١ - سلع دوزي مادة " اسطول " ١٢ - هامش السلوك ج ١ ص ١٥٧ ١٣ - الخط ج ٢ ص ١٩٤ والعمد ج ١ ص ١٩٧

١٤ - النظم الاسلامية ص ٢٥٢ ١٥ - الخط ج ٢ ص ١٩٤



## عمارة

وتستعمل كلمة عمارة في أو تمهيرة في بعض المصادر بدلا عن كلمة اسطول بمعنى الطائفة من السفن العربية التي تكون معا ١ وفرد هذه اللفظة كثيرا في كتاب صالح بن يحيى فهو يقول " فوإذا خرد المراكب الطائفة التي بهروت خد التمهيرة فلم يعرضوا للنزول الي البحر وتوجهت التمهيرة الي جهة نهر والماغومة " ٢ ويقول ايضا فتوجهت التمهيرة المذكورة الي العلما " ٣ ويقول " وعندما تسهلت التمهيرة بمصر " ٤

وقد يخاف الي كلمة تمهيرة اسما او صفة لعدل علي نوعها يقول صالح بن يحيى تمهيرة الخنوية ٥ وتمهيرة مصر ٦ وتكون التمهيرة مولة من مراكب مختلفة الانواع والعدد بعضها يستعمل للغروب والاخرى للعمل والنقل ٧ كما هي الحالة في مراكب الاسطول .

وليس هنا اى اختلاف بين كلمة اسطول وتمهيرة وانما هما كلمتان مترادفتان بمعنى واحد وقد غلب استعمال كلمة تمهيرة عند بعض المؤرخين المتأخرين مع بقاء استعمال كلمة اسطول شائعة عند الجميع .

هذا هو تعريف الاسطول والتمهيرة عند قدامى المؤرخين وهما كما رايت يدين علي مجموع السفن العربية المعدة للقتال في البحر وما يتبعها من مراكب لعمل الانودة والمقاع والكرام والسلاح .

ولنتفقد الان لعدد الزمان والابحاث التي سنعالج فيها تاريخ الاسطول العربي .

ان الحدود الزمنية لتاريخ الاسطول العربي تمتد من فجر الاسطول منذ ان عرب المسلمون البحر وغزوا فيه الي اواخر عصر المماليك اي الي سنة ٩٢٢ هـ ١٥١٢ م .

اتناول البحث عن الاسطول في المائات التالية

١ - وصف مراكب الاسطول .

٢ - ذكر معداته

٣ - دار الصناعة

٤ - قيادة الاسطول

٥ - نظام الاسطول وحيثيته خلال العصور العربية .

٦ - عمليات الاسطول العربية

ان هذا التقسيم الذي اتبعته في طرق الموضوع هو تقسيم اصطناعي الغاية منه تمزج البحث الي اقسام مستقلة ليسهل درسها والبحث عنها . الا ان هذه الاقسام هي في الحقيقة وحدة متصلة ومتكاملة لا ينفك بعضها عن بعض . ويتألف من مجموعها صورة الاسطول العربي .

١ - المحيط مادة " عمر " ٢ - تاريخ بهروت ص ٢٣٥ ٣ - نفس المصدر ص ٢٢ ٤ - نفس المصدر ص ٢٢٠

٥ - نفس المصدر ص ٢٥ ٦ - نفس المصدر ص ٢٢١ و ٢٢٠ ٧ - نفس المصدر ص ٢٨ و ٢٢٢



## صورة الأسطول

إذا حاولنا أن نضع صورة عامة للأسطول العربي نتخيل بها ما كان عليه الأسطول في الزمن القديم نعود إلى العصور  
العراة والأدباء ونلتصق منهم تلك الصورة لأنهم اقدر على التصوير لظاهر الأسطول الخارجية من المؤرخين الذين  
يقصون على أجزاء الأسطول ودفاعه وسرد حوادثه وأخباره . لذلك قبل الدخول مع المؤرخين في تفاصيل البحث  
سأعرض بعض القطع الأدبية من قصائد ونماذج شعرية تكفي لنا معنى الأسطول . ثم نتقل لدور حقيقة ذاك الأسطول وما  
كان عليه في نظر المؤرخين القدماء .

ولقد امتاز عصور <sup>المغرب</sup> المغاربة وآخر منهم المتدلسين في وصف الأساطيل علي عصور أهل المغرب وذلك لأن المغاربة قد  
عانوا البحار وعرفوها ومنهم من ركبها بنفسه فعار عندهم صمود ومقدرة علي وطها وإظهار حقيقتها . هذا من ناحية  
ومن ناحية أخرى لأن أساطيل المغرب قد اهتمت دورا هاما في الحياة السياسية وأثرت علي نفوس الجماهير بمشغلتها  
ونفاسها والعنيت في إزلة انتصاراتها وقد أثر هذا الصمود في نفوس المغاربة وسرى منهم الي قلوب شعرائهم فصاغوه  
عصرا . نذكر من نماذج قصيدة أبي القاسم محمد بن هاني الأندلسي الذي يقول في وصف الأسطول ١

لقد طأرتها حدة وعديد	أما والحواري المنفثات التي سوت
لو كثر ولكن من ضمت عليه أسود	فهاب كما ترخي القباب علي المها
له بارقات حمة وروعود	عليها غمام مكبر صبيره
بنا علي غير المراة مفيد	انافت بها أعلامها وسماها
فمنها فتان سمح وريود	من الرامحسيات التمل لولا انتقالها
فليس لها الا النفوس مصيد	من الطير الا انهن جوارح
فليس لها يوم اللقاء خمود	من القاذحات النار تضرم للعلي
كما عجب من نار الجحيم وقود	إذا زلزلت فبظا ترامت بهارج
وانفاسهن الزافرات حديد	فانفواهن العائلات ميات مواضع
دماة تلقتها ملحف مود	لها مثل نفوس النصار كانها
سليط له فيه الذبال عديد	فما نى موج البحر عتي كانه
كما باثرت بدع الخلون جلود	تري الماء فيها وهو فان عبايه
وليس لها الا العباب كديد	فليس لها الا الرياح اعنة
سومة تحت الفوارس قود	وغير المذاكي نجرها غير انها
بشعر غوى طراة وهي ولود	رجيبة مد الباع وهي تعجبة
موال وبك وحرد الماذنات عديد	فكون عن تقع بهار كانها



لها من غفوى العبقري ملائكي مائس  
كما اعتملت غفوى الارواح غرد  
لؤلؤوس تك الموح وهو غطاط

مغوفة فيها الرخاوا الضار جيد  
او التفتت غفوى المناهر جيد  
وتدراً باس الهم وهو غيد

لقد وصف ابن هاني مراكب الاسطول بانها كالجبال الراسيات لها اشعة تجري فوق الماء بالرياح كالطيور الجارحة  
سريعة الحري اعلمها مرتفعة وهي عذراء ولود ثم تقدم لوصف رجالها بانهم شحان كالنود مرتدين الدروع لاسهن السلح  
والجواش كثيري العدد والعدة ويملون العود بنار لا تطفأ بالماء ويقتلون العدو حتى يصفوا ما البحر بدمائه =  
ثم هنا قصيدة علي بن محمد الهمادي التي وصف بها اسطول القائم فاجاد ما اراد وقال

اعجب لاسطول الامام محمد  
لبست به الامواج احسن منظر  
من كل مشرفة علي ما قابلت  
دهاء قد لبست ثياب تصنع  
من كل الله امين في الهواء منفر  
كمراة في البر يقطع سورها  
مغوفة بمجاذف مغوفة  
كقوادم النسر المرفرف عرمت  
وتحفها ايدي الرجال اذا وئت  
غرفاء تذهب ان يد لم تهدا  
جوفاء تحمل كوكبا في جوفها  
ولها جناح يستعار بطيرها  
يملو بها حذب العباب مطارة  
تسمو باجود في الهواء متوج  
يتوكل الملاح منه دهايه  
فكانما رام استرافة ملعد  
وكانما حلك جن ابن داود هم  
سجروا جوام نارها فتقاذفوا  
من كل مسجود الحريق اذا انهري  
عربان يلقذه الدخان كان  
ولواحق مثل الهلة جنح

ولحنه وزمانه المستغرب  
يبدو لعين الناظر المثلث الحروب المستعجب  
اعراف مقلودر الاجل المتعجب  
تسي العلول علي ثياب ترهب  
منها واحم في الخليج مضرب  
في البحر اغمار الرياح الغضب  
مكر في الجانبين دوين صليب  
من كاسيات رماحه المتعجب  
بمحمد منه بعيد محبوب  
في كل اوب للرياح ومذهب  
يوم الرهان وتستقل بمركب  
طوع الرياح وداحلة المتطرب  
في ككبه كل لج زاغر مغلوب  
عربان منوج الذواية شوزب  
لورام يركبها القطار لم يركب  
للسمع الا انه لم يذهب  
ركبوا جوانكها باعنف مركب  
منها بالن مارج مقلوب  
من سجنه انصت انصت الكوكب  
صبح بكر علي الظلم الفهيب  
لحق المطالبذات المهرب



يذهبن فيما بينهم لطافة

كفلاهن كفنهن كفا نضال عيات رحن لواعها

ويجشن فعل الطائر المتغلب

عرجوا جوانبه مجاذفات تعبت

حني يقض بيوك ماء الميزب

تنصاع من كعب كما نقر القطا

طورا ويجتمع اجتماع اليرب

والبحر يجمع بينها فكانه

ليل يلعب عقرها من عقر

وعلي كواكبها اسود خلافة

تغفال في عدد السلاح المهرب

فكانما النهر استعمار يزيهم

نوب الجبال من الربيع المذهب ١

لقد وصف الالهادي المراكب بانها سوداء تسير بالمجاذيف المصفوفة علي جانبيها تعنها اهدى الرجال وهي اشبه بالظهير في جرمها وتكون طوع الرياح وهي عند الحرب تقذف نارا ترمي بها العدو وتعرفهم بملبها وعليها رجال ابطال يفتالون في اسلحتهم وعدتهم وهم اسود الخلافة الفاطمية .

ان وصف الالهادي هذا غريب بوصف ابن هاني السابق اذ ان الالهاني عند الاثنين علي العموم مقاربة فكلها وصف المراكب والرجال المقاتلين عليها . والاسلحة المزودة بها . الا ان احدها قد توسع في بعض النواحي في حين التفرع بها ومجموع الصورتين يعطينا فكرة عامة عن مظاهر الاسطول .

وهناك قطعة نفيسة رواها الميرزوي من رسالة كتبها اخو زكي الدين الصين سنة ٧١٢ هـ تعطينا فكرة عن انواع مراكب الاسطول كل منها علي حدة يقول " ولا تنس الجوارى المنتشرة في البحر كالاعلم التي تسبح عند طياب الرياح الرياح فوقات السهام واعجابها بنيرانها البحرية وحراقاتها العربية وعوانها وهول مبانها وجلل شكلها وجمال معانيها تبدو موشاة بالخضر المنقذة باللون الغفر فهي كالارقم المنمر او بكقولنا الشمر المر او الطاووس الذكر معمرة بهيئتي الحديد والاسلحة والاعبار محمولة علي سح الماء القهار مشعونة بالرجال منصورة عند القتال مصونة بالمجن والنهال تبرز مذكرة بالاية النوحية وتضمن احرار الهمة العالية الفتعية حونا منع من اعز دلائع تظهر اذا فتح لها جناح الدلاع فتسبح وقد الريح عند الحول والاراع وتفوق سرعة الحاب عند الاتساع فهن مع المقيان في النيق حوم وهن مع البنبان في البحر عوم . . . . . وكم من مركب لصنه معجبوكم من مظهره لمين قوي امين وخضاري جلجل وعشاري طويل ومسماري طويل جميل وفستراوى عكاوي ولكه ودرمونة ومعدية مكثنة وسلور دفين وغفود رشيق وفرفود دفين وزغدي ذي زواريق وطريدة يميل الطرد مصورة دها . يحمل الجباد مشيرة و . . . . . ٢

هذه صورة الاسطول فما هي طراز انواع مراكبه ؟



## الباب الاول - انواع المراكب

### مقدمة

عند البحث في انواع المراكب التي كان يستخدمها العرب في الزمن القديم في مختلف أعمالهم البحرية نجد ان هناك مراكب كثيرة مختلفة ومتعددة الانواع ويمكن ان نحصر استعمالها في ثلاثة غايات رئيسية  
اولا المراكب التي تستخدم في النزعة والمنية النهرية ومن انواع هذه المراكب الطيارات والسميات والعديدات والنبازيب والدوات والدمازيب والكنادر والمعديات....  
ثانيا المراكب التي تستخدم في التجارة والنفار البحرية ومن هذه المراكب اذكر الجروم والفرافير والجلاب والهو انبح..  
ثالثا المراكب العربية التي تستخدم في الحروب والقتال وسأذكر فيما يلي اهم انواعها  
ان البحث في مراكب الاسطول يتعلق بالدرجة الاولى في وصف النوع المسمى الاخير من انواع المراكب وهي العربية ولكن البحث الدقيق يقودنا الي الحقيقة التالية  
ان كثيرا من المراكب التجارية والزوارق النهرية كانت تشترك مع الاسطول في اعماله العربية ولكن اشتراكها لم يكن للحروب والقتال وانما لنقل الامعة والزخيرة وانزال الجند للبر وامثال هذه الاعمال الضرورية في حروب الاسطول ولتكون البحث في مراكب الاسطول كاملا تاما كان من اللزام ان علي الكلام عن مراكب الاسطول العربية وما يلحقها من انواع المراكب الاخرى. وقد قسمت البحث في انواع المراكب الي ثلاثة فصول .  
الفصل الاول يتناول المراكب العامة التي تطلق اسمها علي جميع قطع الاسطول  
الفصل الثاني يبحث في مراكب الاسطول العربية ووصفها وتعداد انواعها  
الفصل الثالث اكلم فيه عن المراكب النهرية والتجارية التي تناف لاسطول وتشترك معه في الاعمال البحرية  
الفصل الاول

### المراكب العامة

الفينة لا يجد الباحث في كتب اللغة كما يهبط غليله عن وصف الفن واجزاها وطوالها وكيفية اجرائها ...  
لان اللغويين اهتموا بنظم حروف الكلمة وشكلها وكانت غايتهم لغوية فحسب لذلك اراهم ضلوا للرجوع الي كتب التاريخ لايراد شواهد عن معنى الفينة في ذهن العرب القدمين واستنتاج شكلها من عباراتهم وفهم النواحي التي كانت تستخدم فيها في الملاحة البحرية .  
ونبتدئ اولاً بفهم المعنى اللغوي للفينة يقول ابن منظور " الفينة الفلك لانها تسفن وجه الماء اي تشره فعمله بمعنى فاعلة وقيل لها فينة لانها تسفن الرمل اذا قل الماء قال ويكون مأخوذا من الفن وهو القاس الذي ينعته التجار فهي في هذه الحال فعيلة بمعنى مفعولة . وقد سميت الفينة فينة لانها تسفن علي وجه الارض



اي ولزمه بها . والجمع فاشن وشن وشنين . قال ابن الكلوم  
ملأنا الارض حتى شاق عنا

وموج الماء نملوه مفيها

والفان مانع الفن ومانعها وحرفه الفانه " ١

هذا هو المعنى اللغوي للفينة . فما هو معناها في نظر مورخي العرب ؟

اعتقد ان الفينة اسم عام يطلقه المورخون علي اى نوع من انواع الفلك التي تجرى في الماء - البحار  
والانهار والبحيرات - فهي اذن اداة للتعبير عامة لكل انواع المراكب مهما كان نوعها ومهما كانت خصائصها وميزاتها  
واسماؤها . والاكثف بايراد بعض النصوص من ادم المصادر التاريخية المعروفة التي تثبت هذا التعريف .

يقول الهمذاني " ووافده فن كان حمل فيها الرجال والسلاح والاداة " ٢

لم يبين الهمذاني نوع الفن التي يتكلم عنها وانما عبر عن انواع مختلفة منها باسم عام يدل عليها .  
ويقول ابن خرداذبه " وفي خليج القسطنطينية سفرة عليها برج فيه سلسلة تمنع فن المسلمين من دخول الخليج "

" والفن تنحدر فيه من جزائر بحر الفند وذلك النواحي وتعد فيه من بحر الشام الي القسطنطينية " ٣

لاحظ ان الفن التي تمر في خليج القسطنطينية من انواع متنوعة ولو أراد ابن خرداذبه ان يبين نوع كل فينة  
تمر من ذلك الخليج لضاف مجال البحث عليه لان هناك انواعا كثيرة من الفن منوي اهم انواعها فيما بعد .

ولكن في قول المسعودي ما هو شبيهه يقول ابن خرداذبه المتقدم يقول " كانت الفن تحرق في النيل فتصل باسواق

الاسكندرية " ٤ فهناك انواع كثيرة من الفن التي تجري في النيل وتدخل تحت اسم الفينة العام .

ويقول ابن حوقل " في بلاد آمل من اقليم الفند كان اهل القوي اذا حملوا زرعهم ضموه بالمجل الي النهر والي  
موضع مقرب منه وينقلون ما تجتمع الي النهر في الفن " ٥

ويقول ابن حبيب " جهز ملك صقليا اسطولاً عدداً جفانه فيها يقال دوماً بين طرايع ومراكب يقال اكثر من ذلك  
ويستصحب معه نحو مائة فينة تحمل الطعام " ٦

ويقول ابن خلدون " مجموع الفن في كل مرفأ يكون اسطول ذلك المرفأ " ٧ ففن اسطول كثيرة النواحي ولم  
يذكر يميز ابن خلدون انواع ذلك الفن بل وضعها جميعا تحت اسم عام .

ويقول الفيلسوف في بغداد بين الجانبين جران منصوبان علي دجلة ثوقا يضرب علي فن وزوارق ٨٠٠٠

ويقول المقريزي " الفن بمصر علي قسمين نيلية وحربية . فالحربية هي التي تنشا لفن القادو وتنشع بالسلاح  
والالات العرب والمعادلة وامل النيلية فانها تنشا لتمر في النيل ماعدا الي اعلي الصعيد ومنحدرة الي اسفل

الارض تعمل الغلال وغيرها " ٩

١ - لسان العرب مادة " فن " ٢ - فتوح البلدان ص ٤٤٢ ٣ - المسالك ص ١٠٤ ٤ - صروح ص ٨٣ ص ١٥١  
٥ - صورة الارض ج ٢ ص ٣٩٢ و ج ٦ ص ٢٥٣ و ج ١ ص ٢٤٣ و ج ٣ ص ٣٣١ ٦ - رحلة ابن حبيب ص ٣٢١ ٧ - المقدمة ص ٢١٢ والصبر  
٨ - ص ١٩٠ ٩ - صبح الاعشي ج ٤ ص ٣٣١ ١٠ - الخطط ج ٢ ص ١٨٩ و ج ٢ ص ١١٣ و ج ١ ص ٧٢ و ج ١ ص ١٧٢



فمعني الفن اذن عام يطلق علي جميع انواعها حربية كانت ام نبيلة دون تخصيصه لنوع واحد منها . الا اننا نلاحظ في الاقوال السابقة انه بالرغم من المعني العام الذي يتخذ كلمة غينة فانها تدل احيانا علي نوع خاص من المراكب العجي مستخدم في غايات معينة فقد استخدمت في الاقوال السابقة بمعني مراكب القتال ولعمل الزخيرة والمعدات الحربية والمعاربين وافادات ايضا معني مراكب السفن البضائع والغلات والارزاق والاطعمة ودلت ايضا علي انها تستخدم للركوب وعمل الجسر وغير ذلك من الامور .

ان هذه الصفاة الكثيرة التي تستخدم فيها الصفة تؤيد انها كلمة عامة وانها لادل علي معنى عام لنوع من المراكب وانما هي اسم عام لجميع المراكب . نستعين بها علي التعبير عن انواع عدة من مراكب الاحطول وغيره من الانواع الاخرى .

## هل اللسان بكل خاص ؟

لا شك ان لكل نوع من فن الاسطول شكلا معيناً وخاماً به نذكره عند الكلام عن تلك الانواع كل منها علي حده  
ولكن هناك صفات عامة لجميع انواع المراكب مثلها خيل الصراة وفانتها فراعهم وديجها افلامهم من هذا ال  
هذا الصر الجهد الذي ينفذ لنا المظاهر البارزة في الفينة قول ابن الرومي

الميك وكهنا بعلن جوزاء جونة

فغاب في درع من النار فاحم

تو اهن اشها ما لها و عطار و نطاشا

ملحة بالمودع دفع العائنه

اذا هي بہت ہا، لنور و طاہت

## ماجنته خفاقة وخرامم

ظهر علي افنديها وظهرها

## مطلب العيار جم الزمان

اذا عجلت لم يستطعوا فيها

وان امهلت رخت زخف النعائم

وان اهدنتان سوف قطع زائرا

الى زاهر بالعلاقات العوانم

هو البحر لا ينفك في جنباه

وغاء المطايا لازيم العلاج

فأين الرومي سود لنا بهذه الصعري سود مدينة جوفاء البهين فاحمة اللون مطلية بالقار مدلاة بالودع مريضة

عند جريها بالريح يسير على ظهرها فوق تيار شديد زاهر سرع او يعلو في جريها حسب الظروف والتقدير .

وهناك أبحاث لاسلم بن الوليد في وصف الطينة من عيون ما قبل في هذا الفن يقول

بجاریہ محمولہ حامل ہکر

كنت اهاويل الدجى عن مهولة

وان ادب و شرافت بنامدني سر

اذا اقبلت راعت بعدة فرود

وتومئها كبح اللجام من الدهر

اطالت بمجادقين يفتورا بها

٢. نسيم الصبا مشي العروس الى الخور

كان الصبا تدعى بها عين واجهت



والفن اما ان تسير بالمجاديف او بالاعرعة وهما اداة الحربي في الزمن القديم وقد وصف الطبريزي جوي الفن في بحيرة دنيس فقال " وبحيرة دنيس قليلة العمل يسار فيها بالعماد يودلعي الفينتان هذه ماعدة وهذه تازلة بريح واحدة ودلع كل واحدة منهما مملوء بالريح سيرها في السرعة مستو " ١  
ويختلف اشكال وجوهر الفن في كل قطر من الاقطار عن غيره ففن الصين مثلاً لها صواري واعرعة ودفات تختلف عن فن العرب كما ان بعض فن الصين لاسيما الجنوة منقوشة ابداع نقش وفيها مقلات العرير ولها دلاخ ملونة ثابتة في الصواري ٢  
كما ان فن البحر المتوسط تختلف عن حلاب الخليج الفارسي والبحر الدلزم ٣  
وفن المسلمين علي المصوم اكبر واوسع حجماً واقل سرعة من فن الهيندليين ٤ فلذلك نوع من الفن خاص بمزايما ستعكلم عنها بتفصيل عند البحث عن كل منها علي حدة .

## المركب

قال ابن منظور في تعريف المركب " المركب واحد مراكب البحر والبحر " ٦ وهي كلمة عامة تطلق علي جميع قطع الاسطول دون تخصيص نوع ذلك القطع . يصر بها الكتاب والمؤرخون عن انواع قطع الاسطول اذا لم يريدوا تخصيص انواع ذلك القطع فهي تعطي المعني العام لمفهوم قطع الاسطول دون التفريق بين انواع قطعه ٧ والالهة التي والامثلة التي هو يد هذا القول كثيرة في كتب التاريخ وها هو بعضها يقول البلاذري " عند فتح المسلمين لاسكندرية بعث ملك روما رجلاً من اصحابه يدالي له منوبل في درهما ٨ مركب مشحونة بالمقاتلة " ٩ ويقول ابن خلدون " سنة ٢٢ هـ في خمس مائة مركب ففتح قبرص " ١٠

اطلق البلاذري في كلامه المتقدم كلمة مركب علي انواع عديدة من مراكب الاسطول ولم يرد تفصيل انواع هذه المراكب التي ارسلها ملك الروم او التي غزا بها معاوية جزيرة قبرص . فلاختصار عبر عن جميع انواع المراكب باسم عام وهو " مركب " الذي يدل علي مختلف انواعها . ويقول ابن خلدون " فانها بلغت ثلثاً وخمسين مركباً منها خمسة عشر ثانياً ١١ افادت كلمة مركب في هذا النص معني الثاني الذي هو نوع من انواع المراكب . ١٢  
ويقول ابو الفداء " وقعت مراكب المسلمين علي الفرنج واخذوا منهم اثنين وثلاثين مركباً منها سبع ثواني ١٣ فضعت الفريج لذلك " ١٤ ضمنت كلمة مركب في داخلها معني الثونة وانواع اخرى لم يذكرها ابو الفداء .  
ويقول ابن خلدون " انتهى اطول الاندلس ايام عهد الرحمن الناصر الي ما شقي مركباً ونوعاً " ١٥

١ - الخط ج ١ ص ١٨١ - ٢ - رحلة ماركو بولو ص ٢٢٧ - ٣ - رحلة ابن بطوطة ج ٢ ص ٢٠٩ - ٤ - رحلة القواريج ص ٨٨ ومروج ج ١ ص ١٢٨ - ٥ - The Orient, P. 358 - ٦ - لسان العرب مادة " مركب " - ٧ - فتح البلدان ص ٢٢٩ - ٨ - نفي المصدر ص ١٦٠ و ١٧٠ - ٩ - سيرة صرح الدين ص ١٨٤ - ١٠ - المختصر ج ٣ ص ١٨٠ - ١١ - المقدمة ص ٢١١



ويقول أيضا " وصل أطول للفرنج من سبعين مركبا متعونة بالرجال النفاثر " ١ لا يمكن ان يكون أطول الاندلسا و أطول الفرنج مؤلف من نوع واحد من المراكب وانما هو من انواع عديدة جملها امين غلدون تحت اسم عام وهو " مركب " الذي يفيد مختلف انواعها .

ويقول صالح بن يحيى " **١** واجتمعوا المراكب كلها في طرابلس ومات حمالات وعشرة اعرية كبار وصغار وست مراكب قرائير ومركبين مخروط كبار واثنى عشر زورق وست بنوف صغار " **٢** فكلما مركبت شملت جميع هذه الانواع التي عددها صالح بن يحيى وعندما **٣** فعل هذه الانواع ذكر اسم كل منها علي حدة ويقول ايضا " **٤** لهمروا ... مراكب كثيرة حمالات وبنواني " **٥** فنوع هذه المراكب هي من العمالات والبنواني .

ولما كانت كلمة مركب اسما عاما لالاف كثيرا ما جازف اليها اسما او مفعلة لئلا يفقد النوع الذي يقصدون الكلام عنه . يقول الطبري " فانهي مركب الروم من ناحية عطا ١٠٠٠ لما ناخ بها ما ٢ مركب من الفلندية " ٤ بين الطبري في قوله المتقدم ان المركب للروم وان نوعها من الفلنديات ويقول ابن الاثير " ست مركب كهار " ٥ ان مفعلة هذه المركب كهيوة ويقول ابن خلدون " ثم اعترضت مركب الفرنج مركب التجار من مصر " ٦ ويقول ابن بطوطة " خرج علينا الكفار في افني عشر مركبا <sup>حرمية</sup> ~~الملك السلطان~~ <sup>الملك السلطان</sup> ٧ ويقول " نحو ما ثني مركبا بين حرمي وطبري " ٨ ويقول ايضا ~~الملك~~ " ودايمت وانا بالمعبر مائة مركب من مراكمه بين ~~مركب~~ سفار وكبار " ٩ ويقول ايضا " ثم سافرت في مركب صغير الي فارس " ١٠ فابن بطوطة بين انواع المركب ومفعلتها باضافة اسم او مفعلة اليها ليدل علي نوعها اما المقريزي فيذكر كثيرا من الصفات والاسماء بعد كلمة مركب ويقول " وكانت بلد الاسكندرية مركبا لاندلسيين " ١١ و " اجتهد احمد بن طولون في بناء المركب العربية " ١٢ وامر ان يكون انشاء النواني والمركب النيلية النوانية بصناعة مصر " ١٣ و " لم يبين منه غير ستة مركب فارغة " ١٤ و " ما برحت المركب النزهة تعرفه " ١٥ وغير ذلك من الأقوال الكثيرة التي تعين نوع المركب المقصود الكلام عنها .

وقولهم "لما عرض المراكب الأخرى" ١٦ بين أن المراكب من الأخرى  
ولما كان المركب لفظا عاما لذلك يرد استخدامه عند المؤرخين في نواحي مختلفة من الأعمال فيستعملونه ليدلوا  
به على أداة لحمل الرجال أو آلة الحرب أو الزود يقول ابن الأثير "فجهاز ما يحمله أسطولا كقهره ما شئ  
شئني تحمل الرجال وسقا وتلقين طريفة بحمل الفيل وست مراكب كبارا تحمل إلى الحرب أو بعضهم مركبا تحمل الأنواد ١٧

- ١- العبر ج ٥ ص ١٩٣ وج ٥ ص ١٩٢ ٢- فاروخ مبروش ص ٢٢٢ ٣- نفس المدر ص ٢٤ ٤- الطهري الجملة الثالثة ج ١١ ص ١٤١٧ ٥- الكامل ج ١١ ص ١٦٧ ٦- العبر ج ٥ ص ١٩٣ ٧- رحلة ابن بطوطة ج ٢ ص ١٧٧ ٨- نفس المدر ج ٢ ص ٢٥٨ ٩- نفس المدر ج ٢ ص ١٦٥ ١٠- نفس المدر ج ٢ ص ٢١٦ ١١- الخط ج ١ ص ١٧٧ وج ٢ ص ١٩٥ ١٢- نفس المدر ج ١ ص ١٨٠ وج ٢ ص ١٩٢ وج ٣ ص ١٨١ وج ٤ ص ١٨٠ ١٣- نفس المدر ج ٢ ص ١٩٧ ١٤- نفس المدر ج ٢ ص ١٩٥ ١٥- نفس المدر ج ٢ ص ١٤٥ ١٦- بدائع الزهور ج ٤ ص ٢١٦ ١٧- الكامل ج ١١ ص ١٦٧



ويقول ابن خلدون " ووصل القمر ٠٠٠ بمراكب عديدة معونة بالرجال والسلاح والميرة " ١  
 ويستخدم المؤرخون هذا اللفظ ليدلوا به علي نوع من مراكب القتال يقول ابو الفداء عند ذكر فتح عكا سنة ١٢٩٠ هـ " وكانت منزلة الحمويين براس الميمنة وكان يضر اليها مراكب مدنية بالغضب الملبيس خلود الجواميس وكانوا يرمونها بالغضب والخروج " ٢  
 ان هذا المركب الذي يصفه ابو الفداء هو نوع من المراكب العربية التي سنذكرها فيما بعد .  
 ويستخدم المؤرخون هذه الكلمة ليدلوا بها علي اداة للمواصلات يقول ابن حوقل " واكثر ما يمل اهل مصر بعضهم الي مصر عند زيادة النيل في المراكب من الماء . يعجب باحاطته اكثر مدنها وضباعها ويستولي عليها من جميع اراضيها فطرات بعضهم الي مصر في الماء بالمراكب " ٣  
 استعمل ابن حوقل في هذه العبارة مركب ليدل بها علي مختلف انواع المراكب النهرية التي ينتقل بها اهل مصر عند فيضان النيل وسيمر معنا بعض هذه الانواع في الكلام عن المراكب النهرية  
 واستعمل ايضا كلمة مركب ليدل علي مراكب النزعة ٤ ومراكب التجارة ٥ ومراكب انصار البعثة ٦ التي تتطلب ادخار المياه والاعطية الكبيرة ٧ . ولذلك كان حجم هذه الانواع من المراكب كبير جدا وسناتي علي وصفها عند ذكر المراكب التجارية .  
 ولما كانت كلمة مركب عارفة فان وصفه للمركب قد يكون عاما ايضا لجمعها ولذلك اذكر عبارة ابن خلدون التي يصف بها الامور المشتركة بين جميع المراكب علي الماء . يقول " المراكب احرام هندسية صنعت علي قالب الحوت واعتبار سحره في الماء بموادها وكذلك ليكون ذلك الشكل اعوان لها في معاداة الماء وجعل لها عوض الحركة العوانية التي للسد تحريك الرياح وربما اعينت بحركة المقازيف كما في الاسابيل ٨ . فشكل المركب اذن بشكل الحوت وحريه يكون اما بالسراع او بالمجاديف . اما شكل المراكب الصينية فهو بحسب قول احد الصينيين شبيه بحمة الفصح ٩

### صورة عامة عن المراكب التجارية

المراكب التجارية ليست متساوية الحجم فبعضها كبير جدا فيه الطواحين والقران والاسوان ١٠ وحوانيتها لجميع الفخر ومنازل النسيج ١١ وفيه ما يزيد عن ألفي انسان ١٢ يحتاج الي مذلم باارتفاع عتوات الاقدام لارتفاع سلمه ١٣ بحسب معده فوارب لمره عند سكون الريح ١٤ او عتاريات لاصلاحه عند حدوث خلل فيه ١٥ او دوانيح للنزول به عند الخطر ١٦

- ١ - المبرج ٥ من ١٩٢ - المختصر ج ٤ من ٢٤ - صورة الارض ج ١ من ١٢٧ - ٤ - الخط ج ٢ من ١٩٥
- ٥ - عجائب الهند من ١٢٥ - رحلة ابن بطوطه ج ٢ من ٢٩٣ - ٤ - رحلة ابن بطوطه ج ٢ من ٨٣ و ج ٢ من ١٧٢ وعجائب الهند من ١٢٥ - ٨ - المقدمة من ٢٤٣ - ٩ - مقدمة Chau-Ju-Kua, Page 30 - ١٠ - صبح الاعشي ج ٥ من ٧٨
- ١١ - مقدمة Chau-Ju-Kua, P. 34 - ١٢ - رحلة ابن جبير من ٢٩٣ - ١٣ - مقدمة Chau-Ju-Kua, P. 9
- ١٤ - عجائب الهند من ٢٥ - ١٥ - رحلة ابن جبير من ٢٩٥ - ١٦ - عجائب الهند من ٢٤ من ٣٩ ويقول روكهيل و هرت عن حاج صيني يدعي Fa-hien بانه حج في اوائل القرن الفاسر وعندما وصل الي جزيرة سيلان انتقل الي مركب كبير لغاير علي ظهره يوجد اكثر من ٢٠٠ شخص ويحمل به زعفران صغير ينقل الركاب اليه عند حدوث خطر في المركب الكبير



واللهن والبض أكثر من المراكب التجارية صغير سريع الجري اذا رمي الرامي في احدها سبها وقع في وسطه لمرعة جريه ١ وهذه المراكب الصغيرة تستوعب حتى ولثلاثة نفس ٢ وطول بعضها خمسين ذراعاً بذراع العمل من سطر الأبط الى طرف الاصبع الوسطي ٣

والمراكب تسير بالاشرعة ٤ ولد تكون هذه الاشرعة من القطن mat-sail متعلق من طرف واحد من الدفلة ٥ ويختلف عدد الموارى والاشرعة بحسب كبر المركب ومضرة ففي بعضها يوجد اربع موارى وتسعة اشرعة ٦ وفي البعض الآخر ماري واحد وشراع واحد ٧ وفي المركب دفعة لتوجيهه ولم يكن المراكب ذات الدفعتين موجودة في غير البحر الهندي ٨ وللمراكب مراسي او اناجر كثيرة يتناسب عددها مع حجم المركب ٩ وكان يستعمل لسير الأغوار سبك ١٠ وكانت ديمان الفن التي تحرق في البحر الأحمر " عراضا دون تصيد في تركيبتها لتعمل بذلك ككبل من الوسط ولا تدرس علي كثر تروس " ١١ اما المراكب الصينية فكانت اكبر مراكب الشرق ولهذا لم تكن تستطيع اجتياز مضيق طاجيها غير ما من كضايق خليج فارس ١٢ وبعض المراكب فيها نحو ٢٦٠ جلاحا ١٣ ويحذف الجاذفون في مراكب الصين وهم قياما وجميعهم في وسط المركب والراكب في المقدمة والمؤخرة ١٤ ويطلقون علي المركب شهاب تصنع من نبات يلد دهم يئيه الكبار وليس به وهو ارق من القنب ١٥ ويقيم التجار صاعدة المركب فيها بينهم وضمعون في كل قسم يضاعفهم وينامون فوقها ١٥ ويقومون بالأعياد والصلوات والوعظ ومن ينون المراكب بالشرعة والشمع ١٦ وفي المراكب غوامين ١٧ وكان الغوامون

- ١ - صبح الاعشي ج ٢ ص ٢٨ ٢ - رحلة ابن بطوطة ج ٢ ص ٨٢ ٣ - عجائب الهند ص ١٨٤
- ٤ - نفس المصدر ص ٢٤ - ٢٥ ٥ - مقدمة Chau-Ju-Kua P. 30 الدفلة يسمى في بحر الصين وفي البحر الهندي الدولي وفي البحر الرومي الصيني ( مروج ١ ص ١٣٠ ) ويدعى في العراق الرقل ( مروج ج ٢ ص ١٢٨ ) ٦ - رحلة ماركو بولو ص ١٨٥
- ٧ - نفس المصدر ص ٢٢٢ ٨ - الحضارة الاسلامية ج ٢ ص ٣٢٣ عن ابن جبير ٩ - عجائب الهند ص ٢٥
- ١٠ - الحضارة الاسلامية ج ٢ ص ٢١٥ ١١ - خزانة الادبي طبعه براندل ص ٢ ١٢ - سلة الهواريج ص ١٦
- ١٣ - رحلة ماركو بولو ص ١٨ ١٤ - رحلة ابن بطوطة ج ٢ ص ١٩٨ ١٥ - مقدمة Chau-Ju-Kua, P. 31
- ١٦ - رحلة ابن جبير ص ٢٢٦ ١٧ - عجائب الهند ص ٢



في مراكب الصين في القرن العاشر عشر زنجيا يستطيعون القوم ومهوتهم مدفوعة اذا كمر المركب فجأة فلا يمكن تمليطه من الداخل فينزل هؤلاء المهند الفواصون وما يديهم ساكنين وقشر فنجس صاجون المركب من خارجه ١ وحكي رجل من العرب في القرن الثامن الهجري ( الثامن عشر ميلادي ) انه كان في مراكب البحر الهندي عادة اربعة من الفواصين فاذا نفذ الماء في المركب فلا فيه عدوا الي اجسامهم فطالوها بهزمت السم والي انوفهم فسدوها بالشمع ثم اخذوا يمشون حول المركب في مسيره ويعدون تقويه بالشمع وهم يستطيعون ان يمدوا عشرين الي ثلاثين نقبا في اليوم ٢ وكانت المراكب التي تبعد عن الشاطئ معها حماما للمغاورات . روى احد القضاة في اللون العام انه يوجد علي مراكب الفرس التي تغمر عباب البحر كثير من الحمام يستطيع ان يطير بمئة الف لي ( مقياس للمسافة ) واذا اطلق طارعا علي بلاد رولا يحمل احسن الثمار وهذه العادة يظهر انها قديمة العهد عند بحارة الهند وقد لها ذكر في المصادر البوذية التي يرجع تاريخها الي القرن الخامس قبل الميلاد ٣ ويمكن ان نلخص وصف المراكب التجارية بعبارة ذكرها ماركو بولو

يقول لنهدا الآن بوصف ( المركب ship ) التي يستعملها القطار المبنية من الواح خشب الشوح . ولهذه المراكب سطح واحد والمسافة التي تعدد مقسومة الي ستين غرفة صغيرة . وبعضها فيه غرف اكثر او اقل بحسب حجمها . وكل مركب يؤمن راحة تاجر واحد فقط . وهذه المركب مجهزة بدفات حسنة ولكل واحد منها اربع صواري مع كثير من الاشعة . وبعض هذه المراكب صواريها فقط يمكن ان يرفعوا ويخفضوا بحسب الضرورة . وبعض المراكب الكبيرة <sup>بعض</sup> طرقة عر حازا او قسما في داخلها مفككة من الواح خشبنة شتى بعضها ببعض والفرض من هذه العواجز هو ان تحفظ المراكب من خطر حادت يمكن ان يقع عليها ويترشح لداخلها الماء . كما صدامها بالصخر مثلا او تلقي ضربة من حوت تلك الحوادث التي تقع كثيرا فعندما يبحر المركب في الليل فان محركه في داخل الموج تشير زيدا ايضا يجلب انتباه الحيوان الحاشع فيعلم ان هذا الزيد طعام فيندفع بسرعة لتلك البقعة فيضرب المركب ويثقبه في غالب الاحيان من قمرة . فعندما يندفع الماء الي المكان الذي حلت فيه الصدمة وينال الماء لهبة الامكنة . الا ان الألواح العازلة التي تغلف المركب الي اقسام تمنع انساب الماء الي الاقسام جميعها ولذلك عندما يلاحظ البحارة مكان التعريض يتدلون المضاع منه حالا ويصلحون مكان الكمر ويخرجون المضاع بعد ذلك لما كانت عليه .

والمراكب مجهزة بزواج من الألواح اي يوجد مضاع موضوعة فوق الواح المركب تتحمم بمشع معوي ممزوج بدفات الذهب من داخلها وخارجها . والقضبان متصلة بالصامير الحديدية ولا تدهن هذه المركب بالزيت اذ انه في هذه البلاد ( الهند ) لا توجد هذه المادة ولكن يستعان عنها بنوع اخر من المواد ذات التركيب الخاص . . . . . والمراكب ذات المحوم الكبيرة تحتاج الي ولثامات نجار وبعضها يحتاج الي مشحون او ملة او وادها خمسين بحارا بحسب كبرها . وتعمل من خمسة الي ستة الان ملة او ثلثة من الدليل . وفي الزمن القديم كانت المراكب بحجوم



متعددة واكثر مما هي عليه الآن . ولكن امواج البحر دفعت الساحل في بعض الجزر والمرافق الصعبة وطمعها بالرمال ولذلك اصبح من المعتذر لهذه السفن الكبيرة الدخول لتلك الأماكن العجائبة رية لأنها تحتاج الي اصناف مختلفة بولما لم يكن ذلك متوفر لشغل السكان لهذا . مراكب من حجم اخر لغنايب تلك الاصناف .

وتسير المراكب ايضا بالمجاديف الذي يحتاج الواحد منها اربعة اشخاص ليعملوا عليه . والمراكب الكبيرة تصعب معها ثلاثة سفن شراعية <sup>Barks</sup> يمكن ان يعمل الفسلة من الفلفل ويسيرها من ٦٠ - ٨٠ - ١٠٠ بحار . وتستعمل الزوارق الصغيرة <sup>Craft</sup> غالبا لجر المراكب الكبيرة عند سيرها بالمجاديف حتى وبالشراعة عندما يكون الريح معاكسا لسير المركب اما اذا كان الريح موافقا فلا يستعملون الزوارق وفي تلك الحالة تكون الشراعة المركب الكبير مناسبة اكثر من اربعة السفن الصغيرة . وهذه المراكب تعمل معها ايضا نوع اخر غافيرة <sup>Boat</sup> لعمل المراسي والصيد واغراض اخرى متنوعة وهذه الغافير تعلق علي الجوانب وتنزل الي الماء عند الضرورة . كما ان السفن الشراعية <sup>Bark</sup> تجهز بزوارق صغيرة .....

وعندما يكون المركب قد استخدم في السفر مدة سنة او اكثر يوقف لضرورة اصلاحه ويهضغ غالبا بالواحد من خشب توضع فوق المفاصل الاولى فيشكل طبقة خالقة فوق السابقتين وتدهن هذه الطبقة بمصم كما تقدم سابقا . وكلما احتاجت السفينة الي اصلاح تعاد العملية نفسها حتي تصبح عدد الطبقات ستة وعندها يصبح المركب غير صالح للبحار والحالة ١٠٠٠

هذه مودة عامة للمراكب التجارية الغاية من ذكرها لفت نظر القارئ الي ان المراكب التجارية تختلف عن المراكب العربية لان الغاية من صنعهم مقايمة . وكل من هذين <sup>الكلمتين</sup> النوعين من المراكب جدد بالنسبة الي الغاية التي وضع من اجلها . ويستطيع القارئ بعد العود علي وصف المراكب العربية ان يعلم الاختلاف بين النوعين .

### ومن انواع المراكب العامة ايضا

#### القطعة

ذكر الزبيدي في فاج العروس ان القطعة بالكسر الطائفة من الشبي . وترد هذه الكلمة في كتب التاريخ بمعنى عام لعدل علي احدى وحدات الاسطول . يقول ابن الاثير " سير امير المسلمين ( علي بن يوسف بن تاشفين ) اسطولا فقتلوا بنو طبرية بمساحل بلاد قلاوية فلم يترك رجار ان عليها كان سبب ذلك <sup>الملك</sup> فجد في الملك / تعبير الشواني والمراكب جدد فاكثروا ومنع من السفر الي افريقية وغيرها من بلاد القرب فاجتمع له من ذلك مال مديد مثله . قبل كان ثلثمائة قطعة " ٢٠٠ . ويقول في مكان اخر في سنة ( ٥١٠ هـ ) " خرج علي بن الحسن المبرور باس فانية الي بجاية فملكها وسبب ذلك انه لما سمع بموافاة يوسف بن عبد المومني عمر اسطوله فكان عشرين قطعة " ٤

١ - رحلة ماركو بولو ص ٢٦١ - ٢٦٣ ٢ - فاج العروس مادة " قطع " ٣ - الكامل ج ١٠ ص ٣٣٣

٤ - فليس العدر ج ١١ ص ٢٩٦



ويقول ايضا " فوصل اليهم ( ملك الاكلتار ) في غصن وعشرين قلعة كبارا معاولة رجالا وامولا " ١ فجميع احوال  
 ابن الاثير المتقدمة يدل على ان قلعة كلمة عامة تطلق على اي نوع من انواع المراكب .  
 ويطلق ابن خلدون كلمة قلعة ليدل بها على غاني وطراة وبيلة فيقول " وكانوا في ستمائة قلعة ما بين  
 غاني وطراة وبيلة وغير ذلك " ٢ كما ان ابن خلدون يستعمل كلمة قلعة بمعنى عام ليدل بها على اي نوع  
 من المراكب فهو يقول " فركبوا البحر في اذنين وثلاثين قلعة من اساطيلهم " ٣ ويقول ايضا " وبعت يحيى  
 عن اسطول مبرقة زامده اخيه عبد الله بقطعتين منه " ٤ . اما المقريزي فيطلق كلمة قلعة ٥ على الثاني  
 فيقول " فقدم المسلمون غوانيم امام المنصورة وعدتها مائة قلعة " ٥  
 ويذكر كاترمير ان كلمة قلعة تفيد نوعا من المراكب ياتي بتواجد على ذلك من ابن الاثير ٦ يقول  
 " كان له في قم نهر ابي الغصب نحو خمسمائة قلعة فيها ماله " ٧ ويتواجد من تاريخ قم بيت المقدس ٨ ٧ يقول  
 " وصلت كل قلعة كانها قلعة " وغير ذلك من التواجد .  
 وجميع قلعة على قاطع يقول كاترمير عن صاحب كتاب القرباس ٨ ما يلي " انقضت ايام المسلمين في الموكلا  
 الزمان "

ومن المؤسف ان كاترمير الذي يعتبر ان قلعة تفيد نوعا خاصا من المراكب لا يحد لنا خلاصة هذا النوع  
 فما ادرى بها صورة تسمية القلعة اياها الشراخ ام بالمجازيف ٩ ولا ادرى ما هي صفات القلعة العامة ١٠ وانما ارجح  
 ان قلعة تطلق غالبا على وحدات الاسطول بصورة عامة ولا تفيد نوعا خاصا من المراكب .  
 هذه هي المراكب العامة التي يفيد معناها بجميع انواع السفن الاسطول التي ذكرها .

١ - الكامل ج ١٢ ص ٢٧ ٢ - سورة صفح الدين ص ٥٥ ٣ - المهر ج ٦ ص ١٩٠ ٤ - تفسير المصباح ج ٦ ص ١٩٤  
 ٥ - الخطاط ج ٢ ص ٢١٧ وج ٢ ص ١٩٣ ٦ - الكامل ج ٣ ص ٢٢١ ٧ - مخطوطة ص ٧١٤ عن كاترمير ج ١ ص ١٤٣  
 ٨ - مخطوطة ص ٢٤٥ عن كاترمير السلوك ج ١ ص ١٤٣ قسم اول



## - الفصل الثاني -

### انواع المراكب الحربية

#### الحراقة :

الحراقة بالفتح والتشديد ضرب من السفن فيها مرامي نيران يرمى بها العدو في البحر والحراقات سفن فيها مرامي نيران . وقيل هي المرامي انفسها الجوهر ١ / وتجمع حراقة على حرايق وحراقات كقول ابن جبير \* وعند خروجه من البحر لحقت جلبه حرايق الامير سيف الاسلام فاخذت جميع ما فيها من الاثقال ٢ \* وسيمر معنا نصوبا تدل على انها تجمع على حراقات . وانحراقات مراكب حربية كبيرة فيها مكاحل البارود والمرادات والمنجنيقات التي يرمى بها النقط المنصبة على الاعداء ٣ . وذكر كاتر ميرنقز عن تاريخ بيت المقدس ما يلي \* حرايق لاهل النار بنارها محرقة \* من شعبة حرايقها شيم بوارق البوارق لاحراق اهل النار بالماء \* . فان حراقة اهل هي مراكب منجونة بالمواد المحرقة كالنفط ترمى من الاعداء بالنيران لحرقها ٤ . وفي القديم كانت الحراقة تتسلق على السفن اليونانية التي ترمى النار اليونانية . وفي اواخر القرن الثامن وابتداء القرن التاسع ابتدا العرب في صنع امثال هذه المراكب ٥ . ويقول الفقهني ان الحرايق مركبها الانجاد من الرماة والروساء المهرة ٦ واشتهرت مدينة لقيت في الاندلس بصنعها ٧ . وتستخدم الحراقة فيما عدا الامور الحربية بالنقل والركوب سواء في البحر او في الانهار ٨ يقول المقرئ \* وافق مع ذلك ومون مومة عسيرة للفرنج في البحر حوليات هذه حراقات تحميمها وقد ملئت كلها بالميرة والاسلحة فقلدتلتيم سواني المسلمين ٩ \* ١٠ . ورثب ابو العلاء سنة ٧١٨ في النبل بقصد رؤية الاسكندرية مع جماعة له بحراقتين ١٠ . وفي سنة ٧٣٨ جمع الملك الناصر المهندسين لبنا جسر على النيل ونزل في الحرقه وبين يديه الامراء وسائر ارباب الخبرة من المهندسين وخولة الجسور ١١ . ودلت رئيس البحر وشاد السنافة

---

١ - لسان العرب مادة ( حرق ) ٢ - رحلة ابن جبير صفحة ١٤٧ ، ٣ - حسارة العرب ص ١٦٦ ، السلوك ج ١ قسم ١ ص ١٤٣ ، ٥ - هامش The orient ص ٢٦٢ نقلا من Anari 1 P 302 ٦ - صبي الاعشى ج ٥ ص ٢٧٢ ، ٧ - الروم ص ١٧٠ ، ٨ - اسو ج ١ قسم ١ ص ١٤٤ ، ٩ - الخطط ج ١ ص ٢١٨ ، ١٠ - المختصر ج ٤ ص ٨٣



لاحضار المراكب ٠٠٠ وامر بجمع الناس وتسخير كل واحد للعمل فركبا وكانت ايام القبط  
فهلك فيه عدة من النار والامير اقبعا في الحراقة يستحث الناس على انجار العمل<sup>١</sup>  
وقد اتخذ الخلفاء والسلاطين ورجال الدولة حراقات بقصد الركوب في الانهار  
سواء بدجلة ام بالنيل وكانت حراقات دجلة التي يستعملها رجال الدولة في غزوهم  
ورواحهم معد فيها التل ويعلق عليها الخيشر المبلل بالماء وكانت ترحى على الخيشر  
ستور الكرايس ٢ وقد اتخذ الخليفة الامين ابن دارون الرشيد حراقات في دجلة  
على شكل اللبث والعقاب والدلفين . فوصفها ابي نواس بقوله :

لم تسخر للماحب المحراب  
مسار في الماء راكب لبث غاب

سخر الله للامين مطايا  
فاذا ماركابه مسرعا هرا  
وصف الحراقة التي بشكل اللبث :

اهرت الشدق كالح الانياب  
ط ولا غمز رجله في الركاب  
رة لبث يمر مر السحاب

اسدا باسنا ذراعيه يعدو  
لايعانيه باللجام ولا السو  
عجب الناس ان راوه على صو  
وصف الحراقة التي بشكل العقاب :

كيف لو ايمضوك فوق العقاب  
يق تشق العباب بعد العباب  
تعجلوها بجيئة وذهاب  
، وابقا له رداء الشهاب

سيحوا ان راوك سرت عليه  
ذات زور ومنسرجناحب  
تسبق الطير في السماء اذا ما  
بارك الله للامين وابقا  
وصف الحراقة التي بشكل الدلفين :

مفتحها للماء قد لججها  
واسفر الشيطان واستبجها  
احسن ان سار وان عرجها  
اغلق فوق الماء او هطجها

قد ركب الدلفين بدر الدجى  
فاشرقت دجلة من نوره  
لم تر عيني مثله مركبا  
ان استحثته مجاذيفه

١- الخطط ج ٢ ص ١٦٧ ، ٢٠ - الحسارة الاسلامية عن جمرة الشيرازي ص ١١٩



وقد ذكر ابن هاني هذه الحراقات وعددها بقوله :

خسر به الله الامين الذي      اضحى بتاج الملك قد توجا  
الا ترى ما اعطى الامين      اعطي ما لم تره العبيد  
ولم تكن تبلغه الظنون      اللبث والعقاب والدافسين ١

فمن هذه الاضطرابات نستنتج ان الحراقات التي كانت للاميين علاوة عن ان اذكالها كانت على صورة الحيوانات فقد كانت تسير بالمجازيف .  
ويصف احد الشعراء حراقة ظاهر بن الحسين بقوله :

عجبت لحراقة ابن الحسين      - لا غرت - كيف لا تغسرق  
وبحران من فوقها واحسد      وآخر من تحتها مطسوق  
واعجب من ذاك اعوادها      وقد مسها كيف لا تسورق ٢

وكان النار يركبون الحراقة للفرجة والتسلية يذكر ابن بطوطة انه ركب \* في سفينة تشبه الحراقة وركب ابن الامير في اخرى ومعه اهل الحرب واهل الموسيقى وكانوا ينفنون ٠٠٠ ٢ \*

وفي زمن الابرصيين والمماليك كان السلاطين عند وفاة النبل وكسر الخلق يركبون في حراقات كانت تزين بانواع الزينة ٤ يقول ابن اياس \* تقدمت له الحراقة التي يكسر فيها السد \* ويقول الفلقشندي ان حرايق الامراء كانت تسير حول حراقة السلطان وهي مزينة ومراكب المتفرجين تسير خلف الحرايق حتي يدخلون الى قم الحليج وحراقة السلطان العظيم المعروفة بالذهبية ٠٠٠ وحرايق الامراء يلعب بها في وسط امتدادها ويرمي بمدافع النفط على مقدمتها ويسير السلطان في حراقة السفيرة حتى يأتي السد فيقطع بحضوره ويتركب وينصرف الى القلعة \* ٦ \*

---

١ - ديوان ابني نواس ص ١١٦ - ١١٧ ، ٢ - حضارة العرب ص ١٦٨ ، ٣ - رحلة ابن بطوطة ج ٢ ص ٢٠٤ ، ٤ - بدائع الزهور ج ٤ ص ١١٢ و ١٢١ ، ٥ - بدائع الزهور ج ٤ ص ٢١٢ و ٢٢١ ، ٦ - صبح الاعشى ج ٤ ص ٤٧ - ٤٨ .



ويقول ابن تغرى بردى ان الحراقة المعروفة بالذهبية \* كانت من شعائر المملكة ولا سيما في الامم بحر وفاء النبل وكانت الملوك تتوجه فيها الى المقابر وفيها ٦٠ مقداما وكان هناك موظف خاص يعتني بهذه الحراقة ويلقب برئيس الحراقة الا ان قيتباى ابطل هذا المركب \* ١ .

هذه هي صفات الحراقة وهي كما تقدم بشكل المركب تفرق عنه بكونها تشحن بالمواد المحرقة المشتعلة كالنفت والنار اليونانية التي ترمى بالمنجنيق والجروح \* ٢ .  
ومتصل بها جماعة من الرماة نفاطين يرمون الاعداء بالنفخ والنار اليونانية \* ٣ . وكان النفاصون يلبسون ثيابا تقيهم النيران ولذلك فهم يستصعبون اقتحام النار \* ٤ . وكثيرا ما تكون الحراقة صغيرة الحجم يقول كاتر مير نقلا عن مخطوطة عربية في الغاتبار ص ٨٢ \* اما الحراقة لمختصرة \* ٥ . وقد تقدم معنا ان الحراقة تسير بالمجانيف .  
وقد حفظ اسم حراقة في سنويات امم جنوه وابندنية تحت لفظ Caracca ٦

### الشونة :

الشونة المركب المعد للجهاد في البحر والجمع الشواني لغة مصرية ٧ . ويقول كاتر مير ان كلمة شاني وشيني تجمع على شواني \* وفي جغرافية ابن حوقل ( مخطوطة ص ٦٧ ) ترد كلمة شينية ٨ . فهذه التسميات الثلاثة شونة ، شاني ، شيني تدل على نوع واحد من المراكب الا انه بكثير استعمال شونة عند المؤرخين العرب لهذا النوع من المراكب الذي يستخدم في الاسطول العربي . اما شاني وشيني فتسلك على مراكب الفرنج التي من هذا النوع فذكر كاتر مير عن بهاء الدين في سيرة صلاح الدين الاموي ص ١١٩ مايلي : ( اخذ من العدو شاني ) ٩ . ويقول ابن الاثير \* جهز صاحب سقيلة اسطولا عدته مائتي شيني تحمل الرجال ١٠ . ويذكر ابي الداء :

- 
- ١ - النجوم ج ٦ ص ٤٠٢ . وبدائع الزهور ج ٢ ص ٣٠١ . ٢ - التمدن ج ١ ص ٢٠٠ .
  - ٢ - العبر ج ٢ ص ٢٠٦ . ٣ - اغاني ج ١٧ ص ٤٥ . ٤ - هامس السلوك ج ١ قسم ١ ص ١٤٤ . ٥ - هامس The Orient ص ٣٦٢ نقلها من Ameri I P 302
  - ٧ - تاج العروس مادة (شونة) ٨ - هامس السلوك ج ١ قسم ١ ص ١٤٢ والادريسي ص ٢٢١
  - ٩ - السلوك ج ١ قسم ١ ص ١٤٣ . ١٠ - الكامل ج ١١ ص ١٦٧ .



\* ان رجار الفرنجي صاحب سفينة جهاز اسطولاً نحو مئتي وخمسين شنباً ملوثة رجالاً وسلاحاً \* ١ نشاني وشني مختصة على الاكثر بمراكب الفرن التي من هذا النوع .

والشونة قطعة من قطع الاسطول يقول المقرئ \* بلغ اسطول الفاضلين في آخر ابامهم الى نحو الثمانين شونة وعشر مسحات وشرحالة \* فما تقصر عن مئة قطعة \* ٢ ويقول ايضا \* واستدعى ببيرو البندقدارن شواني الثغور الى مصر - فبلغت زيادة على اربعين قطعة سوى الحرايق والصراك فانها كانت عدة كثيرة \* ٣ ويقول \* فقدم المسلمون شوانهم امام المنصورة ومدتها مائة قطعة \* ٤ .

وقد تضاف شونة الى اسم او صفة تفسر نوعها فيقال \* عشر شواني بحرية . والشواني الحربية \* ٥ ويذكر المقرئ انه منذ زمن المعز لدين الله وبعده بنوه كانت العناية عظيمة بالاسطول \* فواصلوا انشاء المراكب بمدينة مصر واسكندرية ودماط من الشواني الحربية والشلفديات والمسحات \* ٦ ويقول ايضا \* ان الملك الصاهر ركن الدين ببيرو البندقدارن نظر في امر الشواني الحربية واستدعى برجال الاسطول \* وقد يسمى الشيني بالغراب او الطريدة كما ذكر كاتر مير نقلاً عن مخطوطة عربية موجودة في العاتيكار برقم ٢١٧ ص ٨٢ يقول \* اما الشيني ويسمى الغراب فانه يجذف بمائة واربعين مجذافا وفيه المقاتلة والدافون \* ويقول ان هذه المعلومات - نفسها مدونة في كتاب ادب الكاتب ( مخطوطة في سانت جبرمان ص ١١٧ آ ) وفي كتاب السلوك للمقرئ \* فدم لعمل مائة شيني مابين غراب وطريدة برسم من الخيل \* ٨ ومهما تعددت اسماء الشونة واختلفت تسمياتها ونسبها فان لها صفات خاصة وتستخدم في اغوار معينة في الاسطول تعرفها من غيرها من المراكب الحربية الاخرى . فالصفة البارزة في الشونة هي انها مراكب للقتال معدة لحمل الجند

- 
- ١ - المختصر ج ٣ ص ١٩ - ٢ - الخطط ج ٢ ص ١٩٣ - ٣ - نفس المصدر ج ٢ ص ١١٤ - ٤ - نفس المصدر ج ١ ص ٢١٨ - ٥ - هامش السلوك ج ١ ص ١٤٢ قسم ١ اخذها عن خطط المقرئ مخطوطة رقم ٧١٧ ص ٣١٩ ب - ٦ - الخطط ج ٢ ص ١٩٣ - ٧ - نفس المصدر ج ٢ ص ١١٤ - ٨ - السلوك ج ٢ ص ٢١٩ .



والقاتلون والرماة ١ وتشحن بالآلات الحرب بقول ابن شداد \* ووصل ( ملك الانكثار )  
 لي خمس وعشرين شابة ملوثة بالرجال والسلاح والعدد \* ٢ ويقول ابن خلدون -  
 \* وبمكوا فيها الشواني بالرماة ومنعوا الطريق \* ويقول المقرئ \* انه في سنة ٦٩٢  
 تقدم السلطان الملك الاشرف صلاح الدين خليل بن قلاوون الى الوزير صاحب شمس  
 الدين محمد بن السلجوق بنجهيز امر الشواني فنزل الى الصناعة واستدعى الرئيس  
 وهما جميع ما احتلج اليه الشواني حتى كملت عدتها نحو ستين شوته شحنها بالعدد  
 والآلات الحرب ورتب بها شدة من المالبات السطانية والبسم السلاح \* (٢٢٤) ولي الشواني  
 ابراج وقلاع وتقاييس ومرامي النفط بقول المقرئ \* فبررت الشواني واحدة بعد واحدة  
 وقد عمل في كل شوته برج وثلاثة تحاصر والقتال عليها ملح والنفط يرمى عليها وعدة  
 من التقاييس في اعمال الحيلة في النقب وما منهم الا من اظهر في شوته عملا معجبا  
 وصناعة غريبة يفوق بها على صاحبه . . . هذا والشواني تتواصل بمحاربة بعضها بعضا \*  
 ويقول ايضا \* فلما المحرم سنة ٧٠٢ في سلطنة الناصر محمد بن قلاوون جهزت الشواني  
 بالعدد والسلاح والنفطية والازودة وعين لها جماعة من ابناء الحلقة وتذب الامير  
 سيف الدين كهرمان المنصوري الزراقي الى السفر به ومعه جماعة من مالهك السلطان  
 الزراقي وزين الشواني احسن زينة \* . . .  
 فالشواني اذن مراكب للحرب فيها ابراج وقلاع ومناظر وتوابيت ومنجنقات ومكاحل  
 بارود ونفط . وفيها نوتية ومقاتلة واسلحة ٦٠ كما انها تزين بالاعلام بقول ابن -  
 شداد \* وكان اول شاني القى من فيه بالبر شانيه ( ملك الانكثار ) وكان احمر ورقبته  
 وبيرقه احمر \* ويقول المقرئ \* في سنة ٦٩٩ سارت الشواني تريد فبرر وقد عمل ابن  
 حسن رئيس الشواني في اعلامها الملبان يريد بذلك انها تخفى اذا هربت البحر على  
 اللرنج حتى تطرقهم على غلظة \* ٨ وكانت الشواني قبل ذهابها للقتال تزين احسن زينة ٩

١ - هامش السلوك ج ١ قسم ١ ص ١٤١ / ٢ - سيرة صلاح الدين ص ١٢٠ / ٣ - العبر  
 ج ٦ ص ٢٦٣ / (٢٢٤) - الخطط ج ٢ ص ١١٤ - ١١٥ / ٤ - نفس المصدر ج ٢ ص ١١٥ والتدوين  
 ج ١ ص ٢٠٠ / ٥ - نفس المصدر ج ٢ ص ١١٥ / ٦ - حصار العرب ص ١١١ / ٧ - سيرة  
 صلاح الدين ص ١٨٤ / ٨ - الخطط ج ١ ص ١١٤ / ٩ - نفس المصدر ج ٢ ص ١١٥ .



ويظهر ان الشونة مركب كبير يستوعب خلق عظيم . يقول ابن شداد \* واحرقوا  
( المسلمين ) المعدو شائبا كبيرا فيه خلق عظيم فملكوا من آخرهم \* ١ . ويقول المقرئ  
عشرة شواني بحرية فيها عشرة الاف مقاتل وهذا عند انقراض الدولة الفاطمية \* ٢  
ويقول ايضا \* اخذ المسلمون شونة للفرنج فيها كند وشتا رجل \* ٣ .  
ان تلك الاعداد التي يذكرها المقرئ تبيّن ان حجم الشونة كبير وان هذا  
الحجم يختلف من شونة الى اخرى فبعض الشون اكبر من بعض . وعلى العموم ليست  
الشون مراكب صغيرة . ويصف البرقوقي الشونة فيقول \* هي اجفان حربية كبيرة تقام  
فيها الابراج والقلاع للدفاع والهجوم - واهراجها ذات طبقات مربعة - فالطبقة -  
العليا منها تنفذ فيها الجنود المسلحة بالقيسي والسهام - وفي الطبقة السفلى  
الملاحون الذين يجذبون بنحو مائة مجذاف وقذح ويتراوح ماتحطه الشونة من المقاتلة  
ما بين المائة والخمسين وبين المائتين - وتجهز الشواني وقت الحرب بالسلاح والنفطية  
والازودة بلبه الجنود البحرية \* ٤ .  
وقد وصف ابن حمديس الشونة بقوله :

انشأت شواني طائفة	وبنيت على مائة مدنا
بيروح قتال تحسبها	في شم شواققها قننا
ترمي بيروح ان ظهرت	لعدو ومخرقة بطسنا
ويغطف ابيد تحسبها	ما به تذكى السكنا
ضمن التوفيق لها ظفرا	من هلك عدائك ماضنا * ٥

هذه هي الشونة كما عرفها العرب وقد كان للروم والافرنج شواني تطرق  
بلاد المسلمين وتغزى سواحلهم . قال المسعودي \* يقطع الروم في الشواني على  
المسلمين في البحر الرومي من ساحل الشام ومصر \* ٦ . ويقول صالح بن يحيى :

---

١- سيرة صلاح الدين ص ١٢١ / ١- الخطوط ١ ص ٩٤ / ٢- نفس المصدر ج ١  
ص ٢٢١ / ٣- حضارة العرب ص ١٦٥ - ١٦٦ / ٤- نفس المصدر ص ١٦٤ / ٥- مروج  
ج ١ ص ٢٦٦ .



• في سنة ٧٣٤ هـ حدثت شواني الفرنج جنوة الى بيروت فاصدين اخذ قرقور -  
( سفينة طويلة معربة عن اليونانية ) لطائفة الكليلان ١ •

فما هي اذن صفات شواني الفرنج ؟ وهل هي كشواني المسلمين ام هناك  
بعض الفروق ؟ : يطلقو كاتر مير كلمة Galere الافرنسية على الشونة ٢ كما ان  
كلمة Galley الانكليزية تناسب الشونة العربية وهي مرادفة في المعاجم الانكليزية -  
الافرنسية الى Galere الافرنسية فهل يمكننا تجوزا ان نسمي الشونة العربية بـ

Galley ؟ اني ناستعمل لفظ شونة لتلك الكلمة الاعجمية Galley لاني اراها  
مناسبة لينا وقد استعملها كاتر مير من قبل • ولترى الان وصلاً N.Barna الى Galley  
قال ان احسن السفن المستعملة في اوائل القرن الثالث عشر اى حوالي سنة  
١٢١٦م هي الشواني Galleys وكانت تسير بسوف الى السفين من المجازيف -  
ويجلس علي مسنحتها ومن جانبيها مسائر برندون السوف ويتمتعون باسيوف ، شاهر من  
الرمال ومحتشبين خلف مجناتهم الخولادية • وفي الشونة صار واحد يدهن غالبا بالوان  
لامعة وقد يظلى بالذهب • وتنفق في اكل هذا العمار وفي كل مكان مناسب  
اعلام ورايات ترفرف عند هبوب الريح • وفي الشونة ثراء يذبح غالبا من القطر المصور  
عليه والنقوش باجر الصور • ويسير من حول السارية في هذه الشون ان الاشعة  
كانت مثلثة الشكل • وفي اعلى الابراج حناديق مدورة " توابيت " تستوعب في داخلها  
عدد اشخاص واكثر ما يكون ستة فقط في اكبر انواع الشون • وطبقتهم سحب الاحجار  
الكبيرة والاجر والقضبان الحديدية من الاسفل وقدنها على السفن المعادية لتقبها  
واغراقها ••• وفي نهايتي الشونة سطوح مرتفعة تدعى قلاعير من اعلاها سهام  
مربعة الرؤوس ومرشحة الطرفين برش عاذر او يقطع نحاسية يقذفها الرماة بايديهم او  
بواسطة جروج Springald • ويقذفون احيانا جزار النورة على عيون اعدائهم  
ويستخدمون النار اليونانية لحرق سفن اعدائهم وهذه النار بقي استعمالها قرنا متاخرا  
حتى بعد ادخال المدفع Ordnance في معدات الشون • وعلاوة عما تقدم فان



لكل شونة جديدة رفعة تدعى الاسطاف *Spur* ترتكز في مقدم الشونة تثقب بها جوانب  
سفن الاعداء " ١ وصف *Von Kremer* المراكب البيزنطية المدعوة *Byzantine*  
*triremes* بوصف قريب من *Galley* وفي آخر وصفه لها يقول ان ال *Galley*  
مراكب اسفري من *Trireme* ونستحدث بصورة خاصة للهجوم والانقसार " . فالفرق بين  
*Galley* و *Trireme* ان يتعلق بالهجوم والسرعة فقط ولذلك لا بأس بذكر ماثاله  
عن المركب المدعو *Trireme* لتتعارف بواسطته على هذا النوع من المراكب البرنسية  
المقاربة للسفن العربية . وينقل *V. Kremer* وصفه هذا من *LeoThe wise*  
من كتابه *Taotica xli,9* يقول " يوجد في *Triremes* خمس وعشرون مقعدا  
على الاقل في كل من ... عليها *Decks* ويجلس على كل مقعد رجلان للتجديف .  
لذلك فلا يقل عدد المجذفين عن المئة . وعلى كل جانب من هذا المركب يجلس  
صفان من الرجال . كل سف فيه خمس وعشرون رجلا ، وسلمة مؤلف من طبقتين الواحدة  
فوق الاخرى والنوتية فيه يعتبرون بنفس الوقت جنودا للقتال . وفي مقدم هذا المركب  
اسطوانة من النحاس لقدم النار اليونانية ويرى كالقلاع يجلس عليها الجنود لرمي مراكب  
العدو . وعدد رجال النحر الكبير من هذه المراكب مئتا رجلا ، خمسون منهم للتجديف  
والمئة والخمسون الباقين لقتال العدو من السطح العلوي *Upper deck* " ٢  
ويوافق الاستاذ حتي مقاله *Von Kremer* من ان الاسطول العربي شبيه  
بالاسطول البيزنطي وماخوذ عنه . وعندما يصف قدامه الحربية يقول ان ال *Galley* مذكوره  
*V. Kremer* عن المركب المدعو *Trireme* ولعله اخذ منه " .  
هذه هي الشونة عند العرب والافرنج وهي كما رأيت مراكب للقتال مختصة لحمل  
الجنود والمقاتلين فيها ابرار وقلائ برؤى عنها النفت والسماح والنار اليونانية وغيرها  
تسير بالمجاديف وقد يكون فيها اسرعة . ولا فرق كبير بين شواني المسلمين والافرنج  
وان واجه وجد بعض الفروق فتكون في نوع المعدات والاسلحة التي يحملها الجنود  
وكثرة العدد والعدد او قلته في تلك المراكب .



### الطريدة

تجمع طريدة على طرائد كما يقول المقرئى \* سوى الحرائق والطرائد \* ١ وابن جبير يقول \* جهر صاحب صقلية اسطولا هذه اجفاته فيما يقال ثلاثمائة بين طرائد ومراكب ولم اجد في معاجم كلمة طريدة بمعنى نوع من المراكب وانما وجدت كلمة طراد \* بمعنى سفينة صغيرة وسريعة السير والجرى \* - ويقول كاترمير ان كلمة غريدة في لغة منر تفيد معنى مركبا للنقل \* وان هذه الكلمة حفظت في اللغة العربية تحت لفظ ( طراد ) ويستعملونها كثيرا في الكتب العربية التي نشرها Sousa ١ ويستعملها الرحالة Niebuhr بمعنى المراكب التي تافر ما بين اليمن وجده \* وقد نقل كلمة طريدة في القرون الوسطى الى لغات ادم الاوربية \* الكاتب البزنطي Pachymeros وغيره من الكتاب البزنطيين يستعملون جمع هذه الكلمة بالشكل الاتي  $\tau\alpha\rho\iota\delta\epsilon\varsigma$  اما كتاب اللاتين فكانوا يكتبونها في القرون الوسطى ايها بالشكل الاتي Tarida tarita, tarata ونقرأ في كتاب وصمه Sannta (٥)  $\tau\alpha\rho\iota\delta\epsilon\varsigma$  ان الجنوبيين من نزلاء Pesa كانوا يستخدمون في نقل ازوادهم واخشابهم مراكب تدعى Taratou ونجد في التقارير التي قدمها مجلس الهندية لسفير ملك تونس كلمة - Tarida مذكورة عدة مرات فلمن هاتين الكلمتين Tartana , Tartane نشأنا من كلمة صريده \* - ويفسر لامسر كلمة Tartane الفرنسية بمركب صغير في البحر الابيض المتوسط ويقول ان الكلمة الاسبانية Tarida وجمعها Teride والكلمة الانجليزية Tartane هما على العموم اشتقتا من اللغة العربية ولعلها آتية من طريدة التي هي مركب للنقل ويتسأل ويقول من اين اتى لفظ  $\tau\alpha\rho\iota\delta\epsilon\varsigma$  في اللغة الانجليزية ؟ فيجيب ان العرب عندهم ايها لفظ طراد \* ٢ .

١ - الخطط ج ٢ ص ١٩٤ / ٢ - رحلة ابن جبير ص ٢٢١ / ٣ - تاج المروس

وملاحق دوزى مادة ( طرد ) والتمدن ج ١ ص ٢٠٠ / Documents arabiques

P.128, 129 - Secreta fidelium crucis. PG. 58,65 - هاش

السلوك ج ١ قسم ١ ص ١٤٤ - ٢ - ملاحظات لامانس ص ٢١٧ .



ويقول البرقوتي \* ان الاسبان اخذوا كلمة طريدة فقالوا Tariddo وقال

الطلبان Tartana وقال الفرنسيون Tartan . ١

ومهما كان شأن هذه التسمية فللطريدة خاصية بارزة تميزها عن غيرها من قطع

الاسطول وهي انها معدة لنقل الحيوان . وتكاد اقوال المؤرخين تنفق على ذلك .

يقول ابن الاثير \* جهر صاحي صفلية سنة ٥٢٠ ع اسطولا كبيرا عدته مائتي شيني

تحمل الرجال وستا وثلاثين طريدا تحمل الخيل \* ٢ لكما ان الشواني لحمل الرجال

فالترايد معدة لحمل الخيول في الاساطيل . ويقول ابن شداد \* وصلت كتب من

بيروت انه وقع قد اخذ من ماركب الانكثار القاصدة نحو عسكر العدو خسر مراكب

وطرايد فيها خلق عظيم رجال ونساء وميرة واخشاب والآت وغير ذلك وفيها ارمون

فارسا \* ٣ فبالرغم من مختلف انواع الحمولة التي تحملها الطرايد فابن شداد يقول

ان فيها اربعون فارسا ما يدل على ان الطريدة تحمل الخيل . وينقل كاتر مير عدة

تصور توالق ما ذكرت . فويذكر من جمال الدين بن واصل مايلي ٤ \* كانت عدة

الطرايد ستة وثلاثين طريدة تحمل الخيل \* وينقل كاتر مير ايضا من التويري مايلي ٥

\* ستة وثلاثون طريدة تحمل الخيل \* ومخطوطة الفاتيكا رقم ٢٦٧ ص ٨٢ تحدد

محمول الطريدة باربين فرسا فنقول \* اما الطريدة فانها يرسم حمل الخيل واكثر

مايحمل فيها ارمون فرسا \* ٦

ويصف ابن بطوطة الطريدة فيقول \* وكان عندنا طريدتان مفتوحتي المؤخر فيها

الخيل وهي بحيث يركب الفارس فرسه في جوفها ويتدح ويخر . ٧ \* فبدلنا ابن

بطوطة عن كيفية حرق الخيل من الطريدة وذلك بفتح مؤخرها وخرق الفرسان من الطرايد

وهم على ظهور خيلهم . ويذكر ايضا ان في الهند مراكب تسير في نهر السنندندي

١ - هامش حاضرة العرب ص ١٦١ / ٢ - الكامل ج ١١ ص ١٦٧ و حاضرة العرب

ص ١٦١ او هامش Corpus ١٠ Et. Egypte. Tome ١٦٦٥ ص ٣٣٣ Amari P 333

٢ - سيرة صلاح الدين ص ١١٧ / ٤ - تاريخ الابهيين مخطوطة عربية ص ٢٢

٥ - التويري القسم ٢٦ من مخطوطة ليدن ص ١٢ ب ٦ - هامش السلوك ج ١ قسم ١

ص ١٤٤ / ٧ - رحلة ابن بطوطة ج ٢ ص ١٤٦ .



تسمى باهوره شبيهة بالطريدة وهي نوع منها وتسمى بالمجازيف . ١ فلعل الطرائد تسمى أجمعاً بالمجازيف وأرجح ذلك بالرغم من أنني لم أحصل على نص سوى ما قاله ابن بطوطة يؤيد هذا القول .

### البارجة :

يقول الزبير . \* البارجة سفينة كبيرة وجسمها البوان وهي القراير والخلايا . قال الاصمعي وقد غيره فقال أنها سفينة من سفن البحر تنفذ للقتال . والبارج السلاح الفاره \* ١ . ونشر دوزي كلمة بارجة بما يلي \* أن كلمة بارجة مأخوذة عن الهندية — بيره — وهي عشاري يستخدم في الهند ٢ وينقل عن البيضاوي ما يلي : أن بارجة تستعمل كسفينة في اللغة العربية فيقولون سفينة بارجة بمعنى لاغاة عليها وهذا اشتقاق خاطيء دون شك . ويقول لامر \* أن Barga أو بارجة هي زورق مسطح وأصلها اللاتيني Barga والالياني Borgia والبرونسي Barga . وعلماء الاشتقاق في تبليز في معرفة أصل هذه الكلمة . أفلا يمكننا أن نعتبرها قريبة من كلمة بارجة العربية ؟ وهي بعرف القاموس المراكب الحربية . . . . . ومهما كان الأمر فمن المؤكد أن لهذه الكلمة معنى غير الذي شرحه القاموس إذ أنها تدل على مركب أو زورق قرصان الهند كما يذكر ذلك كتاب عجائب الهند ص ١١٤ وغيره من المؤلفين . ويعتبر المصنف البارجة سفينة حربية تستخدم في بحر الهند كالشونة في البحر المتوسط يقول \* رناور إلى جزيرة سقطرة بوان الهند الذين يقدمون على المسلمين في هذه البوان ، وهي المراكب ، على من أراد الصين والهند وغيرها . كما يقطع الروم في الشواني على المسلمين في بحر الروم من ساحل الشام ومصر \* ١ . وقد أخذ المسلمون البوان من الهند واستخدموها في قتال أعدائهم . يقول البلاذري \* وجه عمرو بن جمل في بواني إلى نارند ، ووجه إلى ناحية الهند فافتت قشمبر \* ٢ .

١- رحلة ابن بطوطة ج ٢ ص ٧ / ٢ - تاريخ العروة مادة \* بين \* - مطبق دوزي مادة بين  
٢- البيضاوي ج ٢ ص ٣٠ / ٥ - ملاحظات لامر ص ٤٥ / ٦ - تاريخ ابن بطوطة ج ٢ ص ٢٢ / ٧ - فتح البلدان ص ٤٤٩ .



- واني آسف جدا ان المعلومات عن صفات البارجة وكيفية اجرائها وشكلها -
- معدوم في المصادر التي رجعت اليها ولعل<sup>٣</sup>/قول المسمودي السابق ان البوارج -
- كالشواني <sup>٤</sup>مهور بصي\* لنا هي صورة البارجة من خلال الشونة التي تقدم وصفها .

### الجفنة :

- يقول دوزي في تعريف الجفنة \* جفنة جمعها جفان ، وهي مركب حربي \* ١
- اما ابن جبير وابن بطوطة في معونها على اجفان بالهمزة ويجعلونها مراكب للقتال .
- يقول ابن جبير \* والنار يرمى الطون في مقصد هذا الاسطول الذي يحاول هذا
- الطاغية تعبيره وعدد اجفانه فيما يتول شراكة \* ٢ ويقول ابن بطوطة \* ولقينا اربعة
- اجفار فقاتلتنا بسيما ثم انصرفت \* ٣ وقد سمعت ابن بطوطة كلمة حربية الى اجفان -
- فيقول \* وكان يسافر في الاجفان العربية لحرب الروم \* ٤ .
- فالجفنة اذر مركب حربي وقصده من قطع الاسطول \* معدة لمحرب والقتال .
- اما شكلها وصفها وكيفية اجرائها فليس واضح في كتب المؤرخين وفي النسخ التي ترد
- فيها هذه الكلمة .

### الشلندى :

- يقول البستاني في معجمه الشلندية نبي من السفر ٦ اما دوزي فيقول ان
- كلمة شلندى آتية من اللغة البرنسية [Scheland] اخذها الروم فسموها شولندا
- Schelanda وتال العلجان منها Sozialanda وهي تجمع على شلندية وشلنديات ٧
- والجمع الاخير هو المستعمل غالبا عند مؤرخي العرب لاننا نجد اكابر المؤرخين وقدماهم
- يستعملونه . فالظنون مثلا يقول \* ويقال ان الروم الذين كانوا في الشلنديات التي
- اتاخذت بدمياط كانوا نحو من خمسة الاف رجل \* ٨ وابن الاثير يقول \* فانهم

---

١ - ملحق دوزي مادة \* جفن \* / ٢ - رحلة ابن جبير ص ٢٢١ / ٣ - رحلة ابن بطوطة ج ٢  
ص ١٧٧ / ٤ - نفس المصدر ج ٢ ص ٢٥٠ / ٥ - الزمهر ص ١٨٨ / ٦ - المحيط مادة -  
" شلند " / ٧ - ملحق دوزي مادة " شلن " / ٨ - الصبرى الجملة الثالثة ج ١١ ص ١٤١٨



الروم واخذ منهم المسلمون عشر شلنديات برجالها \* ١ والمقرنزي يقول ايضا \* وان يكون ما ينشأ من الجرائي والشلنديات في السناطة بالجزيرة \* .

ويقول لامني \* ان الكلمة الافرنسية Chaland والكلمات اللاتينية Aalandre

Chelandium chelandrium انواع من المراكب المستطحة ، وقد وجدت هذه الكلمة

Chaland في انشودة رولان Roland ويتردد M.Davie في ان تكون هذه

الكلمة العربية شلندى تستعمل ايضا لمراكب الدرب \* ٢ اني لاجد مبررا لتردد

Davie في ان تكون كلمة شلندى العربية مستعملة لمراكب الحرب فالنصوص العربية

واصح في استخدام هذا النوع من المراكب في عداد قطع الاسطول . واطنه خلط

بين المعنيين العربي والافرنجي لهذه الكلمة . يقول V. Berchem \* ان اللفظ

العربي شلندى هو نفس اللفظ الافرنسي Chaland الا ان المعنيين اللذين -

يدلان عليهما اللفظان مختلفان في اللغتين فمعنى اللفظ العربي كما يقول ابن ماتي

يدل على مركب مستطوح ذو سطحين Double Pont يقف على السطح الاعلى المحاربون

وفي السطح الاسفل يكون المجذفون . اما معنى Chaland الافرنسي فهو نوع من

القوارب \* ٣ وقد رجعت للمعجم Larousse لاري وصدف هذا النوع من القوارب

فوجدته مايلي \* Chaland كلمة يونانية الاصل آتية من Chelandion ومعناها

مركب مسطح من الخشب او الحديد مستطيل الشكل مختص لنقل البضائع والانتقال في

الانبار ويستعمل في المرافئ لتفريغ المراكب وتحميلها ( وتجر من قبل غيرها عند سيرها

او تدفع بقصيب من الخشب اذا كانت الاماكن قليلة ) \* ٤

واضح ان هذا المعنى الاخير لكلمة Chaland هو الذي دفع به Davie

ان يحكم بان الشلندى المستخدم عند العرب لم يكن مركبا حربيا .

وهناك كثير من النصوص العربية القديمة تدل تماما على ان الشلندى قطعة

من قطع الاسطول اذكر منها مثلا قول ابن الاثير : \* ولما سمع الروم بطلب المسلمين

قصر يانه في صقلية ارسل ملكهم بطريقا من القسطنطينية في ثلاثمائة شلندى وعسكرا

كثيرا \* ٥ ويقول ايضا \* في سنة ٥٤٣ سار عبد المؤمن صاحب المغرب لمدينة

المهدية واقبل اسطوله في البحر في سبعين شينيا وطرودة وشلندى \* ٦ .

( الهامش في الصفحة التالية )



فالشندى اذن كما يدل عليه قول ابن الاثير المتقدمان قطعة من قطع الاسطول  
لحمل الجند والعسكر . كما ان المقرئى في قوله الاتيين يعطي تقريبا المعنى نفسه  
فهو يقول " انشا المعز لدين الله المراكب الحربية واقتدى به بنوه وواصلوا انشاء —  
المراكب الحربية والشنديات والمسطحات " ٧ ويقول ايضا " كان من اهم امورهم ( —  
الفاطميين ) احتفالهم بالاساطيل والاجناد ومواصلة انشاء المراكب بمصر والاسكندرية —  
ودمياط والثواني الحربية والشنديات والمصفحات " (\*) مما تقدم نرى ان الشندى مركب  
مسقف ذو سطحين يسير بالمجانيف وهو قطعة من قطع الاسطول يحمل الواحد منه على  
حد قول الطبرى " ما بين الخمسين رجلا الى المائة " ٨ .

#### المسطح :

جمعه مسطحات ويسمى ابن شداد بالسح . ويقول دوزى لعنه سمي بالمسطح  
لوجود سطح فيه ٩ وقد انتقلت كلمة مسطح الى اللغات الاخرى باخذها الاسبان  
ودعوها Mistico وانتقلت الى التطلانية باسم Mestech والى الفرنسية باسم Mistikus  
او Mistio ١٠ والمسطح قطعة من قطع الاسطول يحمل الواحد منها اكثر من  
خمسة شخص يقول ابن شداد " وصل الخبر ان الاسطول الاسلامي استولى على

- ١ — الكامل ج ٧ ص ٤١ طبعة ليدن سنة ١٨٦٥ K / — الخط ج ١ ص ٤٨٢ /
- ٢ — ملاحظات لامس ص ٨٢ / ٢ — هامس 165 Corpus Is Pt, Egypt Tome 2e P.
- ٣ — Larousse du XX<sup>e</sup> siècle, Paris, Librairie Larousse "Chaland"
- ٤ — الكامل ج ٧ ص ٤٢ طبعة ليدن سنة ١٨٦٥ ٦ / — نفس المصدر ج ١١ ص ١٥٦ /
- ٥ — الخط ج ٢ ص ١١٢ / K ( ) نفس المصدر ج ١ ص ٤٨٢ / ٨ — الطبرى
- الجملة الثالثة ج ١١ ص ١٤١٧ / ١ — ملحق دوزى مادة ( سطح ) / ١٠ —
- ملاحظات لامس ص ١٦٦



مراكب الاغريق وفيها مركب يدور بالسطح قيل ان كان فيه خمسائة نفر وزائد على ذلك \* ١ وكثيرا ما يقرب المقرن المسطح مع الشلندي ولعل ذلك راجع للشبه الشديد بينهما فهو يقول \* الشواني الحربية ، والشلنديات ، والمسطحات \* ٢ فهو ان مركب حربي وقطعة من قطع الاسطول لحمل المعركة . يدل على ذلك قول المقرن الثاني \* وظفر المسلمون بمسطح للفرن في البحر فيه مقاتلة \* ٣ .

### الغراب :

لم اجد في المعاجم العربية القديمة كلمة غراب بمعنى نوع من المراكب . اما في المعاجم الحديثة فيذكر دوز \* ان غراب جمع غرات ، واغرة . فالمؤرخ *Amari Dipl. 8, cout. 7 r<sup>o</sup>* يذكر ما يلي : انشا غرابات واخذ من مراكب التجار . فبينا جمعت كلمة غراب على غرابات وهي بمعنى النسوة *Galère* \* ٤ اما جمع غراب على اغرة فيتردد كثيرا في كلام صالح بن يحيى يقول \* رسم السلطان بارسبار بتعمير ثلاثة اغرة \* ٥ وبعد ذلك بقليل يذكر ايضا \* فكانت خمسة اغرة \* ٦ ويقول ايضا \* في سنة ٨٢٨ عمر السلطان بارسبار في مصر عدة اغرة \* ٧ اما ابن خلدون فيجمع غراب على غريان فيقول \* وكانوا فيما قيل سبعين اسطولا من غريان وشواني \* ٨ .

وقد انتقلت هذه الكلمة الى لغات شتى *Von Kremer* يقول \* ان الكلمة *Corvette* آتية من كلمة غراب العربية . ثم يذكرني الهامش ان هذه الكلمة موجودة في

اللغة اليونانية بالشكل الاتي *Golafros, golabros and golafos* \* ١

ويقول ان كلمة غراب العربية بمعنى نوع من المراكب ظهرت سابقا في قاموس *Schia- parelli*

١- سيرة صلاح الدين ص ١٥٤ / ٢- الخطط ج ١ ص ٤٨٢ وايضا ج ٢ ص ١١٢

٢- نفس المصدر ج ١ ص ٢١ / ٤- ملحق دوزي مادة " غراب " ص ٥- تاريخ بيروت

ص ١٢ / ٦- نفس المصدر ص ٢٢ / ٧- نفس المصدر ص ٢٢ / ٨- العبر ج ٦

ص ٣٠ / ١- وقد نقل ذلك عن *of. Ducange: Glossarium infimae graecitatis und Muratori. Rerum itabioarum, etc. VI, 112*



تحت كلمة Galea ولكنها أصبحت الآن غير مستعملة في اللغة العربية بهذا المعنى " ١ . ويقول لامزر " ان كلمة Corvette الفرنسية الاسبانية Corbetta و Corveta البرتغالية يمكن ان تكون آتية من غراب الكلمة العربية . كما فسر ذلك Amarī, Bibl. Arab. Sic. " ٢ ويقول في مكان آخر " ان كلمة Gorab, Gorabo, Corabo Currabi, guarapi الاسبانية لعلماء آتية من غراب العربية . وحسب الخفاجي في كتابه شفاء الغليل ص ١٦٢ ، ان كلمة غراب كلمة مختصة تماما بالمغرب . ونجدها ايضا بمعنى نسوة في كتاب الرحلة في اسبانيا لسفير مراكشي " ٣ . ويقول مصطفى رياده " ان الكلمة الانكليزية المعادلة لكلمة غراب ثبت بانها نوع من سفن الحرب ومعجم الفوائد الدرية بسميث Corvett اما معجم Johnson وهو قاموس عربي فارسي انكليزي فيدعوها Grab . وقد مر هذه الكلمة Webster في قاموسه الدولي بما يلي " الغراب Grab زرق يستخدم في اشواحي صغير الحجم حربي الجنوب . . . يستخدم عند اهل المازو . له غالبا حاربين واشعة " ٤ اما دوزي ففسر الاغربة " بانها مراكب صغيرة شرابية ذات مجاديف تستعمل للسباحة " ٥ والغراب مركب حربي كبير فيه مايقارب المئة مقاتل كما يقول صالح بن يحيى - " وورد مرسوم شريف بثوجه امراء الغرب معهم فتوجهت معهم مقدما على الغراب العتيق وهو غراب عمل في بيروت مقدما على هذه الايام الذي توجه الشاميون فيه الى قبر . وكان معي قريب من مائة رجل بحرية ومقاتلة وكان الغراب المذكور احسن الاغربة مثبأ " ٦ والغراب الذي كان صالح بن يحيى مقدما عليه صغير بالنسبة الى غيره من الاغربة المعروفة في ذات الوقت ان الاغربة ليست متساوية الحجم فبعضها كبير وبعضها صغير . وسالم بن يحيى نفسه يقول ذلك " رسم السلطان بارسباى بتعبير ثلاثة اغربة من مصر احدها صغير وغرابان كبيران كاملان وحسرت الى بيروت . ورسم

١- The Orient P. 362 ٢- ملاحظات لامزر ص ٩١ / ٢- نفس المصدر

ص ١٢٠ / ٤- مجلة الجامعة المصرية هافر ص ١٠٥ / ٥- مطبق دوزي مادة (غرب)

٦- تاريخ بيروت ص ٢٢١ / ٥٧



ورسم ايضا ان يتوجه معها غراب صغير ببيروت وغراب آخر كان في طرابلس كبير \* ١  
والاغرة تسير بالمجاذيف . ويختلف عدد المجاذيف بحسب كبر الغراب وصغره . يقول  
صالح بن يحيى \* في سنة ٨٢٨ عمر السلطان بارسباى في مصر عدة اغرة كبار وصغار  
ورسم بعمارة غرايين احدهما بثمانين مقدانا والثاني باربعين \* ٢ ويقول في مكان  
آخر \* فكانت خمسة اغرة ثلاثة كبار بمائة وثمانين مقدانا كل واحد واثنان كل منهما  
بدون المائة \* ٣ . ويقول ابن بطوطة \* ان الغراب يحقد حين القتال حتى لا ينال  
الجذافين سيء من السم ولا الحجارة \* ٤ . وذكر فون كروبير في حاشية كتابه \*  
ان هذا النوع من المراكب دعي بهذا الاسم لسواد لونه ويمكن ايضا ان يكون بسبب  
شكله الغريب \* ٥ ولعله اخذ هذا المعنى من تفسير الكلمة " غراب " في المعاجم  
العربية التي تصف الطائر المعروف بالغراب بصفات احب ان يطبقها على هذا النوع  
من المراكب .

### بطمسه او بطمسه :

كثيرا ما ترد بطمسه في كتب المؤرخين وقد ترد بالشين . وتدل في الحالتين  
على نوع واحد من مراكب الاسطول . فالمعري ذكرها بالشين ويقول \* في سنة  
٦١٨ عند حصار ديباط تابع مجيئ الملوك حتى بلغت عدة فرسان المسلمين نحو -  
اربعين الف فارس فهاووا الفرج في البر والبحر واخذوا منهم ست نواتي وجناسة  
وبطمسه \* ٦ . اما ابو العلاء فتارة يذكرها بالشين واخرى بالشين يقول مثلا عند  
ذكره اباها بالشين مايلي \* وصل اسطول المسلمين في البحر مع حسام الدين لولو  
وكان شهما فطمر ببضعة للفرج فاخذ ودخل بها عكا \* ٧ واما ذكره لها بالشين  
فيتضح لنا من القرون التالي \* في حصار عكا احضر الفرج بطمسه فيها منجنيق يرمي

١- تاريخ بيروت من ٢٢٠ / ٢ - نفس المصدر من ٢٢٠ / ٣ - نفس المصدر من ٢٢٠

٤ - رحلة ابن بطوطة ج ٢ من ١٢٠ / ٥ -

The Orient P. 362

٦ - الخطط ج ١ من ٢١٨ / ٧ - المختصر ج ٢ من ٧٧ .



علينا وعلى خيما من جهة البحر فكنا منه في شدة " ١ .  
 ويدلي كاتر مير بنصير عديدة تبين لنا استعمال المؤرخين لهذه الكلمة أحيانا  
 بالسین واخرى بالشين يقول : " ان كلمة بطسه بالضم تفسر بمركب حربي ، اذ اننا  
 نقرا في تاريخ حلب ٢ مايلي جهاز الفرنج بطسا متعددة لمحاصرة برج الذبان .  
 ثم يقول : جعلوا على صواری البطس برجا . ويقول في مكان آخر جعلوا في البطسة  
 وقودا كثيرا . . . وفي تاريخ بيت المقدس ٣ القوا على تباره بسط البطس ثم يقول  
 ص ١٥٨ آ بطس للازواد والمير نافلة . ويقول ص ١٥٨ ب : بطسة كبيرة تشمل  
 على ميرة وذخيرته . ~~في نسخة~~ اما ذكرها بالشين فهو في الاقوال الاتية ينقل عن -  
 النويري ٤ مايلي وقع على بطسة كبيرة للفرنج . ثم يقول ص ١٢٠ ب عملوا برجسا  
 من الخشب على بطسة كبيرة وفي ص ٢٠٤ آ يقول عمدوا الى بطسة من البطس .  
 ويقول ايضا عبا بطسه ثانية . واخيرا يذكر : البطس الاسلامية " ٥ .  
 وتجمع بطسه على بطس يقول ابن شداد " جهاز العدو بطسا متعددة " ٦  
 ويقول ابن الاثير وصل منهم الملك فيليب ملك انرسييس وكان معه ست بطس كبار  
 عظيمة " ٧ وينقل صالح بن يحيى عن النويري مايلي " في سنة ٦٩٨ وصل الى  
 بيروت مراكب كثيرة ويطس للفرنج فيها جماعة كثيرة من المقاتلة . يقال ان البطس كانت  
 ثلاثين بطسة " ٨ . واحيانا تقرن كلمة بطسة بالفرنج عندما تكون خاصة بهم يقول  
 ابن الاثير " فجا' الخبر لصلاح الدين وهو على بيروت ان البحر قد القى بطسه  
 للفرنج " ٩ ويقول ابو الفدا " فظفر ببطسة للفرنج " ١٠ او تقرن كلمة بطسه

- 
- ١- المختصر ج ٤ ص ٢٥ / ٢- مخطوطة رقم ٧٢٨ ص ٢١٨ ب / ٣- عماد الدين  
 الاصفهاني مخطوطة رقم ٧١٤ ص ١٢٤ ب / ٤- مخطوطة في ليدن ص ١٠٢ ب
  - ٥- هامش السلوك ج ١ قسم ٢ ص ٨٦ / ٦- سيرة صلاح الدين ص ١٠٠ /
  - ٧- الكامل ج ١٢ ص ٢٤ / ٨- تاريخ بيروت ص ٢١ / ٩- الكامل ج ١١ ص ١١٦
  - ١٠- المختصر ج ٢ ص ٧٧ .



بالاسلام عندما تكون للمسلمين يقول ابن شداد \* وعبرا ( الفرنج ) بطشة ثانية وملووها  
حطباً ووقوداً على انهم يدفعون بها الى ان تدخل بين البطر الاملاية ثم يلهبونها  
فتحرق البطر الاملاية \* ١ .

وقد انتقلت كلمة بطشة الى اللغات الاخري يقول لامنس \* ان كلمة بطشة  
Patacha تنبت في القديم مركبا حريبا مدورا مرتفع السطح . والان فهي تنبت مركبا  
لدراسة الشواطي \* . وهي باللغة اليابانية <sup>za</sup> Albat Patrochi وفي البرتغالية  
Albatosa, Pataxo, Patacho وفي الايطالية Patachia, Patassa,

ولعلها آتية من بعضه او بنسبه العربية التي تنبت مركب حربي \* ثم يقول : / وهذه  
اللفظة ليست قديمة في الحسان العربي وقد بدا استعمالها ينتشر في زمن السليبيين  
على السفة الكتاب الشرقيين . وفي الناصر يقول كايين الاثير في كتابه الكامل للتاريخ  
وبها الدين في كتابه سيرة صلاح الدين ، والنويري ، وابو الفداء ، والمقرئزي ،  
واسامة بن منقذ ص ٢١ وغيرهم \* ٢ .

والبطر المستخدمة عند المسلمين والفرنج ليست متساوية الحجم فبحسبها كبير  
جدا وبمسبها صغير بدلتا على ذلك مقدار ما استوعبه من الرمال . فابن الاثير يذكر  
\* ان البحار قد التي بطشة للفرنج فيها جمع عظيم منهم الى دمياط كانوا قد خرجوا  
لزيارة البيت المقدس . فاسروا من بها بعد ان غرق منهم كثير فكان عدد الاسرى ،  
- ١٦٤٦ - اسيرا فصرت بذلك البشائر \* ٣ فعدد من اسر هو - ١٦٤٦ - وغرق  
في البحر كثير منهم ، فما هو العدد الاثني باثني ٢٢ . لاشك ان حجم البطشة  
بحسب هذا النسخ الذي يورده ابن الاثير كان كبير جدا . وليس هذا النسخ هو  
الوحيد الذي يدل على سعة البطشة فالمقرئزي يقول \* واتفق مرة ان قدم على الاسطول  
سيف الملك الجمل فكسب بطشة عظيمة فيها الف وحمماية شخص \* ٤ ويقول كاترمير

نقلا عن \* تاريخ بطارقة الاسكندرية L'histoire des Patriarches deAlexandrie  
n. 140, p 440

١- سيرة صلاح الدين ص ١٠١ / ٢- ملاحظات لامنس ص ١١٢ / ٣- الكامل ج ١١  
ص ١٦٦ / ٤- الخطط ج ١ ص ٤٨٠ و هامش السلوك ج ١ قسم ٢ ص ٢٧٢ .



ان بطسة بحجم عظيم جدا كانت لامبراطور المانيا كانت تحمل اسم " نصف الدنيا " ١  
فلو لم تكن كبيرة جدا لما دعت بذاك الاسم ولما وصفها ذاك المؤرخ بانها عظمة الحجم  
وبرد عند المؤرخين الشرقيين اوصافا للبطسة تدل على عظمها ~~لذلك~~ نمثلا يقول ابن  
الاثير " وصل الملك فيليب ملك افرنسيين وكان معه ست بطر كبار عظمة " ٢ والنويري  
يقول " وقع على بطشة كبيرة للفرنج " ٣ ومن الاعداد التي يذكرها المؤرخون عن ركاب  
البطسة نستدل على سعتها وكبر حجمها . يقول ابن الاثير " لما وردت الاخبار -  
بوصل ملك الانكلتار امر صلاح الدين بتجهيز بطسة كبيرة ملوثة من الرجال والعدد  
والاقوات فتجهزت وسيرت من بيروت وفيها سبعمائة مقاتل " ٤ . فعلاوة عما في هذه  
البطسة من الاسلحة والاقوات كانت تحمل سبعمائة مقاتل . هذا العدد يدلنا -  
دون شك على عظم البطسة وسعتها في ذاك الزمن .

ولم تكن البطر مراكب مختصة بالفرنج فقط بل كان للمسلمين بطسا ايضا -  
يستخدمونها في محاربة الصليبيين وفي نقل الذخيرة والعبء للعدن المحصورة يقول ابن  
شداد " وكان مما دخل اليها ( عكا ) سبع بطر ملوثة ميرة وذخائر ونفقات كانت  
وصلت من مصر محملة وتقدم السلطان بتعميتها من مدة مديدة . . . " ٥ ويقول  
ابن " كتب بها " الدين قراقوز وهو والي البلد ( عكا ) والمقدم على الاسطول . . .  
وكان قد كتب الى مصر بتجهيز ثلاث بطر مشحونة بالاقوات والادم والبير وجميع ما يحتاج  
اليه في الحصار بحيث يكفيهم ذاك طول الشتاء واقلعت البطر الثلاث من الديار -  
المصرية ولجج في البحر تنوق النوبة بها الريح حتى ساروا بالريح التي تحملها  
الى نحو عكا . . . " ٦ .

ما تقدم نستنتج ان البطسة مركب كبير ، يستخدمه المسلمون والصليبيون في حمل  
ذخائرهم واقواتهم ورجالهم من محارير وغير محارير . يقول ابن شداد " الفت  
الريح بطستين فيها رجال وصبيان ونساء وميرة عظيمة وغنم كثيرة قاعدين نحو العدو

---

١- هامش السلوك ج ٢ قسم ٢ ص ٢٧٢ / ٢ - الكامل ج ١٢ ص ١٧ / ٣ - هامش  
السلوك ج ٢ قسم ١ ص ٨٦ / ٤ - الكامل ج ١٢ ص ٢٨ / ٥ - سيرة صلاح الدين  
ص ١١٢ وايضا ص ٩٧ و ص ١٠٠ / ٦ - نفس المصدر ص ١٠٠ .



فمنها المسلمون \* ١ ويقول ابن الاثير \* في كل بطسة نحو سبعائة مقاتل \* ٢  
ويقول ايضا \* في سنة ٥٧٩ هـ سار اسطول المسلمين من مصر في البحر فلقوا بطسة  
فيها نحو ثلاثمائة من الفرنج بالسلاح التام ومعهم الاموال والسلاح الى فرنج الساحل \* ٣  
والبطسة تستخدم للحرب كما تستخدم للنقل ولما يؤهلها للقيام بالعملين وسع  
حجمها وتجهيزها بانواع المعدات المختلفة كالمجنين والابراج والعسكر \* وهي تسير  
بالاسرعة بقول ابن شداد : \* وصلت بطسة من بيروت عشيبة هائلة مشحونة بالالات  
والاسلحة والميرة والرجال والابطال المقاتلة وكان السلطان قد امر بتعبيتها وتسييرها  
من بيروت ورضع فيها من المقاتلة خلقا عظيما حتى تدخل البك مراغمة للعدو وكان  
عدة رجالها المقاتلة مئاة وخمسين رجلا فاغرقها الانكثار في عدة شوا \* قيل كان  
فيها اربعون قلعا فاحتلوا بها من جميع جوانبها واشتدوا في قتالها وجرى القضا  
بار وقد الهوا فقاتلوها قتلا عظيما \* ٤ ويقول ايضا \* فقالوا نحن نرد القلوع  
الى العسكر وقد اتى بطسة اخرى في هوائنا \* ٥ هذه هي البطسة وهي مركب  
مركب حربي يستخدمه المسلمون والفرنج على السواء لحمل رجالهم وسلاحهم وسيرونها  
بالاسرعة .

### الحمالة :

يقول دوزي في معجمه : \* حمالة مركب للنقل \* ١ وتجمع هذه الكلمة على  
حملات يقول صالح بن يحيى \* في سنة ٨٢٨ هـ عمر السلطان بارسباي في مصر اربع  
حملات كبار \* ٢ وقد تناف كل من مركب لهذه الكلمة يقال مركب حمال وجميعها مراكب  
حمالة \* وهي بعرف دوزي ودوغويه \* مراكب للنقل \* ٨ يقول الادريسي عندما يتكلم  
عن لشبونة مايلي : \* اجتمعوا رجال كلهم ابناهم فاندوا مربا حمالا وادخلوا فيه

مع

- 
- ١- سيرة صلاح الدين ص ١٠٤ / ٢- الكامل ج ١٢ ص ٢٨ / ٣- نفس المصدر ص ١١
  - ٤- سيرة صلاح الدين ص ٢٢١ / ٥- نفس المصدر ص ٩٧ / ٦- ملحق دوزي
  - مادة "حمل" / ٧- تاريخ بيروت ص ٢٢٠ / ٨- تعليقات على الادريسي ص ٢٨٨ .



وادخلوا فيه من الماء والزاد ما يكفيهم الأشهر \* ١ ويقول أيضا عند ذكر مدينة تونس \* وهي وسط جون خاني من البحر ٠٠٠ واليه تصل المراكب الحاملة والنواحي والبحاري وترسي هناك \* ٢٠ وقد استعمل المقرئ حملة اسمها بحريفة الحسم في قوله التالي \* وآخر ما حاربت اليه الدولة الفاطمية تحت الشانين شونة وعشر مسطحات وسر حملة \* ٣٠ والحملة مركب حربي تستعمل على العموم لحمل الاثقال ونقل الرجال والحاربين من مكان لآخر بقول صالح بن يحيى \* ثم ورد مرصم السلطان بارسباى لعمارة حملتين كبيرتين في بيروت ٠٠٠ ويستخدم لهما رجال مقاتلة \* ٤٠

٧١ ان الخاصة الاسامية للحملة التي تفرقها عن غيرها من انواع المراكب الحربية في الزمن المتأخر كونها تحمل الخيول فهي اذ تذكرنا بالطريقة التي كانت مستعملة في الاسطول العربي في ايامه الاولى والتي كانت مخصصة لعمل الخيل ايضا \* نستدل على ذلك ما ذكره صالح بن يحيى في قوله الاتي \* في سنة ٨٢٨ عمر السلطان - بارسباى في مصر اربع حملات كبار برسم شبل الخيول والاثقال وتسع الف الكثرة \* ٥٠ ويقول الشاهري \* ان العمارة تكلمت وهي خمس قراير وتسع عشرة غوايا وست حملات برسم الخيول \* ٦٠ وكما تسمى الان الدول البحرية مراكبها ومدعاتها باسماء كبار رجالها وملوكها كذلك كان السالبي يدعون مراكبهم وحملاتهم باسماء كبار امرائهم . يقول صالح بن يحيى \* ولما توفي بلبغا المعز سنة ٧٦٨ هـ بطوا العمارة في المراكب المذكورة ولم ينزل منها الى البحر سوى حملتين كبيرتين الواحدة باسم سنقر والثانية باسم قراجا وهما اميران من امراء ذلك الوقت . وكان الامير بيدهما قد استعجل الفهم على عمارتهما وفراغتهما ليجهزهما فيحضرنا صواري وقرايا ومقاديف لباقي الشواني التي يعمرونها \* ٧٠ هذه الشاهرة - وهي الملقب اسماء على المراكب - جملة لا ادرى اذا كانت معروفة في الاسطول العربي منذ ايامه الاولى .

---

١- الادريسي ص ١٨٤ / ٢- المصدر نفسه ص ١١٢ / ٣- الخطط ج ٢ ص ١٩٣ /

٤- تاريخ بيروت ص ٢٢٦ / ٥- نفس المصدر ص ٢٢٠ / ٦- زبدة كشف المسالك

وبيان الطرق والمسالك ص ١٣٩ / ٧- تاريخ بيروت ص ٢٥٠ .



## حربي وحربية :

يجمع دوزي حربي على حربية ويقول انها مراكب للحرب ١ ولا اعتقد ان كلمة حربية جمع بل هي لفظة مفرد نستدل على ذلك بقول ابن الاثير " انصرف ابو العباس بن ابراهيم بن الاغلب الى مسبني وحاز في الحربية الى روبا " ٢ وارجح ان حربية تجمع على حربيات ان المقريزي يقول " افر المأمون بن البطايحي انشاء الحربيات ، والشغديات بصناعة الجزيرة " ٣ اما حربي فتجمع على حرايبي يقول الادريسي " وفي مدينة بجاية دار صناعة لانشاء الاساطيل والمراكب والسفن والحرايبي " ٤ ويقول ايضا " وتصل الى جون تونس المراكب والحماله والنراشي والحرايبي وتربي هناك " ويذكر دوزي ودوغويه " ان حرب تجمع على حرايبي ومعناها مراكب حربية . ويقولان ان المفرد من هذه الكلمة يظهر انه غير مستعمل او على الاقل انها لا يتذكرا انها صدقاء ٦ لذلك ارجح انه لا يوجد كلمة حرب بمعنى نوع من المراكب وانما يوجد كلمة حرايبي التي تفيد هذا المعنى . استدل على ذلك قول ابن الاثير — " كان ابراهيم بن الاغلب امير امرفيا . . . فولي بعده ابنه ابا العباس على سقلية فوصل اليها سنة ٢٨٧ في مائة وعشرين مركبا واربعين حربي " ٧ واما حرايبي فقد مر معنا انها جمع لكلمة حربي .

وتكون احيانا كلمة حربي او حربية صفة لاسم ما نقول مركب حربي ، ومركب حربية ، واجفان حربية . والدليل على ذلك قول المسعودي " في سنة ٨٢٢ كان في جزيرة رودس دار صناعة للروم وبها تفتش المراكب الحربية " ٨ ويقول المقريزي " امر احمد بن ضولون ببناء حصن على الجزيرة واتخذ مائة مركب حربية " ٩ . ويقول ابن بطوطه " وكان يسافر في الاجفان الحربية لحرب الروم " ١٠ .

---

١ — ملحق دوزي مادة (حرب) ٢ — الكامل ج ٧ ص ٢٥٠ طبعة ليدن سنة ١٨٦٥ /  
 ٣ — الخطط ج ٢ ص ١١٧ / ٤ — الادريسي ص ١٠ / ٥ — المصدر نفسه ص ١١٢ / ٦ — تعليقات  
 على الادريسي ص ٢٨٢ / ٧ — الكامل ج ٧ ص ٢٤١ طبعة ليدن سنة ١٨٦٥ / ٨ — مرج  
 ج ٢ ص ٤٢٣ طبعة باريس / ٩ — الخطط ج ٢ ص ١٨٠ / ١٠ — رحلة ابن بطوطه ج ٢  
 ص ٣٥ .



ما تقدم استدلل على ان حربي وحرييه كلمتان تدلان على نوع من المراكب التي كانت تستخدم في الاسطول لحمل الرجال والقتال . وعلاوة من النصوص التي اوردتها والتي تدل على ذلك فان اسمهما واشتقاقهما من مادة " حرب " يعين ذلك .

### غليون :

يقول دوزي ان غليون تجمع على غلايير وفلاوين وهي الكلمة الاسبانية Galson والاسبانية Galzone ومعناها مركب ذو سطح مرتفع ١ وقد انشأ قانسوة الغوري ( ١٠٦ - ١١١ هـ ) غليوناً فيه مكاحل البارود يقول ابن ابياس عنه " وكان سبب نزول السلطان قانسوة الغوري الى هناك قيل انه عرس المركب الكبير الغليون الذي عمره في بولاق عند الرصيف فلما كمن ريشه بالصنائج والسموارى والمكاحل وتوجهوا به الى طر ، وعرضوه على السلطان في البحر " ٢ واستعمل مكاحل البارود في الغليون بدل على تقدم الملاحة البحرية ويشير Barnaby ان الاوربيين اول ما استعملوا المدافع Guns في الملاحة البحرية كان سنة ١٢٦٠ م ٣ بما بدلنا على ان استعمال المدافع في السفن كان قد انتشر في الشرق والغرب في اواخر القرن الرابع عشر ميلادي . وسباني الكلام عن ذلك فيما بعد عند ذكر معدات الاسطول . يقول Barnaby ايضاً ان الاسبان كانوا يستعملون سفناً تدعى الغليون Galleon تسير بالمجاديف وتوضع بين المجاذيف المدافع . وبقي الغليون يستعمل عند بعض الشعوب ، ويوضع في نهايته المدافع ٤ .

اذن من مميزات الغليون استعمال مكاحل البارود او المدافع فيه سواء استعمله الشرقيون ام اهل الغرب . وهو يسير بالمجاديف . الا ان ابن ابياس يقول ان في الغليون صوارى وله عدة مراسي . يقول " احضر السلطان المركب الغليون واصرف عليه نحو من عشرين الف دينار فارسوا به قبالة الغياض وصنعوا له ثمان مراسي في البحر وعلقوا في صواريه القناديل " ٥

---

١- ملحق دوزي مادة " غليون " ٢- بدائع الزهور ج ٤ ص ٢١٦ طبعة استنبول ٢ / -  
Naval P 13 ٤- نفس المصدر ص ١٢ / ٥- بدائع الزهور ج ٤ ص ٢١٦ طبعة استنبول



هذه هي اهم المراكب الحربية التي كان يستخدمها العرب في اساطيلهم وقد حاولت ان اعرضها بحسب اقدميتها في كتب المؤرخين ، فالمراكب التي جاءت اولا يرد استخدامها على الاكثر في كتب المؤرخين الاقدم وهذا من الذين ذكروا الانواع الاخيرة منها . مما يدلنا على وجود تصور في انواع هذه المراكب الحربية . فلكل عصر من العصور انواع من المراكب خاصة به ولا يمكننا تحديد استخدام كل نوع من هذه المراكب في وقت معين ولكنني ارجح ان جميع الانواع التي ذكرت قبل البطسة كانت تستخدم قبل الزمن الصليبي .

وقد نسج العرب في صنع هذه الانواع الاولى على غرار المراكب البيزنطية مع ادخال التغييرات والتبديلات الضرورية لعاداتهم والموافقة لطوائعهم وتجاربهم التي صادفوها في اعمالهم البحرية .

ولما جاء الصليبيون لمحاربة العرب جاءوا باساطيلهم البحرية التي تختلف في كثير من الصفاة عن مراكب المسلمين ، فاضطر العرب لمقاومتهم بانشاء مراكب تتناسب مع تلك الانواع الجديدة التي اتى بها الفرض من الغرب فنشأت تلك الانواع التي عدناها اهمها . والتي ذكرناها بعد البطسة .

ولنتقل الان لوصف النوع الاخير من مراكب الاسطول .



### الفصل الثالث

#### انواع المراكب البحرية المصانة لقطع الاسطول

##### مقدمة :

عددت فيما سبق انواع المراكب الحربية للاسطول العربي . ولا ادعي انني استقصيت جميع انواعها ، ولكني نوّهت عن اهمها مما عثرت عليه في قرايتي . وتكلمت بالموضوع لابد من ذكر انواع اخرى من المراكب . وهي السفن النهرية ، ومراكب النقل التي التي كانت تصاف الى قطع الاسطول . للحرب بل لحمل الاوزة والعدد الحربية ولانزال الرجال ونقلهم من مركب لاخر او من البحر الى البر وبالعكس . هذه الانواع من المراكب لا تدخل مباشرة في عداد قطع الاسطول بل هي وسيلة لدعم الاسطول ومساعدته اذا اقتضت الحاجة . يشركها الخلفاء والسلاطين في الحملات البحرية اذا تغايقت بحريتهم واعوزها اسطولهم . وفيما يلي وصف لاهم انواع السفن التي من هذا النوع ، وليس استقصاء عام لها لانها من الكثرة والتعدد ما لاحاجة للاطالة بشرحه .

##### عشاري :

جمعها عشاريات ، ويرد اللفظ المفرد منها احيانا بالتأنيث فيقول المقرئ " ويرسم القوتبة التي يرسم الخاص من العشارية " ١ . ويذكر زيدان العشاريات بانها " مراكب يسار بها في النيل " ٢ . نعم ان هذه الانواع من المراكب تسير في النيل ولكنها لا تقتصر عليه وحده بل قد تستخدم في اغراس اخرى . وفي اماكن اخرى . ويقول ابن بطوطة جبير ان العشاريات تربط مع المراكب الكبيرة وترافقها في رحلاتها البعيدة وتستعمل في اغراض شتى كاصلاح المركب مثلا اذا اصابه عطل او ضرر ٣ . ويقول ابن بطوطة انها كانت تستعمل في الهند ٤ . ونزلت في عشار مع بعض اصحابي حين الجبرر لادخل الى قوته ( مدينة في الهند ) فوجد العشاري في الطين ٥ .

---

١- الخطط ج ١ ص ٤٧٢ / ٢- التمدن ج ١ ص ٢٠٠ / ٣- رحلة ابن جبير ص ٢١٥

٤- رحلة ابن بطوطة ج ٢ ص ١٢١ .



وتستعمل العشاريات للنزهة يقول المقرئى \* انفق المستنصر على العشاريات التي يرسم النزهة البحرية التي عدتها ستة وثلاثون عشاريا بالتقدير بجميع آلاتها وكساها وحملها من مناطق ورؤوس منجوقات واهلة وعفويات وغير ذلك اربعمائة الف دينار<sup>١</sup> وتستخدم ايضا العشاريات في نقل غلات السلطان في مصر واحطابه . يقول المقرئى نقلا عن ابن الطوير مابلي \* والمراكب الحاملة للغلات السلطانية والاحطاء وغيرها وكانت تزيد على خمسين عشارية<sup>٢</sup> . وكانت العشاريات تخسر لولا الدولة الفاسية المميزين لتبقى عندهم عيلة خدمتهم ومتى تنحوا عن الولاية تسحب منهم . يقول المقرئى \* وتبقى العشاريات الدواميين يرسم ولاية الاعمال المميزة فهي تجر لهم ٠٠٠ وتقيم مع احداهم مدة مقامه نادا صرنا عاد فيه وخرى المتولي الجديد في العشارى المرسى بالامانة ولا يخفى اذا بتوقيع باطلاقه ٠٠٠ وللعشاريين بالاعمال عشاريات دون هذه<sup>٣</sup> .

واهم خاصة للعشارى هو ركوب الخليفة او السلطان فيه يوم فتح الخليج في مصر عند وفاة النيل . وقصة فتح الخليج في مصر والاحتفالات التي تجرى في هذا المسبيل ليست متعلقة ببحثي وان الذى له علاقة في هذا الموضوع هو ان العشارى كان مركبا للخليفة يوم فتح الخليج . وكان الخلفاء يتخذون انواعا خاصة من العشاريات يزينوها باوان الستور ويحلوونها بالفضة والذهب ويطلقون اسما خاصة عليها بحسب صفاتها وان لها كسوات خاصة تكلف الدولة اموالا باهظة كما انه تحرى في يوم فتح الخليج في داخل العشارى من المراسيم والاحتفالات ما سأتى على وعنه . يقول المقرئى \* فلما وفى النيل سنة عشر ذراعا ركب الخليفة والوزير ( الخليفة هو الامر باحكام الله ، والوزير هو المأمون ) الى الدناغة بمصر ورميت العشاريات بين ايديهما ثم هديا في احداها الى المقياس<sup>٤</sup> . ثم يصفها فيقول \* ولما كمل فتح الخليج انحدرت العشاريات من آخرها اللطيف منها يثقل بقدم الكبير والجميع مزينة بالذهب والفضة والستور المرقومة رؤساهم وخدامهم بالكسوات الجميلة<sup>٥</sup> .

١- المخطوط ج ١ ص ٤٧٦ / ٢- نفس المصدر ص ٤٨٣ / ٣- نفس المصدر ج ١

ص ٤٨٢ / ٤- نفس المصدر ج ١ ص ٤٧١ وح ٤٨٢ / ٥- نفس المصدر ج ١ ص ٤٧٤ .



ويقول ايضا في وصفها " ورميت العشاريات بين يديه وقد جددت وزينت جميعها -  
 بالسور الديبقي الملونة ، والكواخيم والاهلة الذهب والفضة وعدى في احدى العشاريات  
 الى القيار " ١ الى ان يقول " وعلى بيت كل منهما السور الديبقي الملونة ٢  
 ويرؤوسها وفي اعناقها الالهة وقلائد الخرز " ٣ .

ثم يصف البيت المتخذ للعشارى الخاص وهو بيت مشن من عاج وابنوس عرس  
 كل جزء ثلاثة اذرع وطوله قامه رجل تام فيجمع بين الاجزاء الثانية فيصير بيتا دوره  
 اربعة وعشرون ذراعا وعليه قبة من خشب محكم الصناعة وهو بقبة ملهى بصان الذهب  
 فيتسلقه رتب العشاريات الخاص ويركبه على العشارى المختار بالخليفة ويجعل باكر  
 ذلك اليوم الذى يخرج منه للركوب الى القيار " ٤ .

واسماء العشاريات التى كان الخلفاء والامراء يتخذونها تتجلى من النصوص  
 التالية . يقول المقرئ " وهاد الخليفة طر فوره وركب البحر في العشارى الفضي  
 والوزير صحبه والرهجه تخدم برا وبحرا " ٥ . ثم يقول " ثم تدخل العشاريات  
 الخاص الكبار وهي ستة : الذهبي والفضي والاحمر والاصفر والازرق والفضي .  
 وكان انشاء نجار من رؤساء الصناعة صفلي وزاد فيه على الانشاء المعتاد فنسب اليه " ٦  
 ومن الواضح ان هذه الاسماء التى تتخذها العشاريات اما هي صفة بارزة فيها  
 ولذلك تلقب بها .

اما الاحتفال الذى يجرى في عشار الخليفة فيصفه المقرئ بما يلي :  
 " فيدخل الخليفة البيت المذهب وحده ومعه من الاستاذين المشكرين من يامره من  
 ثلاثة الى اربعة ثم يظلم في العشارى خواص الخليفة خاصة . ورسم الوزير اثنان او  
 ثلاثة من خواصه وليس في العشارى من هو جالس سوى الخليفة باسنا والوزير ظاهرا  
 في رواو من باب البيت الذى شو بقوانين من الجانبين قائمة مخروطة من اخذ الخشب  
 وهي مدهونة مذهبة وعليها من جانبيها ستور معمولة برسمها على قدرها فاذا اجتمع  
 في العشارى من جرت عادته بالاجتماع اندفع من باب القنطرة طالبا باب القيار العالي

١- الخطط ج ١ ص ٤٧٣ / ٢- نفس المصدر ج ١ ص ٤٧٨ / ٣- نفس المصدر ج ١ ص ٤٧٦  
 وصحح الاعشى ج ٣ ص ٥١٧ / ٤- الخطط ج ١ ص ٤٧٢ / ٥- نفس المصدر ج ١  
 ص ٤٧٨ وصحح الاعشى ج ٣ ص ٥٢٠ / ٦- الخطط ج ١ ص ٤٧٦ .



وكانت هذه العشاريات وكسوتها تكلف الخلفاء كثيرا ، ويمكننا ان نقدر تلك القيم اذا قرأنا ما يذكره المقرئ نقلًا من كتاب الذخائر من قيمها واجورها يقول \* ان مما اخبر من القصر في سنة ٤٦١ في خلافة المستنصر قبة العشار وقاربه وكسوة رسله وهو ما استعمله الوزير احمد بن علي الجرجاني في سنة ٤٣٦ وكان ١١٢٢٠٠ درهم فصة نقرة ١ \* وان المطلق لصناع الدباغة عن اجرة ذلك <sup>وفي</sup> كسر ذهب لطلاته خاصا ٢٧٠٠ دينار \* ٢ \* ان هذا المبلغ باهظ جدا يدلنا على ثمة اعتناء الخلفاء الفاطميين في امر العشاريات وكسوتها وتزينها .

ويخبرنا المقرئ ايضا عن قيمة العشاري الذي كان لوالدة المستنصر وثمن رواقه وستوره فيقول \* ومن ابو سهل التستري لواء المستنصر عشاريا يعرف بالفصي وحلى رواقه بلفنة تدبرها مائة الف وثلاثون الف درهم ولثم ذلك اجرة الصناع ولطلاه بعينه الف واربع مائة دينار واستعمل كسوه برسمه بقال جليل \* ٢ \* وقد مر معنا ان المستنصر انفق على العشاريات التي يرسم الزهرة البحرية وعلى كسوتها وحليها اربع مائة الف دينار ٤ \*

وكان ينفق على هذه العشاريات وعلى رؤسائها ورجالها ونوتيتها من ديوان العمائر وكانت تناف احيانا الى الاسطول عند الضرورة يدلنا على ذلك ما يقوله المقرئ نقلًا عن ابن العوير يقول \* والمراكب الحاملة للعلات السلطانية والاحطاب وغيرها وكانت تزود على خصم عشاريا وجليها هنرون ديماسا ولكل منها رئيس ونواحي لا يبرحون فينفق فيهم من مال ديوان الجهاد ويقال له ايما ديوان العمائر \* ٥ \* ويقول ايضا \* وفي قبة العشاريات الدوامير يوم ولاء الاعمال المميزة فهي تجر لهم وينفق في رؤسائها ورجالها اينما كانوا من مال ديوان العمائر \* ٦ \*

اما يدلنا على ان العشاريات كانت تناف الى الاسطول فهو ما خوذ من المقرئ

---

١ - كانت الفصة في ذلك الوقت كل مائة درهم بستة دنانير وربع سعر ستة عشر درهما  
 بدينار ٥ - عن المقرئ الخطط ج ١ ص ٤٧٩ - ٢ - الخطط ج ١ ص ٤٧٥ /  
 ٣ - نفس المصدر ج ١ ص ٤٧٥ / ٤ - نفس المصدر ج ١ ص ٤٧٦ / ٥ - نفس المصدر  
 ج ١ ص ٤٨٢ / ٦ - نفس المصدر ج ١ ص ٤٨٢ \*



ايضا يقول " اتخذ ابن طولون مائة مركب حربي سوى ماينضاف اليها من العليات والحمائم والعشاريات والسنايك وقوارب الخدمة " ١ . فجميع هذه الاتول التي عدها المفيزر هي اسماء لانواع من المراكب كانت تضاف الى المراكب الحربية عند الضرورة الجديدة . وقد يضاف الى العشاريات نعت او اسم ليبدل على نوعه يقال " العشاريات الموكيبات " ٢ و " العشاريات الموكيبة " ٣ و " العشاريات الدواميس " ٤ و " العشاريات اللطاف " ٥ و " العشارى الفصي " ٦ و " العشارى الذهبي " ٧ وغير ذلك من التسميات التي تطلق غالبا لتصف نوع العشارى المقصود .

واني آسف جدا انه لير لدن من النصور ما يوضح كيفية اجراء العشارى ولكني ارجح انه يسير بواسطة المجاذيف اذ ان الخدمة التي يؤديها والتي يستعمل فيها تتطلب ان يكون جريه بالمجاذيف لابل اشرفه لانه في الحالة الاخيرة يكون جريه متروكا لمشيفة الريح وهذا لا يناسب طرق الاستعمال التي يستخدم فيها العشارى . ولا اجزم في الامر حتى اجد نصوصا توضح هذه الناحية وتدعم هذا الرأى .

### قرقورة :

يقول البستاني القرقور السفينة الصويلة او العظيمة جمعها قراقير ٨ . اما دوزى فيقول " قرقورة جمعها قراقر وهي نوع من المراكب التجارية التي اصبحت ذات حجم عظيم " ٩ . فيقول دوزى ان قرقورة تجمع على قراقر امر لا يوافقه عليه لان اغلب النصور التي بدى تجمعها على قراقير . ولعل الجمع بين جائزان الا ان <sup>الاخير</sup> الاول اكثر شيوعا . وهذه الكلمة قديمة جدا استعملها العرب وغيرهم من الامم منذ اقدم الازمان يقول لامس " ان هذه الكلمة قرقور كانت مستعملة عند عرب الصحراء وقد ذكرها — النابغة في اشعاره : ويرد ذكرها في اشعار الواجز وغيره " ١٠ .

١- الخطط ج ٢ ص ١٨٠ / ٢- نفس المصدر ج ٢ ص ١٨١ / ٣- نفس المصدر ج ١ ص ٤٧٥

٤- نفس المصدر ج ١ ص ٤٨١ / ٥- نفس المصدر ج ١ ص ٤٧٥ / ٦- نفس المصدر ج ١ ص ٤٧٢

٧- نفس المصدر ج ١ ص ٤٧٨ / ٨- المحيط مادة " قرق " / ٩- ملحق دوزى مادة " قرقور " /

١٠- ملاحظات لامس ص ٧٧ .



ويشير لأمس الى انه اخذ من الاغاني فرجعت الى المصدر فوجدت الشر كما يلي :

" كان سبب غزو كسرى اباد ... هو انهم احابوا امرأة من اشراف العجم ... فسار اليهم من كان بلبيهم من الاعاجم فانحازت اباد الى العزاز وجعلوا يعبرون ابلهم في القراقير ويقطعون بها الفرات وجعل راجزهم يقول :

بشّ مناج الحلقات الدرهم في حاحة القرقور وسط البم ١٠

هذا التبريد لنا على ان القوافير كانت تتعمل عند قبيل ايام منذ ايام  
 الفرس وكذلك كانت معروفة لدى الرومان واليونان منذ اقدم الازمان " وقد شبهها  
 هرودوت منذ العصر القديم وكذلك ليفيوس L171UB بمراكب البحر الابيض المتوسط وذلك  
 لكبرها " ٢ وقد ورد اسمها بلغات عديدة يذكر لامر " ان كلمة Carakue  
 الافرنسية والكلمات Carraca, Coraca, Caraca الاسبانية والكلمات Caracora ,  
 Corocora البرتغاليان والكلمة Caraca الطليانية آتية من قرقرة او من جمعها  
 قراقير " ٣ ثم يسير مشكلة اصل هذه الكلمة ويقول انها مشكلة مصطوية فهل اصلها  
 عربي ام اصلها لاتيني ؟ وحال هي مشتقة من كلمة قرقرة العربية ام من الكلمة اللاتينية  
 Cerourus او Cerourus

يجيب لامر على ذلك بحاشية كتابه بما يلي " اظن ان علماء الاشتقاق محقون  
 عندما اكدوا بان الكلمة الاسبانية ، Coracora, Coracara والافرنسية Coracore  
 بمعنى مراكب جزر الفلبين وهي آتية راسا من كركور Korakôra الـ Malaia  
 وهي مراكب كثيرة الاستعمال عند سكان الارخبيل الهندى " ؛

اذن فكلمة قرقورة لبست ذات اصل لاتيني ولا عويي بل ترجع الى اصل هندي قديم . ويقول دوزي ان القرقوره " نوع من المراكب اخترعها القبرديون " . وهو لا يبين متى اخترعوها . هل كان ذلك في الزمن القديم ؟ وهل هم اول من استعملها ؟

١- الاغانى : ٢٠ ر ٢٢- ٢٤ مطبعة التقديس بمصر / ٢- الحداثة الاسلامية : ٢ ر ٢٢٤

٢- ملاحظات الامتحان ٢٢ / ١ - ملاحظات الامتحان ٢٢ / ٥ - ملحق دوزي مادة



اتي لا اجد جوابا على ذلك .

والقرقورة تستعمل في اغراض شتى بذكرها المقرئ : ان النار تتركب في  
المراقير يوم فتح الخليج لمشاهدة الاحتفال الذي يجري في النيل يقول \* ويكن في  
البحر في ذلك اليوم القرقورة مشحونة بالعالم فرحا بوفاء النيل \* ١ وتستعمل  
للركوب في الاسفار البحرية يقول ابن بطوطة \* ومن ابدقه رثنا البحر في قرقورة كبيرة  
للجنوبيين \* ٢ ويقول ايضا \* فركبت البحر من مصر في قرقورة لبعض التونسيين صغيرة  
وتميز ابن بطوطة بين قرقورة الجنوبيين والتونسيين بان الاولى كبيرة والثانية صغيرة  
بدلنا على اختلاف ما سوسر بين حجميهما لذلك لفت نظره تلك المظاهرة البارزة بين  
الاثنين \* وتستعمل القرقورة في نقل البضائع والاشغال يقول ميز مايلي \* ٤ وكان  
الرمار يحمل على الفرات في مراكب كبيرة تنقل القراير ويبلغ عدد الواحدة منها من  
سنة عشر ذراعا الى عشرين \* \* فهذا القول يبين لنا نموذجا من حجم القرقورة  
التي كانت تستخدم في الفرات زهر حجم كبير ولا شك وكانت تستخدم عند الضرورة في  
الاسطول \* يذكر البرقوقي ان القراير هي السفن الكبيرة التي تحمل الزاد والكراع \* ٦  
ويجعلنا احدي قطع الاسطول المحاربة . كما ان صالح بن يحيى يذكر ان الجنوبيين  
سلحوا قرقورتيهما كانتا في مينا بيروت وشيوعهما بالرجال والجروح والحجارة وحاربوا -  
المسلمين بهما \* يقول \* وحضرت تعبيرة الجنوبيين وهي اثني عشر غرابا كبيرا ودخلوا  
الميناء . وكان فيها قرقورتان للبنادق فاخذوهما ونحنوهما بالرجال وندموهما حتى  
تسلطت الرماة بالجرح \* ٧ والحجارة من سواربها على البحر الصغير البعلبكي \* ٨

١- الخط ج ١ ص ٩٧٦ / ٢- رحلة ابن بطوطة ج ١ ص ٢١٢ / ٣- نفس المصدر  
ج ٢ ص ٢١٦ / ٤- الحضارة الاسلامية ج ٢ ص ٢٢٤ نقلا عن كتاب الوزراء للمامي  
ص ٦٨٠ - ٦- سفارة العرب ص ١٦١ / ٧- الجرح جمع جرح وهي لفظة فارسية معناها  
الدولاب يراد بها آلة لرمي العدو بالحجارة والاسهم النارية والنفط . ٨- تاريخ  
بيروت ص ٢٦ .



هذا الشرع يبين لنا ان القرقورة كانت تتمتع بامتيازات احيانا لتساعد المراكب الحربية كما انه بدلنا على ان القراقير كانت تسير بالاشرفة لان وجود السوار فيها دليل على ذلك .

وقد تضرر استعمال القراقير في الزمن المتأخر من عصر الماليك واصبحت احد قطع الاسطول وتعد في جملة المراكب الحربية وقول ابن تيمردى في حوادث سنة ٨٦٥ \* وكانت عدة مراكبهم ثمانية واربعين مركبا ما بين قرقورة وغراب ونسبني زورق<sup>١</sup> ويقول ايضا في حوادث سنة ٨٢١ \* ثم طالب السلطان مقدمي عساكر الغزاة من امراء مصر والاشام والمداريكة المتقدم كل واحد منهم على مركب وكانوا كثيرا جدا لان عدة مراكب الغزاة المدربين والناميين زادت على مائة قطعة وقبل مائتان وقبل اكثر واكثر ما بين اغربة وقراقير وزوارق \* ٢ ويقول في حوادث سنة ٨٢١ \* فوافاهم الفرنج في عشرة اغربة وقرقورة كبيرة فلم يثبتوا للمسلمين \* ٣ واخبرا بقول في سنة ٧٦١ قدمت الفرنج مدينة صرابلس الشام في مائة وثلاثين مركبا من الشواني والقراقير والغريان والطراند وصحبتهم صاحب قبرص وهو المقدم عليهم \* ٤ ويقول صالح بن يحيى \* واجتمع المراكب كلها في غرابلس وهي ست حمالات وشجرة اغربة كبار وسعار وست مراكب قراقير ٥٠٠ ومركبان مخروغان كبيران واثنى عشر زورقا وست بنوف سعار فكانت اربعين قلاها \* ٥ هذه الافوال جميعها تدلنا على ان القرقورة استعملت في عصر الماليك في حداد الاسطول واصبحت سفينة محاربة .

ويصف لنا Barnaby نوعا من المراكب التي بدعيها

Caracks

وصفا قريبا من وصف القرقورة التي مر معنا ذكرها ولعل التسمية مأخوذة هنا من الكلمة العربية او من احد اللغات التي تنطق بهذا الاسم على هذا النوع من المراكب . وقول بوسنة لها مالي ١ \* ربي الثور الخام . عبر احتلت السفن الصماء Caracks المحل الارضي في الملاحة وبنت سفينة من هذا النوع سنة ١٤١٠ كان طولها ١١٠ قدما

١- حوادث ج ٢ ص ٣٤٦ / ٢ - النجوم ج ٦ ص ٦١٥ / ٣ - نفس المصدر ج ٦ ص ٥١١

٤ - نفس المصدر ج ٥ ص ٢١٣ / ٥ - تاريخ بيروت ص ٢١٢ / ٦ - Naval P. ١٤



وعونها ٤٦ قدما ويظهر ان القلاع والاقسام المرتفعة في السفن السابقة القديمة قد العيت او بالاحسن قد اندمجت مع بقية اجزاء السفينة وعومر عنها بالواح فاصلة وغرف للنوم . وفي هذا الزمن ادخل في هندسة السفن الغرف المتقوية للاغرام العاديه كمحارن الانعمه والعنابر وما اذبه ذلك . وكان الصبي في القسم الاوسط من هذه المراكب . اما البضائع فكانت امكنتها في الاضواء . وكثيرا ماتصحب هذه السفن زوارق لحمل المؤنة . . واذا مارنا هذا النص الذي يورد **Barnaby** عن **Caracks** ويبر ما ذكره عن الـ **Galley** والـ **Galleons** نجد تنورا محسوسا في بناء هذه الانواع من المراكب . وهذا التطور يجعل الـ **Caracks** اقرب ان يكون مركبا تجاريا منه مركبا حربي . ان انه قد ابطلت الابراج والقلاع التي كانت في **Galley** ولم يبق ذكر للمدافع التي كانت في **Galleons** واستعبر عنها بغرف للنوم وامكنة للبضائع وعنابر للامعة ومصبح للطنفي .

كل هذه الظواهر جعلتني اعتبر ان الـ **Carack** اقرب ان يكون مركبا تجاريا سفريا منه مركب حربي . يستخدم عند الضرورة في عداد المراكب الحربية . كذلك الامر في القرقورة فقد مر معنا انها كانت في قديم الزمن مركب للنقل في نهر الفرات ثم اصبحت فيما بعد مركب لنقل في النهر والسفر في البحار . واخيرا استعملت في جملة مراكب الاسطول .

فصل من خطأ ان نعتبر القرقورة شبيهة بالـ **Caracks** ؟ وهل من فرق جوهرى بين الاثنين ؟ ان ذا جد فرقا واسعا بينهما واربع انهما متقاربتين في الاسم والخدمة .

### زورقي :

تجمع على زوارق وزوارق ١ وتستخدم في اعراض شتى منها للركوب في الانهار للنزهة يحوّل بقول المسعودي . ولقد حضرت سنة ٢٢٠ ليلة الغداس بحضر ٠٠٠ وقد حصر النبل في تلك الليلة مئو الاف من الناس المسلمين والخصاري منهم في الزوارق



ومنهم في الدور الدانية من النيل ومنهم ٠٠٠ ١ \* ويقول ايضا \* فمرتم الى هذا الزورق فرأيت قد فرش بهذا الفرش ومهد ورأيت سفرا مطوية وجريا وسلا \* فقلت : نزهة بمضون البها الى بعمر القصور والبساتين ٠٠٠ ٢ \*

وتستخدم الزوارق ايضا لقطع الانهار والعبور من ضفة لآخرى والتقل من قرية لآخرى عند فيضان النيل يقول ابن الجبير \* يعبر الناس في جملة ما بين جانبي بعداد بالزوارق \* والزوارق فيها لا تحصى كثرة بالناس ليز ونهارا من تهادى العبور فيها في نزهة متصلة رجالا ونساء \* والعبور في الزوارق لا ينقطع ٠ ٣ \* ويذكر سرهنت كتاب ارسله عمرو بن العاص للحليفة عمر بن الخطاب في وصف مصر وتيلها مايلي :

٠٠٠ \* فلا يمكن التخلي عن القري بعضها الى بعض الا في صفار المراكب وخفاف القوارب وزوارق كأنهم المخائل او ورق الاصائل ٠٠٠ ٤ \*

وفد استعملت الزوارق في الاسطول لحمل البيرة والريجاز واسبحت تعد في جملة نظم الاسطول يقول ابن شداد \* وكان العدو قد طفرنا بزورق فيه نفقة ورجال \* ويقول ابن تغريبردر في حوادث سنة ٨٢١ مايلي \* عدة مراكب الغزاة المصريين - والشاميين رادت على مائة قصعة وقين مائتان وقين اكثر او اقل ما بين اغرة وقراقير وزوارق ٠ ٥ \* وقال ايضا في حوادث سنة ٨٦٥ \* وكانت عدة مراكبهم ثمانية واربعين مركبا ما بين قرقرة وغراب وشبني وزورق ٠ ٦ \* ويذكر صالح بن يحيى عندما بعف الاسطول الذي ذهب لغزو قبر مايلي \* واجتمع المراكب كلها في اربل وهي ست حملات وعشرة اغرة كبار و ٠٠٠ اثني عشر زورقا ٠ ٨ \*

ويستخدم الغواصون الزوارق في موسم جمع اللؤلؤ يقول القزويني \* وفي بحر هذاب مغاسر اللؤلؤ في جزائر قريبة منها ، تخفي اليه الغواصون في وقت معين من كل سنة في الزوارق حتى يوافوه بتلك الجزائر ٠ ٩ \*

١- مرجع ١ ص ٢١١ / ٢- نفس المصدر ج ٣ ص ٢٢٢ / ٣- رحلة ابن جبير ص ٢٠٢  
 ٤- هامش حقائق الاخبار ج ١ ص ١٨٢ / ٥- سيرة صلاح الدين ص ١٠٤ / ٦- النجوم ج ٦ ص ١١٥ / ٧- حوادث ج ٢ ص ٢٤٦ / ٨- تاريخ بيروت ١٢٢ / ٩- الخطط ج ١ ص ٢٠٢ و  
 رحلة ابن جبير ص ٤٠ \*



اما كيفية اجراء الزورق ومقدار حمولته وشكله فالنصوص التي ساورها تطبق على الزوارق عامة لاعلى الزوارق التي تستعمل في الاسطول فقط . واني اعتقد انه لا يوجد نوع خاص للزوارق الحربية وانما هي نفس الزوارق التي تستخدم في الانوارق المختلفة وانما تضم للاسطول عند الانحمار اليها . وانما الزيادة في الزوارق الحربية هي بما ينتم اليها من السائل والرجال المحاربين ولذلك فالرصف التالي يشمل جميع الزوارق بمختلف طرق استخدامها .

ان الزوارق ليست متساوية الحجم فبعضها صغير والاخرى كبير . فالمسمودي يذكر لنا زورقا كان يجرى في دجلة يستوعب ثمانين شخصا عدا ما يحتاج اليه هؤلاء الاشخاص من الحاجيات . وقد كانت هذه الزوارق اداة مواصلات في الدجلة ما بين الشمال والجنوب يستخدمها السكان للركوب والتنقل ما بين المدر والقرى . اما عباقر المسمودي فهي مايلي " وكانت وفاة ابي ال بناء الشاعر سنة ٢٨٢ وكان قد انحدر من مدينة السلام الى البصرة في زورق فيه ثمانون نفسا في هذه السنة فغرق الزورق ١٠٠٠ . ويذكر مير مايلي " وكانت حرفة الملاحة كبيرة على نهر الدجلة ايضا ، فكانت تنحدر بنائج ارمينيا الى بغداد مارة بالموصل ١٠٠٠ بل كان العجاج ايضا ياتون من الشمال على الانهار . ففي عام ٢٦٨ هـ ١٥٩ م غرق منهم الف نسمة وكانوا آتين من الموصل في بضعة عشر زورقا كبيرا " ٢

والزورق يسير بالمجاديف وعددها يختلف بحسب حجمه . يقول ابن جبير

" فاكثرتنا للبحر زورقا كبيرا له اربعة مجاديف " ٣ .

وفي بحر هركند احد / فروع المحيط الهندي جزائر يستخدم سكانها زوارق

منقورة من خشبه يستعملونها لحمل بضائعهم والتجار مع سكان امراكب الشراوية التي

تعريهم " ان رجالهم يحرثون البهام من الجزيرة في زوارق منقورة من خشبة واحدة

ومعهم النارجيل وقصب السكر والموز وسراب النارجيل ١٠٠٠ " ولا شك ان هذه

الزوارق المنقورة من خشبة واحدة هي ابتدائية جدا تدلنا على تاخر سكان تلك الجزر

١- مرجع ٤ ص ١٢٠ / ٢- الحصار الاسلامي ج ٢ ص ١٣٥ نقله عن المقدسي ص ١٢٨

وعن مسكويه ج ٦ ص ٢٢٤ / ٣- رحلة ابن جبير ص ٢١٤ / ٤- سلسلة التواريخ ص ١٢ - ١٨



وأولجتهم في الحنارة . فبينما كانت المراكب العربية تسير في دار الزمن ما بين سيران  
وكانتون حاملة متاجر جزيرة العرب والخليج الفارسي إلى بلاد الصين ، كان أهل هذه  
الجزر لا يزالون يستعملون هذا النوع من الوراق . ويتاجرون أو يعززون المراكب -  
العربية وغيرها من مراكب التجار .

### القارب :

يقول الزبيدي \* القارب الدفينة الصغيرة تكون مع أصحاب السفن الكبار  
البحرية كالجنائب لها تستخذ لحوائجهم . والجمع القوارب \* ١ ويرجع دور  
العلماء إلى اليونانية *Vapabcs* ويرى هناك بين شامع بين وصف الزروق  
والقارب في المصادر العربية فانواعا متاخران في الوقت والحكمة . وإن اختلف  
فانهما يختلفان في الحجم لاغير .  
وقد يستعمل القارب لعرض جسر على الأنهار يقول ابن بطوطه كان في  
مدينة تستر على الخليج الفارسي \* نهر معروف بالأزرق وهو عجيب في نهاية الصفاة  
... ولها باب واحد للمسافرين ... وعلى باب المسافرين منه جسر على القوارب  
كجسر بغداد والحلة \* ٤ وتستعمل القوارب في الصين \* لنقل المرافق من النعمان  
واحجار الزوق \* ٥ وتستعمل القوارب في هرمز في البحرين في عطية استحران -  
اللاقي \* ٦ . كما انها تستخدم \* في تسير المراكب بالمجانيف اذا احتاج الامر \*  
يقول بنزق \* فصرخوا نارب المركب من جوف رجبس به الريان المجانيف وقدمه بين  
يدى المركب بهجونه يوما وليلة \* ٨ .

والقوارب تساف إلى قديم الاسطول عند الضرورة وتستخدم في مساعدته ونصرته  
يقول المفيزي \* واتخذ ابن طولون مائة مركب حربية سوء ما ينصاف اليها من العلابيات

---

١- ان اخبار حشر السيرافي في سلسلة التواريخ واخبار ابن بطوطه في رحلته وقصه  
ماركوبولو تدل على صحة ماقول / ٢- تاريخ العروس مادة \* قرب \* ٣- ملحوظة دوزي  
مادة قرب / ٤- رحلته ابن بطوطه ١ / ١٤١ / ٥- نهر المحدث ١ / ١٠٢ / ٦- نفس  
المحدث ٢ / ٢٢٢ / ٧- الحنارة الاسلاميه ٢ / ٣١٥ من كتاب عجائب الهند ص ٣٠  
٨- عجائب الهند ص ٢٥



والحمائم والعشاريات والسنايك وقوارب الخدمة \* ١ واكثر ما تستخدم في الاسطول لانزال الجنود من المراكب الحربية الى البر يقول صالح بن يحيى \* وكان قد نزل من مراكبنا جماعة الى البر سباحة عرابا ... فلما رأى المسموم ذلك نزلوا من اعبان شجعانهم قريب من الف رجل ونزلوا في القوارب والشخاتير \* ٢ .

وكما مر معنا عند ذكر الزوارق من انها منقورة من خشبة واحدة في جرائر المحيط الهندي كذلك الامر في القوارب فهي منحوتة من خشبة واحدة في تلك الجهات يقول ابن بطوطة من سكار جاوة \* اتوا النفا في قوارب صغار كل قارب من خشبة واحدة منحوتة وجاءوا بالعموز والارز والتنبول والغول والسك \* ٣ مما تقدم نستدل على ان هناك نسبة عظيمة ما بين الزورق والقارب وكلاهما يقوم تقريبا بخدمات متعادلة .

#### جلية \*

يقول دوزي \* ان جلبة تجمع على جلب ، وجلاب ، وجلبات وهي قوارب كبيرة معموله من اللوح متصلة ببعضها بحبال من ليد الخارجير وتستخدم عادة في البحر الاحمر \* ٤ . ويقول لامس \* ان الكلمة الافرنسية Chaloupe والاسبانية Calupa والغليانية Scialuppa يعتبرها بعض العلماء آتية من Sloop ولكن لامس يوافقه H. de Eguille في ان هذه الكلمات مشتقة من جيب السمريد \* وهي بنوعه قوارب كبيرة معموله من اللوح متصلة ببعضها بحبال الخارجيل \* ٥ .

وقد كان حجاج المغرب ومصر في القديم يربطون الجذب من ساحل حباب الى جدة ويقطعون بها بحر القلزم ( الاحمر ) يقول ابن جبير \* ولاهل عذاب من المراكب من الحجاج اكرا الجذب منهم وهي المراكب يجتمع اليهم في ذلك ان كثير في حمله الى جدة ورددتهم وقت انقضاءهم من اداء الخدمة وما من امسها دوى المسار الا من له الجلب والجلبات فهي ترمون عليهم برشق واسع \* ٦ . ويقول الطبري -

---

١- الخطط ج ٢ ص ١٨٠ / ٢ - تاريخ بيروت ص ٢٢٢ و ص ٢١٨ / ٣ - رحلة ابن بطوطة ج ٢ ص ١٨٤ / ٤ - ملحق دوزي مادة " جلب " / ٥ - ملاحظات لامس ص ٨٤ / ٦ - رحلة ابن جبير ص ٢٩ و الخطط ج ١ ص ٢٠٣ .



والحمائم والعشاريات والسنايك وقوارب الخدمة \* ١ واكثر ما تستخدم في الاسطول لانزال الجنود من المراكب الحربية الى البر يقول صالح بن يحيى \* وكان قد نزل من مراكبنا جماعة الى البر سباحة عوايا . . . فلما رأى المسلمون ذلك نزلوا من اعبان شجعانهم قريب من الف رجل ونزلوا في القوارب والشخاتير \* ٢ .

وكما مر معنا عند ذكر الزوارق من انها منقورة من خشبة واحدة في جزائر المحيط الهندي كذلك الامر في القوارب فهي منقورة من خشبة واحدة في تلك الجهات يقول ابن بطوطة عن سكان جاوة \* اتوا البنا في قوارب صغار كل قارب من خشبة واحدة منقورة وجاءوا بالعموز والارز والتبنون والفوس والسعد \* ٣ مما تقدم نستدل على ان هناك شبيها عظيما ما بين الزورق والقارب وكلاهما يقوم تقريبا بخدمات متعادلة .

#### جلبة ٤ -

يقول دوزي \* ان جلبة تجمع على جلب ، وجلاب ، وجلبات وهي قوارب كبيرة معمولية من الواح متصلة مع بعضها بحبال من ليف النارجيل وتستعمل عادة في البحر الاحمر \* ٤ . ويقول لامنر \* ان الكلمة الانجليزية Chaloupe والاسبانية Calupa واليطالية Scialuppa يعتبرها بعض العلماء آتية من Sloop ولكن لامنر يوافقه u.de Aguilaz في ان هذه الكلمات مستقاة من جلب العربية . وهي بنظرة قوارب كبيرة معمولية من الواح متصلة مع بعضها بحبال النارجيل \* ٥ .

وقد كان حجاج المغرب ومصر في القديم يركبون الجلاب من ساحل عباب الى جدة ويقطعون بها بحر القلزم ( الاحمر ) يقول ابن جبير \* ولاهل عذاب من المرافق من الحاج اكراه الجلاب منهم وهي المراكب فيجتمع لهم في ذلك مال كثير في حمله الى جدة وردهم وقت انقضاءهم عن اداء الخدمة وما من اهلها ذوى اليسار الا من له الجلب والجلبات فهي تعود عليهم بيزق واسع \* ٦ . ويقول المقرئى -

---

١ - الخطط ج ٢ ص ١٨٠ / ٢ - تاريخ بيروت ص ١٢٢ وص ٣١٨ / ٣ - رحلة ابن بطوطة ج ٢ ص ١٨٤ / ٤ - ملحق دوزي مادة \* جلب \* / ٥ - ملاحظات لامنر ص ٨٤ / ٦ - رحلة ابن جبير ص ٣٩ و الخطط ج ١ ص ٢٠٣ .



" اعلم ان حجاج مصر والمغرب اقاموا زيادة على مئتي سنة لايتوجهون الى مكة -  
شرفها الله تعالى - الا من صحراء عذاب يركبون الفيل من ساحل مدينة مصر  
النسطاط الى قوص ثم يركبون الابل من قوص ويعبرون هذه الصحراء الى عذاب  
ثم يركبون البحر في الدلاب الى جدة ساحل مكة " ١ . وقد ذكر الرحالون -  
الذين مروا بعيذان هذه طباع اهل هذه المدينة وقصوة قلوبهم في معاملة الحجاج  
ورسلتهم باقبح الصفات وسمرهم باشنع الاسماء وراة مخطئهم ايضا على مدينة عذاب  
بما هي عليه من جفاف الاقليم وحره وقله مياهه ، وقد حور لنا ابن جبير الرحالة  
الاندلسي الذي اتى من المغرب قاصدا الحج ركوب الحجاج بالجلاب وما يقاسوه  
من شدة وعذاب بقوله " ولاهل عذاب في الحجاج احكام الخواص وذلك انهم  
يشحنون بهم الجلاب ، وهي المراكب حتى يجلسو بعضهم على بعض وتعود بهم  
كأنما اقفا الدجاج الممايزة . يحمل اهلها على ذلك الحر والرفقة في الكراء  
حتى يستوفي صاحب الجلبة سهم منها في سرق واحد ، ولا يبالي بما يصنع البحر  
بهم بعد ذلك ويقولون علينا بالالواح وعلى الحجاج بالارواح . هذا مثل متعارف  
بينهم " ٢ . هذا السر الذي ذكره ابن جبير والعقيد بمقارفة الجلبة وهي مائة  
بالفار وهم متراحمين متراصين بعضهم فوق بعض كأنهم في قعر دجال يمثل لنا بصورة  
حسب حالة الدلبة وهي تزخر بشك الكلمة البشرية من النار ، وهم يتأرجحون على  
اعوادها في البحر الراحر المعروف بعوجه الشيد ونعابه الخطرة المهيمنة  
كما ان ذاك القول المتعارف بينهم " علينا بالالواح وعلى الحجاج بالارواح " -  
بدلنا على نسبة اولئك القوم الذين يستكون عذاب ويمتنعون الملاحة في تلك الجهات  
من انهم قوم قساة القلوب ، غلظ الصباع ، لا يبايئون بارواح السجاء ولا يراحمون  
المسافرين وكل دأبهم كسب المال واستغلال موارد الحجاج دون الفار الى راحتهم  
وحياتهم . حتى ان ابن جبير يقول " ان اكثر هلاك الحجاج بهذا المرس " ٣ -  
ونحن الحجاج الا باتوا عن سرق عذاب بل ان يذهبوا عن سرق الشمام - العراق

---

١- المخطوط ١ ص ٢٠٢ / ٢ - رحلة ابن جبير ص ٤١ والمخطوط ١ ص ٢٠٢ / ٢ - رحلة

ابن جبير ص ٤١ .



وان لم ينسر لهم ذلك بالذهاب فلي الأقل في العودة عند الاياب وان طال عليهم الطريق ١ .

ولم تكن الجلاب تعمل الحجال بانفسهم فقه بل كانت تحمل جمالهم وامتععتهم واروادهم ايضا يقول ابن بطوطة ثم ركبنا البحر من جنه في مركب يسمونه الجلبة وكان لرشيد الدين الالف البمني الحبشي الاخير ، وركب السيد منصور بن ابي نعي في جلبة اخرى ورغب مني ان اكون معه فلم افعل لكونه كان معه في جلبته الجمال فنفقت من ذلك ولم اكن ركبنا البحر قبلها وكان هذا جملة من ادى اليمن قد جعلوا ازوادهم وامتععتهم في الجلب وهم متاهبون للسفر ٢ .

فالجلبة اذن مركب تنقل الحجال وامتععتهم واروادهم وكراعهم يستخدم في بحر قلم . وقد تستعمل الجلبة في هذا البحر ايضا للقتال يقول ابن جبير " وصل في سنة ٥٧٩ الي مكة الامير عثمان ابن علي صاحب عدن خي منها فارا امام سيف الاسلام المتوجه الي اليمن وركب البحر في جلبه كثيره مشحونه باحوال عضيمة واموال لا تحصى كثرة . . . . . وعند خروجه من البحر بموضع يعرف بالسر لحقت جلبه حرارين الامير سيف الاسلام فاخذت جميع ما فيها من الاثقال ٣ .

اذن الجلبة في بحر القلم لا تستعمل لنقل الحجال فقط بل تستخدم للمركوب ونقل الاحمال على العوم ، كما انها تستعمل احبانا للغارة والفرصة والاعمال الحربية عند الضرورة .

بعد ان عرفنا طرق استخدام الجلبة نقساء ل كيف كان شكلها وماي سي كانت تسير . وكيف كانت تصنع ؟

لا يمكنني فهم الجلبة وشكلها الا اذا وعفنا كيفية صنعها ، ولا اريد الاطالة في هذا الامر لاني ساتي اليه عند الكلام في صناعة المراكب . وساكثفي الان فقط بذكر ما قاله ابن جبير عن كيفية صنع الجلبة . قال " والجلاب التي يصنعونها في هذا البحر الفروني ( القلم ) ملفة الانساء لا يستعمل فيها مسارا لينة انما هي مخططة بامراس من القنباري وهو قشر جوز الفارجيل بدرسون ، الى ان يتخبط ،



على جبل في البحر ونزلت الامواج عنها فانقلب . معهدى بالامعة والناس يتساقطون الى البحر من فوق الجبل وغرق فما سلم منها احد \* ١ هكذا كانت انجليه في القديم . واطنما لاتزال مستعملة كما هي عليه في الوقت احاسر محفوفة بالاعطار والمهالك ومكتوب بطول العمر والسلامة بمن يركبها ولا يغرق .

### سنبوق :

سنبوق او سنبوق بالصاد كما ترد في رحلة ابن بطوطه تجمع على صنايق وتلفظ في ابامنا هذه بالسيتين المفتوحة كما يذكر **Burokhardt** ٢ ويقول ابن بطوطه انه ان السنبوق هو قارب صغير ٣ اما دوزى فيقول عنه انه قارب كبير مكشوف تماما رفيع المقدمة وعريض المؤخره وله شراع كبير ٤ ووصف دوزى هذا بنطيق على السنبوق في الايام الحاسرة لانه اخذ عن رحالين رحلا في الايام المتأخرة . ولعل هذا الوصف المتأخر لا ينطبق تماما على ما كان عليه السنبوق في الازمنة القديمة . لاسيما واننا وجدنا في بحثنا السابق ان المراكب في دوردائم في اسمها وحجمها وطرق استخدامها . وترد هذه الكلمة عند المقرئى هكذا " سنبوك " وجمعها على سنايك . ويذكر لامس ان " Chebeo " مركب ذو ثلاثة صواري في البحر الابيس المتوسط وهي باللغة الافرنسية القديمة **Chabek** وبالاسبانية **Gabeque, Gaveque** وبالبرتغالية **Xabeque, Enxabeque** وبالقطانية **Xavega, Xabeon** وبالطبانية **Solabeoco** ويقول ان هذه الكلمات ليست مشتقة من " سنبكي " بل يرجع انها مشتقة من " سنبوق " وهو نوع من المراكب التي يذكرها المقدسي \* ٦ . وقد تستخدم الصنايق لنصرة الاسطول كما يفون المقرئى \* واتخذ ابن بطولون مائة مركب حربية سوى ماينضاف اليها من العدييات والحمام والعشاريات والسنايك وقوارب الخدمة \* ٧ .

١- عجائب الهند ص ٧٠ / ٢ - **Burton I, 174** = **Arab. I, 43, II, 431.**

٢- رحلة ابن بطوطه ج ١ ص ١٢٩ / ٤ - ملحق دوزى مادة " سنبوق " /

٥- الخطط ج ٢ ص ١١٠ / ٦ - ملاحظات لامس ص ٨٦ نقتض عن احسن التماسيم

ص ٢٢٠ / ٧ - الخطط ج ٢ ص ١٨٠ :



هذه هي اهلجة المراكب النهرية والعجارية التي تناف لقطع الأسطول عند الحاجة . ولا يمكنني ان اتي علي وصف جميع انواعها لأنها من الكثرة والعدد ما لا يمكن شرحه . ولعل ذلك راجع لاختلاف اسماء هذه المراكب بحسب الأقاليم ففي كل منطقة اسماء لأنواع جديدة من المراكب وفي كل بلد اصطلاحات خاصة لأسماء هذه الأنواع يدلنا علي ذلك عهدة المقدسي القاهية التي يعدد بها انواع المراكب التي يختلف بتسميتها اهل الأقاليم وقد ذكر الاختراع الأنواع العالمية

" سفينة - جالوس - زورق - رقية - تلوي - فرداس - طيار - زيرب - كاروانية - مثقلة - واسطية - ملقطة - شنكولية - هراكية - خيطية - نموط - مسعدة - جبلية - مكبة - زهر - باذية - حركة - سولية - معبر - ولجية - طيرة - برعاني - شمو - مركب - غذا - برمه - فارب - دونج - حمامة - شني - غلندي - بيوجة " .

ويظهر ان معظم هذه الأنواع من المراكب التي عددها المقدسي زوارق نهرية يستخدمها اهل الأنهار في ملائمتهم النهرية لنقل العائلات والأمتعة وللركوب وما أشبه ذلك من الأعمال اليومية التي تختلف عما نحن بمعدده من الأعمال المرمية للأسطول .



## الباب الثاني في معدات الاسطول

### مقدمة

بعد ان اتيت علي وصف مراكب الاسطول وعددت انواعها ابدأ بمقتاول ناحية ثانية من البحث وهي معدات الاسطول . وقد كان الحلفاء والسفاحيين قبل ارحال الاسطول لغزو علي البدر المعادية ان لرد هجمات عدو طراً منهم يجهزون الاساطيل بالمعدات من النوتية واسطاتليس والاسلحة والزخيرة والمقرين يردد المبارات التالية في أمكنة كثيرة من خطاه يقول - وانعدرت الاساطيل مشحونة بالارماح والعدد والآلات والاسلحة ١ - ويقول ايضا - واستدعي مقدم الاسطول وخلق عليه واحد من الاساطيل مشحون بالارماح والعدة ٢ - ويقول - ونحن الاسطول بالرحا والساح وماثر ما يحتاج اليه وسير . ايضاً بعد في ٣ - ويقول المقرين ايضاً عن لسان ابن العلوير - فاذا تكملت النفقة وتجهز المراكب وتجهز السفر ركب الخليفة والوزير ٤ - ويقول ايضاً - واخر مقدم الاساطيل الثانية لأن الاساطيل توجهت في الغزو وخلق عليه وأمر بأن ينزل الي المصانع بمصر والجزيرة وينفق في اربعين نجماً ويكمل نفقاتها وعددها ويكون القوس بها صفة العسكر ٥ - اشار المقرين هنا الي انه يوجد اسطولان الاول ارسل الي الغزو والثاني ينتقل عليه وبعد للذهاب صفة الجين البري وبعد ان ينتقل الاسطول بالمعدات يعين عليه جماعة من الشناد والمدمين ويهمل الحرب . يقول المقرين - في سنة ٧٠٢ في سلطنة الناصر محمد بن قلاوون جهزت الثواني بالعدد والساح والنفطية والارودة وغير لها جماعة من اجناد الحافة ٦ - ويقول ايضاً - وفي سنة ٦٩٢ قدم السلطان الملك الأشرف صلاح الدين خليل بن قلاوون الي الوزير العاصم بن الدين محمد بن السلوس بتجهيز امر الثواني فنزل الي الصناعة واستدعي الرئيس وهياً يعين ما تحتاج اليه الثواني حتي كملت عدتها نحو ستين نونقة وعددها بالعدد والآلات العربية ورجع بها عدة من المال السلطانية والبسم الساج فأقبل الناصر لمساعدتهم ٧ - وفي البحث عن معدات الاسطول لن أتطرق لذكر الحند والمدمين والرويا العربيين لأن ذلك يأتي في بحث خاص فيها بعد . وانما الذي اريد ان ابدئه في هذا الباب هو عدة الاسطول فلتا ولد سميت الكلم عنها بفعلين .

الفصل الأول = المعدات العربية التي عضاف الي المراكب .

الفصل الثاني = وسائل اجزاء المراكب وتفسيرها .

١ - الخطا ج ١ ص ٤٨٠ / ٢ - نفس المصدر ج ١ ص ٤٨٢ / ٣ - نفس المصدر ج ١ ص ٢١٩  
وكتاب الظاهر بمصر من ١٤٤ و ١٥٠ / ٤ - الخطا ج ١ ص ٤٨٠ و ج ٢ ص ١٩٣ / ٥ - نفس المصدر ج ٢ ص ١٩٤  
٦ - نفس المصدر ج ٢ ص ١٩٥ / ٧ - نفس المصدر ج ٢ ص ١٩٤



## الفصل الأول

### المعدات العربية التي ضاف الي المراكب

ان المعدات العربية التي ضاف الي المراكب البحرية علي انواع مختلفة وهي من الكثرة ~~وتنوع~~ بحيث ضار الي الاكتفاء بأعضائها . وتسير للبحث بأركل عن كل آلة حربية علي حدة وسأختصر في الكلام عن هذه المعدات ما لا استطعت لأن الغاية اطهار ان العرب استخدموها في اساطيلهم البحرية ميان بعضها كان مستعمل ايضا في التروب البرية . ولو توسعت في البحث عن هذه المعدات لخرجت عن حيز الموضوع الذي الزمت نفسي فيه ودعيت في بحث آخر وهو تاريخ السلاح عند العرب وهذا مما لا دخل له في البحث عن الاطول ولذلك سأركل بلمحات مختصرة عن كل آلة من معدات المركب بقدر ما يساعدني الوصف علي ابراز هذه الآلة في ذهن القاري ويقدر ما لها تماس ايضا في الاطول وابدا اوله بذكر المنجنيق .

#### المنجنيق

" المنجنيق بفتح الميم وسكون النون وفتح الجيم وكسر النون الثانية وسكون الباء وفاء في الآخر . وحكي ابن الجواليقي فيه كسر الميم وحكي فيه ايضا منحوق بالواو . ومنجنيق بابدال النون الثانية ميم . وهو اسم اسلمي . فان الجيم والذات لا يجمعان في كلمة ~~على~~ عربية " ١ " وقال الجوهرى فارسيها هي ( من جن ) اي انا ما احسن . وليس في الصحاح انا وهي لازمة الذكر . ويجمع علي منجنقات قال

بالمنجنقات والأمام

ويوم حلانا عن الالهام

ويجمع ايضا علي مناجق ٢ . ويدول اللانديني انه يجمع ايضا علي معاني ومناجق ٣ . ولد ورد الجمع الأخير في سيرة مدح الدين الأيوبي بقول : ولما تكاملت عنده آلات القتال من المناجق والدهابات والقائر ٤ . وما يستدل علي المنجنيق الحق بضمين وهي حجارة المنجنقات وقال ابن الأعرابي الجنج اصحاب تدبير المنجنيق ٥ .

قال الجوهرى وهو " آلة ترمي بها الحجارة اي علي العدو وذلك بان تند سوار مرتفع

خا من الخشب يوضع عليها ما يراد رميه ثم يصب بسارية توصله لكان بعيد بجلدها ٦

١ - صحيح الزعني ج ص ١٢٧ / ٢ - تاريخ العرويس " مادة جنج " / ٣ - صحيح الأنسبي ج ص ١٢٧

٤ - سيرة مدح الدين ص ٥٥ / ٥ - تاريخ العرويس مادة " جنج " ج ٦ - تفسير المصدر مادة " جنج "

وخلط الشام ج ص ١٢ .



ولد وهذه الدلائل بعبارة أوضح وأجلى فقال " هو آلة من خشب لها دفتان قائمتان بينهما

سهم طويل رأسه ثقيل وذنبه خفيف وفيه جعل كفة المنجنيق التي يجعل فيها الحجر يذب حتى ترفع أسفله على أعاليه ثم يرسى فيرتفع ذنبه الذي فيه الكفة فيخرج الحجر منه فما أماب عينا إلا أهلكه " ١ .

والمنجنيق آلة قديمة كانت مستعملة قبل مجيء العرب " استخدمها الفينيقيون قديما وعندهم أخذها اليونان والأسراثلينيون وورد ذكرها غير مرة في سفر المكابيين وانتشرت بواسطة اليونان في سائر دول الأرض فاستخدمها الفرس وعندهم أخذها العرب بعد الأسلم " ٢ .

وفي بعض الروايات أن الجاهليين عرفوا المنجنيق واستعملوه في حروبهم يقال أن " أول من وضع المنجنيق بذيمة الأطلوز ملك الحيرة على العرب " ٣ ثم لما أتى الأسلم استخدم المسلمون المنجنيقات في أعمالهم العربية وأول من استعمله النبي محمد (ص) في حصار الطائف ٤ ويقول زبدان " والمشهد أن العرب لم يستخدموا هذه الآلة إلا في أواسط القرن الأول للهجرة بعد مداخلتهم الإل الروم والفرس ولكننا رأينا في السيرة الحلبية أنهم استخدموها في حصار الطائف أروهم إليها - إيمان الفارسي ويقال أنه صنع لهم بيده " وذكر صاحب هذه السيرة أيضا أن المسلمين لما فتحوا حصن المعب في خيبر وجنوا فيه منجنيقات ودبابات " ٥ .

أذن لقد عرب العرب المسلمون المنجنيق من القدم أزمانهم واستخدموه في حروبهم البحرية . فهل استخدموه في حروبهم البحرية ؟ الأول نعم . ولكن الزمن الذي بدأ فيه العرب الإل استخدامهم له في الأسطول لا يمكنني تحديده . ففي معركة ذات العوارس التي قامت سنة ٢٤ هـ ما بين الأسطول العربي والبيزنطي استخدم العرب في قتال أعدائهم الحجارة يقول المقريزي " قالوا نفذ النبل والنشاب فهم يرمون بالحجارة " ٦ ولكن النصارىيين ما إذا كانت هذه العبارة ترمي بالمحاربي أو بنى آخر ذلك لا يمكنني اعتبار هذا التاريخ سنة ٢٤ هـ هو الزمن الذي بدأ العرب يستخدمون به المنجنيق في مراكبهم . وإنما الذي نفوس متأخرة تؤكد استعمال هذه الآلة في المراكب . يقول المقريز أن الخليفة المعز لدين الله الفاطمي سنة ٣٥٠ هـ كان يجلس لوداع الأسطول قبل ذهابه الفرو ويصف المقريزي المراكب بقوله

١ - صبح الأعشى ج ٢ ص ١٢٢ وحجارة العرب عام ١٦٦ - ١٦٧ / ٢ - التمدن ج ١ ص ١٧٥ / ٣ - فاح العروس مادة " غن " و صبح الأعشى ج ٢ ص ١٢٢ / ٤ - سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٢٠٣ والمختصر النظم الشافعية ص ٢٢٢ / ٥ - التمدن ج ١ ص ١٧٥ X المخطوط ج ١ ص ١٦٩ / ٦ - المقريزي



" فإذا جله للوداع جاءت القواد بالمراكبين من مصر الى هناك للعراك في البحر بين يديه وهي مزينة بأسلحتها ولهودها وما فيها من المنجيات فيرمى بها . وتندحر المراكب وتقلع وتفل سائر ما تفعله عند لقاء العدو " ١ . ويروي ايضا عن ابن الطوير عند كلامه عن منظره المسمى مايلي " ٢ . جا . ت القواد بالمراكبين من مصر الى هناك للعراك بين يديه وهي مزينة بأسلحتها ولهودها ( لهودها ) وفيها المنجيات تلصق وتندحر وتقلع بالمجازيف كما يفعل في لقاء العدو بالبحر الملح " ٣ . هذان النصان يدلان دالة واضحة على وجود المنجيين من مراكب . ولكن هذا التاريخ سنة ٢٥٠ متاخر جدا واظن ان العرب قد استخدموا هذه الآلة في الأسطول قبل ذلك التاريخ ولعل هناك لصوص يؤيد ذلك لم اصدقها في قرائتي .

ولد استخدم الأفرنج سنة ٦٩٠ هـ اذنا . ح . حار عكا المنجيين في مراكبهم ودموا به المسلمين . يقول ابي الفداء " . . . واخروا بطله فيها منجيين يرمي علينا وعلى غيبتنا من جهة البحر فكنا منه في شدة حتى افض في بعض اليالي هبوب رياح قوية فارفع المركب وانط بسبب الموج وانكر المنجيين الذي فيه بحيث انه انط ولم ينصب بعد ذلك " ٤ .

وكان يطلق على بعض المنجيات اسما خاصة تميزها عن غيرها وذلك عندما تكون تلك المنجيات ذات أهمية عظيمة . كما يطلق اليوم على المدافع بحرا اسما خاصة تعرف بها . فالهلا زير يسل ي ذكر المنجيين المعروف " بالمروس " كان عند الحاج بن يوسف القفطي ارسله صديقه محمد بن القاسم لمعارية ملك الهند سنة ٨٩ هـ وهدم به صنفا من اصنامه يقول " ونصب منجيين تعرف بالمروس كان يمد فيها خمسا ثم رجل " ٥ . اذن كان ينتقل على هذا المنجيين خمسا ٦ رجل للرعي عنه وهذا العدد من الأغصان يبين لنا أهمية هذا المنجيين . . . . . ويحدثنا ابي الفداء عن منجيين يعرف " بالمنصوري " لا يقل أهمية عن " المروس " يقول ابي الفداء عنه " ان السلطان الملك الأشرف مار بالساكر المصري سنة ٦٩٠ الى عكا وارسل الى الصاكر الشاميه وامرهم بالحضور وان يحموا صبيحتهم المناجيين . . . . . وسلمنا منه منجيقا عظيما يسمى المنصوري حمل ما ٧ عجلة ففرقت في المعسكر المصري وكان السلم الي منهم منه عجلة واحدة . . . . . وكان سيرنا بالمجلى في آواخر فصل الشتاء فانفق ونوع الأمطار والثلوج علينا . . . . . ففاسهنا من ذلك بسبب جبر الملك العجل وضعف البحر وموتها بسبب البرد عدة عظيمه . . . . . وكذلك امر السلطان الملك الأشرف ببحر الجانيون الكبار والغار مالم يجتمع على غيرها " ٨ . هذا النص يبين لنا ان المنجيات على انواع منها الصغير ومنها الكبير . وان الكبير منها ينتقل بعد ان يترك الى اجزاء ينتقل كل جزء منه على حدة اما بواسطة العجل او بواسطة الفن . -

١ - الخطاط ج ٢ ص ١٩٣ وصحح الأعي ج ٢ ص ٥٣٣ والعمد ج ١ ص ١٩٢ / ٢ - الخطاط ج ١ ص ٤٨٠

٣ - المختصر ج ٤ ص ٢٥ / ٤ - فتوح البلدان ص ٤٤٢ والعمد ج ١ ص ١٧٦ / ٥ - المختصر ج ٤ ص ٢٤



وقد كانت هذه المنجنقات تكلف الأموال الكبيرة يقول ابن خلدون عن منجنق كبير قوامه  
كلف ألف وخمسة دنانير ١

ويطلق بالمنجنق الزيارات وهي اللوالب والعمال التي يجذب بها المنجنق حتى ينطأ أعلاه  
ليرمي به العبر ٢ وهو على أنواع منه ما يمتد بلوالب والقواس ومنه ما يدار فيه المذراع ٣  
ويستخدم المنجنق إما لرمي السهام أو العبارة أو قدر النفط أو المقارب أو نحوها من  
آلات الآذي فإن كانت المقذوفات خفيفة فقلوها بالرصاص وإن كانت من المواد كالنفط ونحوه  
انفذوا لها كفة كالنار علقوها بسلاسل ٤ وكانوا يستخدمون المنجنق لحراق أماكن العدو بالنفط  
ونحوه فيمرسلون به نفطاً مولماً بالنار ينفذونه بواسطة كفة من الزرد يجعلون بها الأوعية المملوءة  
بالنفط كالقدور ونحوها ويرسلونها بمنجنق رمي العبارة ٥ .

هذه لمحة مختصرة عن المنجنق وبهذه الطرق استخدامه أقول مختصرة لأنني عني ببيان أن هناك  
مجالاً واسعاً للبحث في هذه الآلة وصناعتها وقد ألف الأندلسيون كتباً عن المنجنق أذكر منها  
كتاب يدعي الأنيق في العلم الجانيق الذي نشره العلامة منكلي بن الحسن الزردكاش عام ٨١٧ هـ  
وهو في جملة كتب الأستاذ زكي باشا مأخوذ بالة التصوير في ١٠٩ لوحة ويصف المؤلف في ط  
هذا الكتاب المنجنق وأجزائه وطريق صناعته وهو معلى بمورد مديعة للقائمة .

أني ألف جلاً ألف لعدم تمكني من الاطلاع على هذا الكتاب لعدم وصولي إليه . وإنما  
استفدت بعض الفائدة مما كتبه الأستاذ " المحي أمين الخولي " في مجلة المقطف الجزء الرابع  
من المجلد ٦٣ في كانون الأول سنة ١٩٣٣ م في مقال عنوانه " الأسلحة النارية في الجيوش  
الإسلامية " . وكنت أتمنى لو أصبح لأحد رجالات مصر العاملين نشر هذا الكتاب وأبرزه  
لحيز النشر والوجود فما أوجنا إلى أن نعرف عن أسلحة أجدادنا وما لهم من الآفار والأيدي  
الكهري في هذا الضار .....

وشبهه بالمنجنق من آلات الرمي أذكر :

### المرادة

المرادة ( بالعديد فهي أصغر من المنجنق ) سميها والجمع المرادات ٥ وقد انتقل هذا  
اللفظ إلى اللغة الألمانية *Valgarada* وهي آلة تصغر المنجنق ترمي بالعبارة أو السهام

١- سيرة صلاح الدين ٩٤- ٩٧ / ٢- صبح الأعني ج ٤ ص ١٣٧ / ٣- القندون ج ١ ص ١٧٥ /  
٤- نفس المصدر ج ١ ص ١٣٨ / ٥- تاج العروس مادة " عرد " ١/٦- ملحقات لأمنس ص ١٢



الرمي البعيدة ويقدر النفط او المتارب وما اليها ١ وليس هناك من فارى كبير بين المرادة والمنجنيق الا في الحجم فلا حاجة للتوسع في عنها .  
ومن الآت القذف ايضا

### الجروح

جرح جسمها جروح وهي لا يقذف بها السهام والنفط ٢ ويقول الأب شيخو ان هذا اللفظ فارسي معناه الدواب ويراد به آلة للارمي المدور بالعجارة والأسهم النارية والنفط ٣ .  
ومن الجروح اذن نشتق لفظا الجرحية وهم الذين يرمون بالنفط ٤ .  
والجروح اذن آلات للرمي وتورد كثيرا في المصادر بهذا المعنى يقول ابن شداد " فاستعملوا المنجنقات والدبابات والجروح ٥ والآت العار وغير ذلك " ٥ ويقول علاء الدين " وكانوا يرموننا بالنشاب والجروح من المركب " ٦ ويقول صالح بن يحيى " حتي تسلطت الروماة بالجروح والعجارة من مواربها " ٧ ويقول ايضا " ودعوا علينا بالجروح " ٨ .

بعد ان عرفنا الآت الرمي يجب علي ان أبين القذائف التي كانت ترمي بهذه الآلات لأن هذه الآلات دون فوائدها لتفيد شيئا . فما هي تلك القذائف ؟

### الاجار وقوارير النفط والقذود

يوجد انواع عديدة من القذائف التي كانت ترمي بأحد الآت الرمي التي مر ذكرها . وهذه القذائف بعضها مؤلف من الحجر ويدعي " فتاهل الحجر وتتخذ من حجر مدور ويجعل فيه أربعة خزائن وتملأ هذه الخزائن بلزائقي كتف مكون من نطف ومصطكي وغيرها الخ ٩ ذكرها صاحب الأنيق تحت الملا منكلي " ٩ وبعض هذه القذائف مؤلف من قوارير زجاج او القذود . قال القلقشندي عنها ما يلي " قوارير النفط وهي قذود ونحوها يجعل فيها النفط ويرمي بها علي الحصون والقلاع للأحرار علي ان القوارير في اللغة اسم للزجاج وانما استعملت في آلات النفط مجازا " ١٠ .

- 
- ١- هامش ضارة العرب ص ١٦ / ٢- ملحق دوزي مادة "جرح" / ٣- هامش تاريخ بيروت ص ٢٩
  - ٤- وحلها/ ابن بطوطة ج ١ ص ١٤١ / ٥- سيرة صلاح الدين ص ٢٧ / ٦- المختصر ج ٤ ص ٢٥
  - ٧- تاريخ بيروت ص ٣٦ / ٨- نفس المصدر ص ٢٨ / ٩- المقطع ج ١ ص ١٣ سنة ١٩٣٣ م ص ٣٧٦
  - ١٠- صبح الأعني ج ١ ص ١٣٨ .



وكان بعض هذه القدور من النحاس تسكب علي مثال حجر المنجنيق مجوفة وتعمل بدواحد -  
ومواد اخرى ذكرها علي اقدارها ونسبها الزبدكاش صاحب الانبيق ١٠٠ " ومن قنابل النحاس ما يكون  
علي شكل صناديق تعرف بصناديق الصنافة ويكون في جنبها مزاد نحاس وله انايب تنفذ اليه  
ديماً الصندوق نفطاً ويحمل علي رأس المزاد ورده لباد وتعمل ويحمل الصندوق بالمنجنيق فيشعل  
منها وينفجر ١٠١ "

وكان بعض هذه القدور من الزجاج ويدعي قنود الزجاج ١٠٢ وهي قوارير تدعى من دهس يملأها  
بتركيب من نفط معد - وهو النفط الأسير وكبريت وكفوس ... الخ ثم ترمى هذه القوارير  
بالمنجنيق فتطلق المكان الذي تقع فيه ويؤتى بعد ذلك بحجر عليه مشافة مرواة من النفط  
المطبوخ تشعل فيه النار ويرمي حيث وقعت القوارير فيلتهم المكان وما ينلق حتى يصير رمبها ١٠٣  
وقد احرق المسلمون لافرنج عند حمار عكا كبشاً بالنفط يقرب من عداد ١٠٤ وأما راي المسلمون  
ما نزل بالعدو من الخذلان والهزيمة هجموا على كبشهم فالحقوا فيه النار والنفط وتمكنوا  
من حريقه ١٠٥ وقد وجد ابن الأثير عند ذكر حمار الافرنج لعكا سنة ٥٨٦ كتب ان العرب  
المسلمين احرقوا ابرج الافرنج القوية التي صنعوها حول البلد وذلك بغذهم اولاً قنود فيها  
نفط ومواد محروقة علي البروج حتي قتلت تلك البروج ثم ارسل قنود اخرى بعدد فيها نفط  
مشعل فتطلب البروج وتحرقا يقول ١٠٦ فاقام الله بنصر من عنده واذا من ابرج الافرنج  
وكان سبب ذلك ان انساناً من اهل دمشق كان مولماً بجميع آلات الشاطين وتعبير عفاقير قنود  
تعل النار فكان من يعرفه يلومه علي ذلك وينكره عليه وهو يقول هذه حالة لم اباقرها بنفسي  
وانما اشتقي معرفتها وكان بعكا لأمر يريد الله فاما راي الافرنج قد نسبت علي عكاه خروج  
في عمل ما يعرفه من الأدوية القوية النار بحيث لايمتعها شيء من الطين والصل وغيرهما  
فلما فرغ منها حضر عند الأمير فراقوس وهو متولي الأمور بعكا والحاكم فيها وقال له  
يأمر المنجنيني ان يرمى في المنجنيق الحادى ليرى من هذه الافرنج ما اعطيه حتي احرقه ...  
فاحابه الى ذلك وأمر المنجنيني بامتنان امره فرمي عدة قنود نفطاً وأدوية محروقة ليس فيها  
نار فكان الفرنج اذا راوا القنود لا يعرفون شيئا يصيحون ويهرسون ويلطمون على سطح البرج حتى  
علم ان الذي القاه قد تمكن من البرج القى قنوداً مملوءة وجعل فيها النار فاشتعل البرج

١ - المصنف ج ٤ مجلد ٣٣ سنة ١٩٣٣ هـ / ٢ - نفس المصدر / ٢ - سيرة صلاح الدين



والقى قدرا ثانية وثالثه فاضطربت النار في نواحي البرج واعجلت من في صبقاته  
الخمس عن المهرب ٠٠٠ وحمل ذلك الرجل الى صلاح الدين مبدى له الاموال  
الجزيلة والاقطاع الكثيرة فلم يميل منه الحبه الفرد وقال انما علمته لله تعالى و  
اريد الجزاء الا منه \* ١٠

هذه صورة بدبعة من استعمال العرب لقدور النفط واحراق هوى الاعداء  
بواسطتها وهناك نوع آخر من القدور كان العرب يستعملونها لينعموا العدو  
من اطفاء النار وهذه القدور ملوثة بالحذرة والاقذار يرمونها ليشملوا العدو  
بنفسه من القتال \* بذكر ابن الانبر هذه القدور عند ذكر حصار الفرنج لصور  
سنة ٥٠٥ فبقول وعملوا ( الافرنج ) عليها المجانيق والصقوا احداها الى سور  
البلد واخسوه من الرجال \* وكابت صور للامر باحكام الله العلوى وثابته بهسا  
من الطل الامر فاجسر اهل البلد واستنارهم في حيلة بدنعين بها شر الابراج منهم  
فقال شيخ من اهل طرابلس وصنع على نفسه احراقها واخذ معه الف رجل  
بالسلاح الشام ومع كل رجل منهم حزمة حطب فقاتلوا الفرنج الى ان وصلوا الى  
البرج الملتصق بالمدينة فلقى الحطب من جهاته والقى فيه النار ثم خاف ان يشتغل  
الفرنج الذين في البرج باطفاء النار ويتخللوا فرماهم بجرب كان قد اعداها ملوثة  
من الحذرة فلما سقط عليهم استغلوا بها وبما نالهم من حرّ الرائحة والتلوث فتمكنت  
النار منه فهلك كل من به الا القليل واخذ منه المسلمون ماقدروا عليه بالكلاب ثم  
اخذ سلال العنب الكبار وترك فيها الحطب الذي قد سقاء بالنفط والزفت والكتان  
والكبريت ورماهم بسبعين سلة واسرى البرجين الآخرين ٢٠٠ في هذا النصر يبين  
ابن الانبر انواع المواد والعقاقير التي كان العرب يستعملونها في تحجيل الاحراق  
وهي كما رأيت النفط والزفت والكبريت وما اشبهها \*

هذه القذائف التي ذكرت كانت ترمى بالمنجنيق وهناك نوع آخر شبيهها  
من القذائف كانت تقذف بالبد وهي انسيه ( بقنايل البد ) في يومنا هذا وتدعى  
قوارير النفط وهي \* مؤلفة من زجاجة مدورة ذات عرى تحشى بالنفط والصبر ويذر

١- الكامل ج ١٢ ص ١١-٢٠ وسيرة صلاح الدين بر ٨٤ والروض مر ١٦٦ وخطط الشام

ج ٥ ص ١٢ / ٢ - الكامل ج ١٠ ص ١٨٤ - ١٨٥ \*



القرطم المشهور الخ ٠٠٠ وتجعل لها سلسلة فبشعلها الضارب ثم يرمي بها فبكرها ١٠  
وقد استعمل العرب هذا النوع من القوارير في حصار عكا سنة ٨٦٠ هـ لحرق بطش الافرنج.  
يقول ابن شداد ٠ خرج اصحابنا من الثغر المحروس ( عكا ) في شواني على بخته من  
العدو وسروا البطنة المعدة لاخت البرج الذباب بقوارير نطف فاحترقت وارتفع لهبها  
في البحر ارتفاعا عظيما وحزن الالمان لذلك ٢٠ ويقول ابن شداد ايضا ما جرى  
في حصار عكا ٠ ولقد حكى بعض من دخل عليهم ( الفرنج ) اسوارهم انه كان هناك  
راجل واحد ايرنجي صعد سور خندقهم واستدبر المسلمين والى جانبه جماعة يناولونه  
الحجارة وهو يرميها على المسلمين الذبح بلاسقون سور الخندق وقال انه وقع فيه  
زهاء خمسين شهيدا وحجرا ولا ينفع ذلك ما هو بصدده من الذب والقتال حتى  
ضربه زراق مسلم بقارورة فاحرقه ٣٠

وهناك قنابل مصيئة وهي مؤلفة من بندق يركب من كبرت رومي اسود وصنع  
ودن بلسان ونوره ومواد اخرى تبتدق وتجفف فاذا اراد الرمي بها تمسح بنفط مصعد  
— اى ابيض — مطبوخ ويذر عليها كبرت مسحوق فاذا رمى بها من قوس صلبة شديدة  
اشتعلت نارا بوقوعها في الهواء سواء كان ذلك في ليل او نهار ٤٠ وهناك نوع من  
القذور يشبه ( قنابل شرميل ) التي تغتر الجلد عن اللحم وتحرقه وتمنع من قدور مطبوخة  
بمواد من نفط وغيره ذكرها باقدارها صاحب الانبيى ورسم القدر نفسها ٠

وقد ورد استعمال هذه القوارير البدوية عند ابن الاثير عندما يتكلم عن صناد  
الدولة ابن بويه وحربه مع باقوت ٠ فقد استعمل الاخير جماعة من رجاله يقاتلون بقوارير  
النفط يقول ٠ ذكرنا مسير عماد الدولة ابن بويه الى القنطرة وسبق باقوت اليها فلما  
وصلها ابن بويه وصده باقوت عن مبورها اضطر الى محاربتة فتحاربا في جمادى الاخرة  
سنة ٣٢٢ ٠٠٠ ثم ان باقوتا قدم امام اصحابه رجالة كثيرة يقاتلون بقوارير النفط —  
فانقلبت الريح في وجوههم واشتدت فلما القوا النار هادت النار عليهم فعلق بوجوههم

١- المقطف ج ٤ مجلد ٦٣ سنة ١٢٢٣ ص ٢٧٦ / ٢- سيرة صلاح الدين ص ١٠٤ /

٣- نفس المصدر ص ١٢٧ / ٤- المقطف ص ٢٧٦ حتى ٢٧٢ ٠



وشبابهم فاختلفوا واكب عليهم اصحاب ابن يوشف فقتلوا اكثر الرجال \* في هذا النص الذى يذكره ابن الاثير بين لنا ان قوارير النفط هذه كان لها خطرها على استعمالها اذا لم يساعده الريح . فقد انقلبت نيران النفط على باقوت وجماعته واحرقتهم عند انقلاب الريح في وجوههم .

وقد يستعمل الخلفاء النفط لاختداد الثورات الداخلية التي تجرى في بلادهم كمثل جرى سنة ٢٨٦ هـ عندما احرق النصارى الاسطول في صناعة القس وقامت البحرية بالاشتراك مع العامة في تقتيل الذين قاموا بالعمل . ولاخداد الفتنة التي نشبت في مصر \* طاف متولي الشرطة وبين يديه ارباب النفط بعددهم والنار مشتعلة \* حتى هدأت العامة وسكنت ثورتهم .

ان هذه القدور او القنابل التي ذكرتها هي من النوع المشتعل ان العادة الرئيسية فيها هي النفط المصعد \* وهو \* خلاصة النار البابلية وله قوة يستلج بها النار فيستوقد منها وان لم يتماسا ولونه ابيض ويكون منه الاسود \* وهناك انواع اخرى من القدور التي تقذف على الاعداء ولكن المواد المستعملة فيها غير مشتعلة وانما هي مؤذية ومضرة اذكر منها \*

قدور الانزلاق : وهي قدور من الصابون اللين الذى يزلق الاقدام . او قدور تلقى ملأى بالسدر والخطمة الرقيقين المخلوطين بدق الصابون بختم رأسها وتقذف على السفن البحرية فتتكسر فيها . ثم يقذف <sup>بعد</sup> هذه القدور نوع آخر من القوارير التي تشبه - قنابل الكرويات - في بومها هذا وهي ملوثة بالعشرات تدور - قدور المراكب - وهي مؤلفة من قدر كبيرة من العنار توضع فيها حبات عتاق ومقارب ويختم رأسها وترسل على المقاتل بعد قنابل الانزلاق السابقة الذكر فتتكسر وينتشر ما فيها فكل من لسمته قتلته . ويزيد هول هذه القنابل كونها تلقى على المراكب فليصق المكان واحاطة الماء يسكان المركب تجعل الخطر عظيما والاضطراب هاما عند الجميع وهناك نوع آخر من القدور يعمل من جرار النورة وهو اشبه - بالغازات الخائفة

---

١- الخطط الكامل ج ٨ ص ١٤ - ١٥ / ٢ - الخطط ج ٢ ص ١١٦ / ٢ - المختطف ج ٤ مجلد

٦٢ ص ٢٢٢ / ٤ - نفس المصدر ص ٣٧٦ .



والنورة هي حجر الكلس وتدل ايضا على خلاط تخاف الى الكلس من زرنج  
وغيره يستعمل لازالة الشعر قبل هي عربية وقيل هي معربة قال الشاعر :  
فابعت عليهم سنة نشورة      تحلق الجلد كحلق النورة ١

ويقول البرقوقي جرارة النورة \* هي مسحوق ناعم مؤلف من الكلس الزرنج  
يرمون به الاعداء في مراكزهم فتعمى ابصارهم بنارها وقد تلتهب فيهم النهابا \* ٢  
ويقول الاستاذ امين خولي عن قدور النورة انها - قنابل خانقة - استعملها العرب  
في البر والبحر وهي مؤلفة من قدور تملأ من النورة المدقوقة غير المطفأة ( وهي مزيج  
من الكلس والزرنج ) فتعمى بغبارها الابصار وتلتهب عليهم اذا تبذرت \* وشبيه  
من رار النورة قدور ملوثة بالكلس المطفأ يتصاد غبارها اذا كسرت الى مناخير الجند  
وعيونهم فما يستطيعون القتال \* وهناك انواع من الغازات التي يستعملونها لا يتدخير  
الكبريت والجيف على وجه الريح حتى يفسد الهواء على العدو \* ٣

وهناك انواع كثيرة من الات السر التي يتألف تركيبها من النفط والنشرون  
والنورة والزرنج وامثال هذه المواد المشتعلة تستعمل فقط في الاعمال الحربية البرية  
ولا ضرورة لذكرها هنا عددها الاستاذ امين الخولي في مقالته بالمتنطف ٤ \* وقد  
اقتبسها من مخطوط قديم اشترت اليه سابقا يدعى ( كتاب الانبيق في المجانيق - الفه  
شمس العلا منكلي ) \* واخذ الاستاذ نفسه ايضا في بحثه السابق عن مخطوطة اخرى  
لاحدى مقدمي الجند بمصر في دولة المماليك ويدعى " الاحكام الملوكية والشوايظ  
الناموسية في فن القتال في البحر \* ل محمد بن منكلي \* وهذا الكتاب مخطوط يوجد  
منه نسخة في خزانة العلامة احمد تيمور باشا اعتمد عليها الاستاذ الخولي في بحثه  
عن انواع السلاح عند العرب \*

ولما لم يكن يوسعي الاطلاع على تلك المخطوطتين لذلك اعتمدت ماكتبه الاستاذ  
خولي واقتبست منه اشياء كثيرة في البحث عن النفط وقدره وقواريره \*

---

١ - المحيط مادة "نور" وطلحي دوزي ايضا / ٢ - حصار العرب ص ١٧١ والتمدن ح ١

ص ٢٠٠ / ٣ - المتنطف ٤ مجلد ٦٢ سنة ١١٢٢ هـ ص ٢١٧ / ٤ - نفس المصدر \*



## زداة

جمعها زداات . يقول الزبيدي " زدا بمعنى رمي أو طعن " ١ ولا يذكر زداة بمعنى " آلة التي يرمي بها النفط " ٢ وبعض محمد بن منكلي في كتابه الأحكام الملوكة الزداات بقوله " وكانوا يرسلون النفط من انابيب تجل في الفن وتعرف في اليونانية باسم ( سيفونية ) وتسمى عند العرب بالزداات ونهت منها نار النفط بأرعاد وبخان شديد فتعرق الفن " ٣ ويقول كاترمير " ان معنى زداة مجرى . وفي شرح كتاب المواث ٤ يحدد ما يلي الزداة انبوبة معمولة من نحاس ومنوعة بشكل ان تغلفها رقيق والنم الصفوف منه ضيق للغاية بينما تغلفها الثاني نخين وذو تجويف عريض . وفيها قطعة من الخشب التي تهيي بحجم يملأ الفراخ العريض ثم يملأ الأنبوب ماء وتحمم قطعة الخشب علي مدخله وتضغط بعنف فيخرج الماء بقوة من الطرف الضيق الي مسافة بعيدة " ٥ هذا هو الصدا الذي بنيت عليه زداات النفط فهي موارى من النحاس أو من اي معدن صلب آخر يوضع به النفط وينفت علي الأعداء .

يقول كاترمير " ان كلمة زداة نجدها مستعملة عند كتاب القرون الوسطى لتفيد انبوبة يرمي منها النفط . فالمتريزي في خاتمه يقول زداات النفط " ٦ . ومن كلمة زداة اشتقت كلمة زدا وهو الرجل الذي يرمي النفط عن هذه الآلة ويعدد كاترمير نموا كثيرة تؤيد ذلك يقول " اننا نقرأ في كتاب الكامل ٧ مايلي انسان زدا ضرب دارا بمقارورة نفط ... وفي كتاب حياة بيهرس للنويري ص ٧٢ ب يقول رمي الزداون بالنفط . وفي كتاب حياة بيهرس فلاون للمؤلف نفسه ٨ يقول لعب الزداون بالنفط وفي ص ٢٠ يقول عدة العجاريين والزداون الف وفي كتاب السلوك للمتريزي ( ج ١ ص ٢٣ ) يقول دفع الزداون النفط . وفي كتاب تاريخ فتح بيت المقدس ٩ يقول كل زدا زدا الخسارة علي اهل النار بالنار وفي ( ص ٢٩ ب ) يقول التهم الزدا والنهب العراق " ١٠ . ويقول ابن عداد عند حصار عكا " فوصل رسول الخليفة وهو شاب غريفي وصل معه حملان من النفط وجماعة من النفاطين والزداين " ١١ ويقول المتريزي " في سنة ٧٠٢ في سلطنة الناصر بن فلاون جهزت الشواني بالعدد والسلاح والنفطية والأزودة ... وتذب الأمير سيف الدين

١ - تاج العروس مادة " زدا " ٢ - ملحق دوزي مادة " زدا " ٣ - المصنف ج ٤ المجلد ١٣ سنة ١٩٢٣ ص ٢٧٥  
٤ - سلطنة السلطنة ص ٢٣٢ ٥ - هامش السلوك ج ٢ قسم ٢ ص ١٤٧ / ٦ - السلوك ج ٢ قسم ٢ ص ١٤٧ في الهامش  
ماخوذة عن الخط ج ١ مخطوطة رقم ٧٩٧ ص ٢٤٩ ب / ٧ - مخطوطة ج ٥ ص ٢٨٨ / ٨ - مخطوطة رقم ٦٨٣ ص ١٩  
٩ - عماد الدين الأصفهاني مخطوطة رقم ٧١٤ ص ٥٧ آ / ١٠ - السلوك ج ٢ قسم ٢ ص ١٤٨ / ١١ - سيرة صلاح الدين ص ٨٤



كرومار المنعوي الزداني الي الفر بهم ومعهم جماعة من مالبيك السلطان الزدانيين " ١  
 ما تقدم يثبت لنا ان الزدانة آلة يرمي الزداني بها النقط وهذا النقط يشتمل نارا علي  
 الأعداء الا ان الصعودي يذكر هنا يبين فيه انه علاوة عن النقط الذي ينفذ من هذه الآلة فانها  
 تعني ايضا بالصبي والرمل . يقول عند ذكر حصار حشد المامون لبغداد ما يلي " ونصب له ( هروسة  
 ابن امين ) علي بغداد المنجنقيات .. فتأذى الناس به وصعد نحوه خلق من العيارين واهل الجون -  
 وكانوا يقاتلون عراة في اوساهلهم القبايع والمبارز - وقد اتخذوا لرؤوسهم دواخل من الفوس سموها  
 الخوذ ودفقا من الفوس ... والهورى قد قبرت وحشيت بالصبي والرمل " ٢ ومعني قوله الهوارى قد  
 قد قبرت اي ان الزدانات التي هي بشكل الهوارى قد ملئت بالقار وهو النقط ثم حشيت بعد ذلك  
 بالصبي والرمل .

وفي حوادث سنة ٤١٥ هـ يذكر ابن الأثير مايلي " سار الدستور في جيش عظيم من الروم الي  
 مدينة ديبيل ولديها نهر السكي في عسكر يحميها وكان مع الدستور دبابات ومناجيق ومعه مزارق  
 تنزق بالنار عدة اثني عشر رجلا فلا يقوم بين يديه احد من عدة ناره واتصاله فكان من اعد  
 شي على المسلمين " ٣

ويسمي فون كرومر هذه النار التي تنفذ عن الزدانات بالنار اليونانية ويقول  
 ان العرب استعمالوا في سفنهم المدعوة بـ *Jaaly* اي التونة . ٤  
 فما هي النار اليونانية ؟

### النار اليونانية او النقط القاذف

اتفق معظم المؤرخين الذين ذكروا النار اليونانية ان مخترعها رجل سوري من  
 اهالي بعلبك يدعي كاليثيكوس *Kalithikos* اهتدي لمعرفة هذه النار وابوختها للبيزنطيين سنة  
 ٦٧٣ م الكهنه فاستخدموها في محاربة العرب عند حصار الشطرنجية واحرقوا بها السفن العربية في سنة  
 ٢٤ هـ : يقول حتي " ان استعمال النار اليونانية تعبر عن تأخير هذه النار علي سفن العرب  
 ويقول ان البيزنطيين هم اول من استخدم <sup>هذه</sup> النقط النار في العرب " ٥  
 وقد بالغ الروم في كتمان اسماء المواد التي يتألف منها تركيب هذه النار وبقي سرا مكتوما  
 بينهم حتي عرفه العرب علي ما يقول فون كرومر في اوائل القرن الثاني عشر للميلاد . ٦  
 ويقول زبدان " ان تركيب المواد المولفة منها النار اليونانية لم يعرفه اهل اوربا الا في القرن

١ - الخطا ج ٢ ص ١٩٥ / ٢ - مروج ج ٢ ص ٢٥٧ طبعة القاهرة سنة ١٣٠٣ والنظم الاسلمية ص ٣٤  
 ٢ - الكامل ج ٨ ص ٦٠ / ٤ - ٣٦٥ *The Chronicle* نقل عن كتاب *Le Livre des Rois*  
 ٥ - تاريخ العرب ص ٢٠٢ / ٦ - القند ج ١ ص ١٧٩ / ٧ - القند ج ١ ص ١٧٩ وخطا الشام ج ٥ ص ٢٦



## السابع عشر للبلاد \* ١ \*

اما تركيب النار اليونانية فمختلف فيه ولعل ذلك راجع الى عدم وجود تركيب ثابت لها . ومع ذلك فهناك مواد محترقة ثابتة لازمة في تركيب هذه النار . يذكر ابن منكبي في كتابه الاحكام الملوكية والاضوابط الفاصلة في فن القتال في البحر تركيب هذه النار فيقول \* وتتخذ من شحم كلاب البحر والزفت والكبريت والراتنج وغيرها على مقادير معدودة يمينها في كتابه فتشعل اذا اشعلت وتطش بومها وليلتها - لا تنطفئ \* ٢ \* اما البرقوقي فيذكر تركيب هذه النار من انها مزيج \* من الكبريت وبعض الراتنج والادمان في شغل سائر \* ٣ \* ويذكر السبارة نفسها زبدان ولا ادرك عن نقل اعداد الملغارات لانها لا يغيران الى المصادر التي بأخذان منها . \* ومن خصائص هذه النار انها تشتعل في الماء والهواء \* ٤ \* ولذلك اذا احابت المراكب لا تنجى الا بالتراب النسي او الرمل \* ٥ \* وقد بقي استعمالها في المراكب واستعمال قوارير النور وماء الكلس التي ترمى على عيون الاعداء قرنا من الزمن بعد اذ كان المدافع Ordnance في ال Galley الشونة \* ٦ \* وكانت هذه النار تطلق \* من اسطوانة نحاسية مستطيلة كانوا يشدونها الى مقدم السفينة فينفذون منها السائل مشعلا او يحلقونه بشكل كرة مشتعلة او قطع من الكتان الملتصق بالنعم فيلقى على السفن او البيوت فيحرقها . . . وكان العرب يسمون النار اليونانية : النفط القاذف \*

\* وقد تفرغ العرب في استعمال هذه النار فادخلوا استعمالها في الرماح والسهام والدبابير . فمن ذلك ربح يجعل في سنامه كلابان من الحديد وحلقة منه ايضا ويلتصق المنار بلباء عليه مزيج من المواد المشتعلة ، كذلك استعمال السهام الملتصقة والدبابير وهذه الدبابير آلات من حديد ذات اصلاع يحملها الفرسان في السروج تحت ارجلهم ، ويتقاتلون بها بعد التناوب بالسيف والرماح وكانت تعرف

١- التمدن ج ١ ص ١٧٩ / ٢- المقطف ج ٤ مجلد ٦٢ ص ٢٧٨ / ٣- حضارة العرب ج ١٦٩ والتمدن ج ١ ص ١٨٠ / ٤- حضارة العرب ج ١٧٠ / ٥- خطط الشام ج ٥ ص ٢٥ / ٦- Naval. P II / ٧- التمدن ج ١ ص ١٨٠ والبرقوقي ص ١٦٩



أول العهد ثم بسبب ما ادبأ به وواحد ها ديهوس وادخل استعمل النار في تلك  
الدبابير أيضا . . .  
لاشك ان هذه النار اليونانية كانت خطرا كبيرا على السفن والمقاتلين لذلك  
فقد اخترع القوم ملايير وستائر حفظوا بها احسامهم ومراكبهم للوقاية من هذه النار .  
وساتكم الان عن هذه الملايير والستائر .

### ثياب الناطقين - وستائر المراكب .

جاء في كتاب الاغانى الرواية التالية \* قال حدثنا محمد بن يزيد قال كان  
من عظم غزاة الرشيد هزيمة الروم كانت قد ملكت امرأة . . . وكانت تكتب الى المهدي  
والهاد والرشيد اول خلافته بالتعظيم والتبجيل وتدر عليه الهدايا حتى بلغ ابن لها  
فحاز الملك دونها وصادق وافتد ، وافتد الرشيد ، فخافت على ملك الروم ان يذهب  
وعلم بلادهم ان تغلب لعلها بالرشيد وخوفها من سطوته . فاحتالت لابنها فسلت  
عنه فبطل منه الملك بعد ان ابنا فاستنكر ذلك اهل المملكة وابغضوها من اجله فخرج  
اليها تغفور وكان كاتبها فاعانوه وعضدوه وقام بامر الملك . . . ( ونسب هذا الحادثة  
على الرشيد فتذكر الرشيد ) يوم بلاد الروم في جمع لم يسمع بمثله . وقواد لابجارون  
نجدة ورايا . فلما بلغ ذلك تغفور صافت عليه الارز بما رحبت وشاوره في امره وجد  
الرشيد يتوغل بلاد الروم فيقتل ويغنم ويسبي ويخرب الحصون ويعمر الانار حتى صار  
الى طرق متعاقبة دون قسطنطينية فلما بلغها وجدها وقد امر تغفور بالشجر فقطع وربي  
به في تلك الطرق والقيت فيه النار . فكان اول من لبس ثياب الناطقين محمد بن مرث  
فخاضها ثم اتبعه الناس فبعث اليه تغفور بالهدايا وخضع له \* ٢

هذه الرواية تدل على ان الوقاية من النيران قد وجدت منذ ايام العباسيين  
وان العرب كانوا يستخدمونها منذ تلك الايام او ما قبلها . وكان الجيش يصحب معه  
فرقا مستعدة لفتح النيران ومجهزه بهذا النقي من الثياب . فمن اي شيء تتركب  
تلك الثياب ؟ يقول ابن منطلي في كتابه الاحكام الملوكيه \* هي ثياب تصلى من الداخل



والخارج بمواد متخذة من النشادر والشب المصري والشب البعاني ٠٠٠ ومواد أخرى  
 فإذا التهمت النار في الشوب لا تزال مشتعلة فيه وانت تفض على الشوب من النفط  
 ساعة بعد ساعة بوقت اجمع ولا يصل الي داخل الشوب شي\* ويلبسها الرجال اتقا\*  
 للنار في القتال \* ١ كذلك استعمل العرب ستائر يسترّون بها سفنهم خشبية —  
 احتراقها بالنيران وهذه الستائر على انواع منها الجلود \* يقول ابن الفداء عند ذكر  
 فتح مكة سنة ٦١٠ هـ \* كانت منزلة الحمويين براء المينة وكان يحصر البنا مراكب  
 مقببة بالخشب الطهر جلود الجوامب وكانوا يرمونها بالنشاب والجروح \* ٢ هذا النش  
 يدل على ان مراكب الفرنج كانت مجلاء بجلود الجوامب \* ولكن العرب ايضا استعملوا  
 هذا النوع من الوقاية في مراكبهم \* يقول البرقوقي \* ومن حيلهم التي يتخذونها  
 وقاه لهم من اعدائهم انهم يحيطون المراكب بالجلود \* ٣ كما ان ابراهيم الحصار  
 التي توضع على الاسوار عند حصار المدر تغطي بالجلود \* يذكر ابن شداد عند ذكر  
 حصار الفرنج لمكة \* ان المدر كان قد اصطنع ثلاثة ابرام من خشب وحديد والبسها  
 الجلود المسقاة بالخل على ما ذكر \* بحث لا تتقد فيها النيران \* ٤ وعدا عن الجلود  
 يستعمل اللبود ايضا في ستر السفن لدرء نار الاعداء عنها يقول المقرئ \* فإذا جلس  
 لا الخليفة المعز لدين الله ( للوداع جاءت القواد بالمراكب من مصر الى هناك للحركات  
 في البحر بين يديه وهي مزينة باسلحتها ولبودها ٠٠٠ \* ٥ وكان هذا اللبود يبلى  
 بالخل والماء والشب والنفطون ومواد أخرى \* يقول عنها زبدان \* وكانوا يحلقون حول  
 المركب من الخارج الجلود او اللبود المبلول بالخل او الماء والشب والنفطون لدفع  
 اذن النفط \* وقد يحتاطون لذلك بالعطين المخلوط بالبوز والنشرون او الخطن —  
 المعجون بالخل فان هذه المواد تقاوم فعل النفط \* ٦  
 ويذكر ابن الاثير نوعا من السفن يعرف \* بالشذوات والواحدة شذاة كانت  
 تسقف بالاخشاب ويعمل عليها الجب وتطلق بالادوية التي تنفع النار من احراقها

- 
- ١- المقتطف ج ٤ مجلد ٦٣ سنة ١٩٢٢ من ٣٨٧ / ٢ - المختصر ج ٤ من ٢٤ - ٢٥
  - ٢- حصار العرب من ١٢١ / ٤ - حيرة صلاح الدين من ٨٤ / ٥ - الخطط ج ٢ من ١٩٣
  - ٦- التمدن ج ١ من ٢٠٠ .



ويرتب القاطنون داخلها برمون بالنفط ، وثارة برمون بالرصاص المذاب \* ١  
هذه هي الستائر التي تستعمل ضد النفط والنار اليونانية . وهناك نوع  
آخر من الستائر تسدل على المراكب لتحجبها عن الانتشار وغالبا ما تكون بلون الماء  
زرقة حتى تختلط على العدو ولا يراها من بعيد . بعضها القلقشندى بقوله \* الستائر  
وهي آلات الوقاية من الطوارق ، وما في معناها مما يستر به على الاسوار والسفن  
التي يقع فيها القتال \* ٢ .

وهناك حيل اخرى يحتال بها بحارة المسلمين ليحجبوا مراكبهم من امين  
العدو بذكرتها البرقوقي وزيدان مابلي \* من تلك الحيل انهم اذا جن الليل  
لا يشعلون في مراكبهم نارا ولا يتركوا فيها ديكا وقد يسدلون على المراكب قلوفا  
زرقة \* ٣ . ومن معدات الاسطول ايضا .

#### مكاحل البارود ~~اللول~~ او المدافع

يقول القلقشندى \* مكاحل البارود ، وهي المدافع التي يرمي عنها بالنفط \* ٤  
وكلمة مدفع آتية من فعل دفع يقول الزبيدي \* دفع اليها شيئا ودفع عنه الاذى والشر  
على المثل كشم . يدفع دفعا ودفعها بالفتح ومدفعها ازاله بقوة . . . وفي الصحاح  
المدفع ( واحد مدافع المياه الى تجرى فيها ) وقال ابن شميل مدفع الوادي حيث  
يُدفع السيل وهو اسفله حيث يتفرق ماؤه قال لبيد :

مدافع الريان عرى رسمها      خلقا كما ضمن الوصي سلامها \* ٥

ثم استعملت كلمة مدفع فيما بعد دلالة التي تنفذ البندق والسهم يقول  
دوزي \* مدفع بالكسر وبالعامة مدفع بالفتح استعملت لأول مرة في مصر لتدل على  
المعنى المقصود وهو Canon وذلك في سنة ٧٩٢ ( الف وثلاثمائة وثلاثة وثمانين )  
والمدافع في القديم على انواع يذكرها القلقشندى فيقول \* وحاليها مختلف :

١- المقتطف ج ٤ مجلد ١٢ سنة ١٩٢٢ - ٢٧٨ / ٢ - صبح الاعشى ج ٢ ص ١٢٨

٢- حضارة العرب ص ١٧٢ والتمدن ج ١ ص ٢٠١ / ٤ - صبح الاعشى ج ٢ ص ١٢٧

٣- نتاج المروس \* مادة \* دفع / ٦ - ملحق دوزي مادة \* دفع ) .



فبعضها برص عنه باسمهم عظام تكاد تحرق الحجر وبعضها برص عند بندق من حديد من زنة عشرة ارمان بالمصري الى ما يزيد على مائة رطل . وقد رابت بالاسكندرية في الدولة الاشرفية شعبان ابن حسين في نيابة الامير صلاح الدين بن عرام رحمه الله ، بها مدافع قد صنع من نحاس ورماس وقيد بالخراف الحديد ربي عنه من البندان ببندق من حديد عظيمة محماة ، فوقعت في بحر السلسلة خاني باب البحر وهي مسافة بعيدة \* ١

وقد استعملت المدافع في المراكب بقول القلقشندي \* وبحراقة السلطان العظمي المعروفة بالذهبية وحراريو الامراء يلعب بها في وسط امتدادها ويرمي بمدافع النقط على مقدمتها \* ٢ ويقول صالح بن يحيى \* واما نجر في المراكب فتقدمنا الى مراكب الفتح وربنا عليهم بالمدافع مائة ورموا علينا ايضا \* ٣ وفي حوادث سنة ١١٧٢ يقول ابن اياس \* وكان سبب نزول السلطان ( قانصوه الغوري ) الى هناك قيل انه عرض المركب الكبير العليون ٥٠٠ فلما كان زره بالمدافع والطوار والمكاحل وتوجهوا به الى طرا ويظهر وعرضوه على السلطان في البحر وارموا قدامه بالمدافع ذهابا وايابا \* ٤ وفي حوادث سنة ١١٤٤ يذكر \* ثم احضر بين يديه ( قانصوه الغوري ) تلك المراكب الاغرية فلعبوا قدامه في البحر ذهابا وايابا والنفوس عمالة وارموا قدامه في البحر عدة مدافع وكان له يوم مشهور \* ٥

اما في اوربا فقد استعملت المدافع في الملاحة سنة ١٣١٠ يقول **Barnaby** \* ولاول مرة استعملت المدافع في الملاحة الاوربية كان سنة ١٣١٠م وكان الاسبانيون يستعملون سفنا تدعى العليون **galloon** الكبير بالمجاذيف وبين هذه — المجاذيف توضع المدافع ٥٠٠ وفي سنة ١٤٦٠ أصبح استعمال مدافع الحديد والصفر والنحاس عاما . وهذه المدافع تقذف الحجارة والرماس ٥٠٠ وفي سنة ١٥١٥م بنيت سفينة باربع عواري وكان فيها ١٢٢ مدفع بالرغم من ان طولها كان لا يزيد عن مائة قدم . ففيها ٢٠ مدفعا من كل جانب من طبقاتها الرئيسية ونوف هذه من الاعلى ثلاثة

١ — مسيح الاعشى ج ٢ ص ١٧٣ هامش خسارة العرب ١٦٦ وملحق دوزر مادة " دافع "

٢ — مسيح الاعشى ج ٤ ص ٤٨ / ٢ — تاريخ بيروت ص ٢٢٢ / ٤ — بدائع الزهور ج ٤ ص ٢١٥

٣ — نفس المصدر ج ٤ ص ١٤٢



صفوف من المدافع من الآمام والمؤخرة " ١ . وقد استعمل الافرنج هذه المدافع في محاربة المسلمين ايام الحروب الصليبية بذكر صالح بن يحيى ان تعبيره للجنوبين حارة سنة ٢٨٤ هـ - ١٢٨٢ م الى بيروت\* فربما الفرض المسلمين بالبحر والمدافع فتعدوا المسلمين من قبالة الفرنج واستتروا بالجبعان " ٢ . وما زال استعمال المدافع يتقدم ويترقى حتى اصبح في هذه الايام من انما انما الضرر على البشرية . ومن معدات الاسطول ايضا القوس والنبل . وقد خدمت هذين النوعين من السلاح بالذكر لا محبتهم في الحروب البحرية فاما انما اخرى كان المقاتلون يتجهزون بها في حملاتهم البحرية . لكنها ليست مخصصة بالسلاح البحري وحده ، وانما تدخل في انواع السلاح عامه . وسوف لا اذكرها لشهرتها وانما لا تدخل مباشرة في الكلام عن معدات الاسطول وانما اكتفي بذكر اسمائها فقط .

السيف ، الدبور ، الرمح ، السنان ، العنقا ، المغفر ، البيضة ، الدرع السكين ، الحربة ، والدرف . وانواع اخرى كثيرة بعضها القلقشندي ٣ . وبذكرها زبدان ٤ . يمكن الرجوع اليها لمن احب اخذ فكرة عن هذه الانواع من الاسلحة ولننتقل الان لنعرف القوس .

### القوس :

يقول الزبيدي " القوس معروفة عجمية وعربية مؤنثة . وقد تذكر . فمن انما قال في تعبيريها قوس . ومن ذكرها قوس . وجمعهما قوس بالسر وقسي بالنسب وتجمع ايضا على اقواس " ٥ . والقسي انواع عديدة تذكر منها مايلي :

يقول القلقشندي " والقسي على ضربين : احدهما العربية وهي التي من خشب فقط ، ثم ان كانت من عود واحد قيل لها قسيب . وان كانت من فلقيين قيل لها قوس . والثانية الفارسية : وهي التي تتكون من احراء من الخشب والفرق والعقب والفرع ولا جزائيا اسماء يفسر كل واحد منها اسم فجميع اسماء الرامي من القوس قسي

١ - ١٤ - ١٣٥٠ تاريخ بيروت ص ٢٦ / ٣ - ص ١٢٥ من ١٢٥  
الى ١٤٦ / ٤ - التمدن ج ١ ص ١٢٠ وما بعدها ٥٥ / ٥ - تاريخ العروس مادة (قوس)



المقبض ومجري السهم فوق قبض الرامي يعني كبد القوس . وما فوق المقبض من القوس وهو ما علي  
 يمين الرامي يعني رأس القوس وما اخله وهو ما علي يسار الرامي يعني رجل القوس " ١  
 هذان النوعان من القسي هما النوعان اللذان كان العرب والفرس يستعملونهما في حروبهما الأولى  
 اما في الأيام الأخيرة فقد تفنن القوم في صنع القسي وأصبح لها انواع اخري يذكر بعضها ابن  
 الأثير في كلامه عن فتح قلعة صهيون زمن صلاح الدين سنة ٥٨٤ هـ فيقول " ودام ريش السهام من  
 قسي اليد والجرح والزنبور والزيار " ٢ هـ وبصفة المفريزي انواعا اخري في قوله الآتي " وهو القسي  
 لرماية اليد المنسوبة الي صناعتها مثل الخطوط المنسوبة الي اربابها " ٣ هـ ثم في الرجل ~~وال~~  
 والركاب ونسي اللولب الذي زينة نعله خمسة ارجل . والنشاب الذي يقال له الجراد وطوله شهر يرمي  
 به عن قسي في مجار معموله برسمه فلا يدري الفارس او الراجل الا وقد نفذ " ٤ هـ  
 ويبين زبدان بعض هذه الأنواع من القسي فيقول " وتفنن المسلمون بالرماية في العصور الوسطى  
 حتي امطنعوا من الأقواس آلات مركبة ولعلمهم اخذوا بعضها عن الفرس كالمجراة التي استنبطها العجم  
 لما حاربوا القتر . وهي عبارة عن انبوبة من حديد او خشب فيه ثقب يوضع السهم فيه فينفذ دفعا  
 بعدا كما ينفذ الرماصة بالهندية اليوم وتكون الأسهم قصيرة " ٥ هـ  
 وكانت هذه القسي تحفظ في خزائن السلاح التي يقول عنها ابن سنان " خزائن السلاح لها  
 مستخدمون يستعدون ما يحتاج اليه من خشب وحديد وعقب وسلوخ واصباح والآت يعملون فيها ما يؤمرون  
 به من آلات السلاح علي اختلافها واصنافها وتباين اصنافها ولها ضرائب مستقرة في اجرة الصانع  
 وغيرها " ٥ هـ وكان الخليفة ومن الفاطميين ينفقونها بنفسه يقول المفريزي في ذلك " وقال ابن  
 الطوير خزائن السلاح يدخل اليها الخليفة ويطلعونها قبل جلوسه علي العرش هناك ويتعامل حواصلها  
 ويرمي من كل سهم بين يديه خرا ~~١١/١٢~~ فينظر كيف محراه " ٦ هـ وقد كانت خزائن السلاح في ايام  
 الفاطميين تحفظ في مكان يدعي خان سرور وهي برسم الاستعمال للأساطيل ٧ هـ  
 وقد كان للعرب عناية خاصة بالرماية وشجرة فاحشة في النزاع بالقوس في جاهليتهم واسلامهم حتي  
 بلغ من مهارتهم ما يفوق حد التعديق حتي لو أراد اقدم ان يرمي احدي عيني الغزال دون العين  
 الآخري لربماها . ولذلك سماوا مهرة الرمي " رماة الحدق " وكان اقدم يطلق ضبا بشجرة ثم يرمي  
 فترانه فقرة فقرة . فلا يخطي واحدة منها " ٨ هـ

١٨ - صحيح الاغني ج ٢ ص ١٢ / ٢ - الكامل ج ١٢ ص ٤ / ٣ - الخط ج ١ ص ٤١٧ / ٤ - القند  
 ج ١ ص ١٧٠ / ٥ - قوانين الدواوين ص ١٩ / ٦ - الخط ج ١ ص ٤١٧ / ٧ - نفس المصدر ج ١ ص ٤١٧  
 ٨ - الملل الفريد لأبن عبد ربه ج ١ ص ٥٢ .



لذلك بعد ان ثقف العرب الرماية وصهروا بها اصبحوا يعتمدونها في حروبهم ويبدؤن بها في قتالهم البري والبحري . يقول قون كرومر " ان العرب لا يدخلون معركة لا يستطيعون عليها وغالبا ينتظرون مهاجمة العدو لهم ويتمركزون بقوة عندما يتسكنون في معركة مع اعدائهم ويتقدمون الي الأمام دون تلهف ويتبعون هذه القواعد العربية في حروبهم البرية والبحرية فاولا يبدؤن برشق النبال والرماح علي الأعداء ثم يضعون مجناحهم امامهم ويتقدمون للقتال بقفوف مترامية . ولذلك فهم ممتازون في ترتيبهم العجيب... هذه بعض الملاحظات التي قدسها ابو النكهم اميراطور بيزنطة عن حروبها العرب " ١

وقد حن النبي العربي الماسين علي تعلم الرماية وبعد الرجل المحتسب الذي يقتل بالسهم بالجنة ~~والجنة~~ يذكر زيدان بعض هذه الأحاديث بقوله الآتي " كان النبي يقول - اركبوا وارموا وان ترموا احب الي من ان تركبوا - ومن اقواله ايضا - كل لهو المؤمن في علاقة تأديبه فربه ورميه عن كبد نفسه وملايسته امرأه فانه حق . ان الله ليدخل الجنة بالسهم الواحد عامله المحتسب والرامي في سهمه . ومن اقواله وهو دائم علي المنبر - اعدوا ما استطعتم من قوة . الآن القوة الرمي - الآن القوة الرمي . ٢ " . وغير ذلك من الأحاديث التي تبين فضل الرماية وتحن القوم علي حذقها . وكتب الأدب ودواوين الصر فيها الكثير من وصف القسي والنبال والتمجيد بالرماية ومن ذلك قول ابن الرومي

لهم عدة فكفهم كل عدة      بنان الصنايا والعني الموتر

يزلون عن اكباد كل حنية      خفافا مع الآجال تعلق وتفر

لها السن ما لم تصبى لهاها      يكاد لعاب الموت منهن يقطر

ظلماء الي ورد الدماء نواهل      لها ~~المراد~~ مورد من غير مأناه معدر ٣

هذا هو وصف القسي ولا شك ان القوس دون نبال لا قيمة له فزبد من وصفها بصورة مدحضة وذكر انواعها وطرق استخدامها .

### النبل او السهم او النشاب

" النبل ما اذبح السهام وقيل هي العربية بمعنى مؤنثة ( بلا واحد ) له من لفاه فلا يقال نبله وانما يقال سهم ونشابة . معها أنبال ونبال ... والنبال بالتحديد ما حبه وما به كالناهل وحرفة النباله ~~لا~~ بالكرم " ٤ . يستفاد من تفسير هذه الكلمة ان النبل هي السهام التي يرمي عن القسي العربية ولا يستعمل الفرد منها بالهاء فلا يقال نبله بل يقال سهم ونشابة .



اما " السهم واحد النبل وهو مركب النفل والجمع اسهم وسهام " ١ والنشاب بالنم النفل وبالفصح . متخذة ايضا . والمفرد منها بالها . ٢ والنشاب يرمي به عن القسي الفارسية ٣  
اما اقسام السهم فتسمى " مجري الوتر من السهم يسمى القوس وحده يسمى النفل والريش يسمى القذ . والسهم قبل تركيب الريش يسمى القذح يكرر الدال المهملة " ٤  
والنشاب علي انواع يذكر بعض انواعها المفريزي فيقول " قال ابن الطوير خزانة المزارح يدخل اليها الخليفة ويلطفها قبل جلوسه علي السور هناك ويتامل حواصلها ... وفيها الشنة البرمانية والقسي ... ويتامل النشاب وكانت تقول مثلكه الأركان علي اخلاقها ... يرمي من كل سهم بين يديه فينظر كيف مجراة والنشاب الذي يقال له الجراد وطوله شهر يرمي به عن قسي في مجار معموله برسمه .... وهي برسم الاستعمالات للأساطيل " ٥ . يلفت نظرنا المفريزي لنوعين من النشاب . النوع الأول ذو النصول المثلثة الأركان والأخرى تدعي بالجراد قصيرة النفل وجسمها برسم الاستعمال للأساطيل . وقد استعمل العرب في معركة ذات العواري سنة ٢٤ النشاب في قتال الهيمزنطيين . يقول المفريزي " فافعلوا بالنبل والنشاب " ٦ .  
وقد يستعمل النشاب كرمالة الي العدو فيها التهديد والوعيد او الفخ والاحسان وقد استعمل السلطان صلاح الدين الأيوبي سنة ١١٧٩ في حصار مدينة آمد هذا النوع من السهام . يقول ابن الأثير " وامر صلاح الدين ان يكتب علي السهام الي اهل البلاد يهدم الخبر والاحسان ان اطاعوه ويهددهم ان قاتلوه " ٧ .  
ونجد ظاهرة جميلة ابتدعها الأيمن في محاربة عسكر اخيه المأمون وذلك بأن يرميهم بنشاب من خالص الذهب يذكر ذلك الأستاذ كرد علي بقوله " واستعمل المملوك والأمرأة النشاب للتسلية واظهار الشجاعة ومعرفة المالبس الرماية فاذا رموا امسوا واذا افضلوا بلنوا وقد استعمل الأيمن لدنال عساكر اخيه المأمون تقول النشاب من خالص الذهب ونقش عليها "ذين البيتتين .  
ومن جودنا نومي العداة باسم  
من الذهب اللبريز صيغت نقولها  
بدأوى بها المجروح منها جراحه  
وخشي بها الأركان منها قتلها"  
واستعمل ذلك كثير من الملوك ومنهم السلطان احمد بن الملك الناصر من محمد بن قلاوون وكان يجلس كل يوم بين شرايف قلعة الكرك وهو مصور ويرمي سهمه سهام صيغت نقولها من فنة موشاة بذهب  
ان هذا الكرم والقاسح في العروب فلما يجده في هذه الأيام القصيرة من ان الأيمن

١- تاج المرويس مادة " سهم " ٢ / - نفس المصدر مادة " نشب " ٢ / - معجم الأغني ج ٢ ص ١٢٥  
٢- نفس المصدر ج ٢ ص ١٢٥ / ٥ - الخنط ج ١ ص ٤١٧ / ٦ - نفس المصدر ج ١ ص ١١٩ / ٢ - الكامل ج ١١ ص ٢٠٠



فقال فيها لرغم من ان الأميين كان يحارب جند اخيه المأمون الا ان نفسه الكريمة كانت تاهي عليه ان يخرج دون ان يداوى او يقتل دون ان يواسي . فليعتبر اهل الغرب في هذه الآونة العاصرة وليعافطوا علي طبيعتهم الانسانية ويذكروا بأخوانهم المقتولون علي مذهب الانانية المنقصة والفردية البضة .

### العمام الزاجل

لقد كثرت الأسماء التي تطلق علي هذا النوع من العمام فبعضهم يسميه - حمام الهدى لأنه يهتدي الي المكان المرسل اليه واخرون يدعونه <sup>٢</sup> حمام الراسل - لأنه واسطة لنقل الراسل والأخبار وغيرهم يلقبه - حمام البطال - <sup>٣</sup> والبطال مفردا بطاقة وهي كلمة يونانية معناها ورقة او رسالة وغير ذلك من الأسماء . وهما اختلفت أسماء هذا الطير ، تعددت القابله ونوعه فهذه يدل علي شئ ثابت معين وهو فكرة نقل الراسل بواسطة هذا العمام الذي يربي خاصة لهذا الغرض .

والاستعمال هذا الطير معروف من اقدم الأزمان عرفه الرومان <sup>٤</sup> والفرس . ونقله العرب الي الصين <sup>٥</sup> واوردوا . يقول المعلم بطرس البستاني " علي ان المسيحيين لم يعرفوا هذه الرسل الا سنة ١٠٩٨ ميلادية لما حاصروا اورشليم وكان القائد العربي في قلعة الحصار بين انطاكية واورشليم يميل الي التعليم الي الملبين فخامر بملوك قومه بواسطة العمام . وعند ذلك شاع خبر العمامة التي انقض عليها طير جارح فسقطت ميتة بين عساكر الملبين وهم يظنون سهول عكا فعرفوا مقام العرب بالاطلاع علي الرسالة التي وجدوها تحت جناحها " <sup>٦</sup> .

وقد اهتم العرب بمهنة خاصة بهذا الطير وبتربيته لاسيما الخلفاء العباسيين " كالمهدي قال خافوا بني العباس والواثق والناصر وبنافس فيه رؤساء الناس بالمران . لاسيما بالهيرة .. وبنافسوا في ادواته ولهبوا بذكره ... وانه كان لا يمنع الرجل الجليل ولا الفقيه ولا العدل من اخاذ العمام والمنافسة فيه والأخبار عنها والوفد لأقربها والنعت لمشهورها ... وانه كان عندهم دينار بانساب العمام كانباب العرب ... وبالفوا في امانته حتي يبلغ من الطائر الفاره منها سبعمائة دينار ويقال انه يبلغ من طائر منها جا . من خليج القسطنطينية الف دينار وكانت تباع بمئة الطائر المشهور بالقراءة بعشرين دينارا ... وكان العمام عندهم متجرا من المتاجر لا يرون بذلك بأسا " <sup>٧</sup> . وقد نشأ العمام اولا في الموصل واقتبسه الخلفاء الفاطميون بمصر وبالفوا في الأعتناء به حتي افردوا له ديوانا وجراجه بانسابه <sup>٨</sup> . وقد اعني به ايضا الشهيد نوح الدين بن زكي

١ - صحيح الأعني ج ٢ ص ٨٢ / ٢ - دائرة المعارف مادة " حمام " / ٣ - نفس المصدر / ٤ - الحضارة الإسلامية ج ٢ ص ٢٥٨ / ٥ - مقدمة *Chau. juss* ١٢٤ / ٦ - نفس المصدر ص ٢٨ / ٧ - دائرة المعارف مادة " حمام " / ٨ - صحيح الأعني ج ٢ ص ٨٦ / ٩ - نفس المصدر ج ٢ ص ٨٢ .







فلما وقف عليه سير مركبا الي المكان الذي ذكره طفتكين " - ١ من هذا النص نرى ان الطائر لم يكن اداة أمينة في المخابرات اذ انه كثيرا ما يضيع او يصاد او يقبض فيمنزل في امكنة العدو ويطلبهم علي بعض الأسرار الهامة . ولذلك كثيرا ما كان المسلمون يرسلون طائرين في حالة الأخبار الهامة حتي اذا وقع احدهما او أخلا الهدف المرسل اليه يصل الطائر الآخر .

وقد استخدم المسلمون هذا الطائر في حصار عكا لأنفا تعلم ان الصليبيين كانوا محبطين بمدينة عكا من جميع جهاتها وقاطعين المواصلات بين السلطان صلاح الدين وأهالي عكا . فكان هذا الطائر خير رسول ما بين الطرفين . يقول ابن شداد " هذا والكتب متواصلة من عكا ومنا إليها علي اجنعة الطيور واهدي السباح والمراكب اللطاف تفرج ليلا وتدخل سرقة من العدو " ٢

ويقول أيضا في سنة ٥٨٦ " وصل كتاب طائر في طي كتاب وصل من حماه قد طار به الطائر من حلب " ٣ هذا النص يدلنا علي اتساع شبكة المواصلات بواسطة الحمام بين البلدان في ذاك الزمن . وعند حصار الفرنج لدمياط سنة ٦٤٧ كانت المواصلات بين القاهرة والمصريين علي اتصال دائم بواسطة رسائل الحمام الزاجل . وكانت هذه الرسائل ذات تأثير فعال علي نفوس الحكام والسكان وهي تتراوح ما بين الاستخبار والفرع حسب ما يأتي به الطائر الي القاهرة . يقول المعريزي " وكانت المظالم الطائفة عند الكفة سرحت علي جناح الطائر الي القاهرة فانزعج الناس انزعاجا عظيما ووردت السوءة وبعض العسكر ولم تغلق ابواب القاهرة ليلة الأربعاء . وفي يوم الأربعاء سقط الطائر بالمشارة بهزيمة الفرنج وعدة من قتل منهم فزمنت القاهرة وضربت المشائر بقلمة الجبل وسار المعظم توران شاه الي دمشق فدخلها يوم السبت آخر شهر رمضان واستولي علي من بها . ولأربع منهن من عوال سقط الطائر بوصوله الي دمشق فضمت المشائر في العسكر بالمنصورة " ٤ . وقد استخدم الحمام الزاجل في الملاحة البحرية منذ اقدم الأزمان استخدمه اهل الهند والصين وفارس والعرب في مراكبهم . استخدموه بشيرا بلمن الأهل والأنساب بالوصول بالسلامة . واستخدمه العرب اداة للأطلاع علي الحركات العسكرية والمناورات البحرية للعدو وسأدلي بمنصوص تؤيد هذا الأمر . كان البحارة الهنديون يصحبون في مراكبهم الحمام الزاجل وقد وجد ذكر ذلك في مصادر بوذية يعود تاريخها الي القرن الخامس قبل الميلاد يقول المؤلف الهندي باللسان البوذي ٥ " في الأيام القديمة كان تجار البحر عندما يبحرون في عرض

١ - الكامل ج ١ ص ١٨٥ و ج ١١ ص ٤٩ / ٢ - سيرة صلاح الدين ص ٩٤ و ص ٩٨ / ٣ - نفس المصدر ص ١٠٤

٤ - الخط ج ١ ص ٢١١ / ٥ - "The Kejvaltha Suta of the Dighevi Kavya"



البحر الخظيم ينهبون معهم علي ظهر المركب حماما زاجلا . وعندنا يتمكنون من السفر في جميع الجهات... ويطلقون هذا الحمام عند الحاجة فيرتفع في الأفق حتي اذا نظر الأرض تابع طيراته واذا لم يراها انحط عاذا الي المركب " ١ ويعلق الناشرين لكتاب *Chau Ju-Kua* انه من المحتمل ان يكون حمام الزاجل ادخل الي الصين بواسطة تجار من الهند او العرب هذا النص يدلنا علي ان الحمام كان يساعد رباب للمركب في معرفة جهة البر وقربه من البر او بعده عنه . فان هذا الطير ان رأي علام الياسه اتجه نحوها عاذا الي عنه والا عاد الي المركب معلما مكانه انهم يبعدون عن القارة . ونعتقد ايضا ان لتجار الهند او العرب بدا في ابحال هذا النوع من الحمام الي الصين . ولا يبين الكاتبين (موت . وروكهيل) اي الصينيين قام بهذا العمل اولا وكان السابق اليه وانما يقولان ان اول كاتب صيني ذكر ذلك الامر هو *Chang Kin-ling* الذي ولد سنة ١١٣٣ م .

وبعد ذلك نجد في المصادر الصينية بان الملاحه جوت في المركب التي تبعه عن الشاطئ في ابحارها ان تحفظ معها حماما . يرسلون بواسطه رسايل الي الشاطئ " ٢  
ولد المستعظم الفرس في القرن التاسع هذا النوع من الحمام في مراكبهم يقول " *Yuan* في كتابه *Ching Fu-shi* في القرن التاسع انه يوجد علي مراكب الفرس التي تغر عباب البحر كثير من الحمام الذي يستطيع ان يطير بضعة الآف " لي " *Li* (مقياس للمسافة) واذا اطلق طائر عاذا الي بلاده رسولا يحمل احسن الأخبار " ٣

ومما لا شك فيه ان العرب استخدموا هذا الطائر في مراكبهم من اقدم الأزمان ولكن ليس لدى نصوص تعين بالتحيط الزمن الذي بدأ به استخدامه في الملاحة البحرية . وقد رأينا سابقا بعض الروايات الصينية يشير الي ان لهم معرفة لهذا الطير وانهم والهنود ادخلوه الي بلاد الصين . وفي الزمن المتأخر استخدموه في مراكبهم يقول ابن الأثير في حوادث سنة ٥٤٣ مايلي " فاعقبتهم وجار هذه السنة فغمر الأسطول واكثر منه فبلغ نحو مائتين وخمسين شهينا ... وسار الأسطول عن مقلية ووصل الي جزيرة قوسرة وهي ما بين المهدية ومقلية ٤٨٤٦ هـ فعدفوا بها مركبا وصل من المهدية فأخذ اهله واحضروا مهن يدي جرجي مقدم الأسطول فسألهم عن حال أفريقيا . ووجد في المركب نقص حمام فسألهم هل ارسلوا منها فعدفوا بالله انهم لم يرسلوا شيئا فامر الرجل الذي كان الحمام سمعته ان يكتب بخطه اننا لما وصلنا بجزيرة قوسرة وجدنا بها مراكب

١ - هامش مقدمة كتاب *Chau Ju-Kua* / ٢ - نفس المصدر ص ٢٨ ينقل عن كتاب *Yu Yang-tsa*  
مؤلفه *Tuan Ch'ang-shi* توفي حوالي سنة ١١٣٣ م . كذلك صفحة ٣٣ من المصدر نفسه .  
٣ - نفس المصدر ص ٢٨ والضرورة الإسلامية ج ص ٣٦٥ .



من صلبة فسالناهم عن الأسطول المغلول فذكروا انه اقلع الي جزائر القسطنطينية واطلق على العام  
فوصل الي المدينة فمر الأمير الحسن والناس واراد جري بذلك ان يصل بقعة ١٠٠  
هذا النص يبين تماما الي ان العرب كانوا يحفظون اقسام حمام الزاجل في مراكبهم ويستعملون  
به للمخاضات واما حال الحواشي وهناك اشارة اخري في كتاب الكامل نفسه تبين ذلك ٢  
ولا يعني التوسع في هذا البحث اكثر من ذلك اذ ان ما كتب عن حمام الزاجل ومفاده وعدد  
رئيس جناحيه وذنبه واسنانه والفرق بين الذكر والانثى منه والقراءة في الطائر الفاره من حال  
صفه قبل طيرانه وبهتان الزمان والمكان اللاتين بالافراخ والمسافة التي يقطعها هذا الطير يستغرق  
قولا كاملا عند القلقندي ما بين صفحة ٨٦ - ٩٤ فمن احب التوسع في ذلك فاليرجع اليه .  
وقد ألف بعض المصنفون العرب في القديم كتبها خاصة عن هذا الحمام اذكر منها كتاب ابو  
الحسن بن ملاعب القواس البغدادي وضع كتابا للناس لدين الله العباسي . - وكتاب القلبي معي  
الدين بن عبد الله الطاهر صنف كتابا ساء " تمام العمام " والكتابين يذكرهم القلقندي  
وهما غير مطبوعين . ٣

ولا يزال الحمام مستعملا حتي يومنا هذا بالرغم من ارتفاع طرق المخاضات . ويستعمل الآن غالبا  
في المخاضات العسكرية عند انقطاع املاك الهاف الا ان استعماله قل كثيرا .  
ومن طرق المخاضات التي استخدمها العرب ايضا النار لآ في الليل والدخان في النهار وسأذكر  
عن ذلك مختصرا لعدة علاقات يخط السواحل وغمرها من هجوم مراكب العدو .

### نار المخاضات

ان استخدام النار للمخاضات قديم . وكان معروف عند البيزنطيين ثم انتقل الي البلاد  
الاسلامية التي كانت خاضعة لحكم اولئك القوم . وقد استخدمت بصورة حسية في القرن الثالث الهجري  
علي الساحل الاثريقي الشمالي . واذ ان الرسائل كانت تصل من الاسكندرية الي سبتة في ليلة واحدة  
ومن طرابلس الي الاسكندرية في ثلاث ساعات الي اربع . ثم بطل استعمالها في سنة ١٤٠٠ م  
عند ما تار المغرب علي الفاطميين ولم يعد في امكانهم حماية الصون من البدو .  
وعند مجيئ الصليبيين لهذه البلاد ازدادت الحاجة لهذه النار اذ ان هؤلاء القوم كانوا يلقون  
السواحل الشامية والعربية وينهبون المدن والقرى ويلتجئون الي جزيرة قبرص احيانا او انهم ينزلون  
في القواطن ويقاثلون اهل البلاد . لذلك اظهرت فكر السلاطين الي تعبد منائر في رؤوس الجبال وفي

١ - الكامل ج ١ ص ٥١ / ٢ - نفس المصدر ج ١١ ص ٤٩ / ٣ - صبح الأعشي ج ٢ ص ٨٧ / ٤ - الضاربة الأسطورية  
ج ٢ ص ٢٥٧ اخذها عن المركبي ص ٢٩٩ -



الاماكن المرتفعة ليعلموا السواحل مع المراكز الداخلية ليعلموا السلاطين بما يحدث من طوارئ علي السواحل. ولما كان الطائر لا يستخدم الا نهارا كانت المخابرات الليلية غالبا ما تكون بواسطة النيران يقول صالح بن يحيى في سنة ١٩٢٢ " وقدروا ايضا نارا يعمل الي دمشق في ليلة فكانوا من ظاهر بيروت يعملوها فتجاوبها نار في رأس بيروت المعينة . ومنه الي جبل بوارش ومنه الي جبل بيهوس ومنه الي جبل المالعية ومنه الي قلعة دمشق . والنار للحوادث في الليل وحمام البطان للحوادث في النهار والهريد للأخبار " ١ ويقول ايضا " فصلوا النار ليلًا اشارة لوصول الفرنج الي بيروت فوصلت النار بالقديح في تلك الليلة الي دمشق " ٢

وقد يستعمل الدخان في النهار وينوب مناب النيران في الليل وتكون المخابرات بواسطة اشارات متفق عليها . وقد اورد في كل منار النظارة والموظفون لرؤية ما يحدث من الآفات والمخابرات . وكل موظف يري النار من برج يعطي الأشارة للبرج الذي خلفه وهكذا بالتسلسل حتي يصل الخبر الي السلطان . فكان ما يحدث عناء بالفترات يعلم به السلطان بكثرة في مصر ٣ وهكذا كانت الأخبار متصلة ما بين اطراف المملكة الأسلمية اما عن طريق النار او الدخان او الطير الزاجل او الهريد .

ونلاحظ ان النار والدخان غيبان جدا بما يسمى النجوم المودس وهو الماركة/ الكلام بطريق الأشارة مهما كان نوعها سواء بالموت او النور او اي اشارة اخري وطريقة - المودس - تستعمل في هذه الأيام بالهواجر للمخابرات . فهل كانت طريقة النار تستعمل ايضا بالمراكب ؟ ليس لدي نموس تبين ذلك ولكن ما يمكن ان اقوله هو انه لعل ذلك حدث . ولا أبت في الأمر حتي تظهر أدلة خفية تبين ذلك .

ومن معدات المراكب ايضا الأعلام

### الأعلام

يقول القلشندي " الأعلام هي الرايات ومن عمار الملك القديمة وقد ورد ان النبي صلي الله عليه وسلم كان يحقد لأمرأه سراياه الرايات عند بعضها ثم قد يعبر بعضها بالمصاب جمع مائة وهي الألوية . أخذ من عصابة الرأس . لأن الراية تعبر رأس الرمح من اعلاه . وقد يعبر عنها بالسناج جمع سنج . والسنج باللغة التركية معناه الطعن سميت الراية بذلك لأنها تكون في اعلي الرمح . والرمح هو آلة الطعن يعني بذلك مجازا " ٤ .

١ - تاريخ بيروت ص ٤٠ / ٢ - المصدر نفسه ص ٣٦ / ٣ - خط الشام ج ٥ ص ١٩ / ٤ - صحيح الأعشي ج ٢ ص ١٢٢ - ١٢٨ .



أوردت قول القائلندي المتقدم لتعريف علي الأسماء المختلفة للرايات والبنود وكيفية تطور أسانها مع الزمن .

وليس مرادي في الكلام عن العلم ان اقدخ تاريخ العلم في الدول الإسلامية وما اخذته كل دولة من الأعلام والبنود . ولا أن أصف كيفية عقد اللواء للواء وامراء البحر ولا أن أصف تأثير العلم في نفوس المعارمين وتسكهم بعلمهم زمن القرون الوسطى وتفاهمهم في الزود عنه وحمايته . ولا أريد أن اعدد انواع الرايات واسماء مظاهرها التي كانت عند العرب ولا أن اصف اطوالها واعكالها والزخارف والكتابات التي كانت تفتش عليها ..... كلها لا اريد ان اعرض لذلك لأن هذا البحث لا يدخل له في الأسطول . وانما يتعلق بتاريخ العلم في الجيوش الإسلامية عامة وليست الآن أبحث عن ذلك . وانما الذي اريد ان ابينه هو ان العرب ~~الذين~~ استخدموا الأعلام في مراكزهم واساطيلهم . واني آف جد الآف علي ان النصوص التي بين يدي قليلة جدا فيما يتعلق بالأسطول واظن ان ملك الأعلام كانت شبيهة بأعلام الجيوش البرية ان لم تكن نفسها . فالمقاتلون الذين كانوا ينقلون بالمراكب لدفع بعض الجند والبلاد الساحلية كانوا يصحبون أعلامهم معهم ويرفعونها لتعطي في قمة العواري واعالي الأبراج . وفي الأمكنة المشرفة . يدلنا علي ذلك ما كان يفعله الصليبيون عند غزو الساحل السورية والعربية . يقول ابن عداد " وكان اول ثاني التي من فيه بالبر خانبة ( ملك الانكشار ) وكان احمر ورفعت حمراء ومبرقة احمر " ١ ويقول صالح بن يحيى " فتقدمت الثواني الي البر ونزل منهم غزوة كبيرة وعليهم مقدم من كهراثم وبيده سنج وصعدوا في الجونة الي جهة الخراب لينصروا السنج علي علوة اعارة منهم انهم ملكوا البلد ... فهم من المسلمين غزوة مع الوالد علي الذي معهم السنج ففهمهم ودعوا السنج فلما نهزت الفرنج الي وقوع السنج وقف عزمهم وقويت قلوب المسلمين . " ٢ . هذان النعان يظهرا ان الصليبيين كانوا يصحبون أعلامهم معهم . وعندما ينزلون الي البر يرفعونها علي الحصون والأسوار كدليل علي استيلائهم عليها . ويظهر النص الأخير الي التأخير الكبير الذي كان للعلم في القرون الوسطى . اذ أنه عندما يرفع العلم علي مكان يستدلون منه علي وقوع هذا المكان بأيديهم .

يقول ابن عداد عند مبحث ملك الانكشار لنجدة الأشراف فرنج اهل يافا وتخليصها من جيش صلاح الدين ما يلي " لا وكان سبب انقطاع النجدة انهم رأوا البلد مشغونا بمبارز المسلمين



ودجالهم فخافوا ان تكون القلعة قد اخذت " فوجود اعلام المسلمين في البلد اوقفت نجدات المسلمين ودلّتهم علي سقوط البلد .

وقد تضرعت اشكال الرايات والوانها في الدول الإسلامية فاعتذرت كل دولة عساراً ولونا خاصاً بها . واظن ان الاعلام المستعملة في الأساطيل كان لونها بلون اعلام الدولة التابعة لها . وقد نضر زبدان الوان الرايات في الجاهلية عند العرب ووصفها حتي زمن العثمانيين . فقال " لانعرف ما كانت الوان الرايات في الجاهلية سوى راية العقاب فقد كانت سوداء . وكذلك كانت راية النبي . وذكر صاحب آثار الأؤل انه كانت له راية ايضا الوية بجناء اما الرايات الإسلامية فقد كانت الوانها تختلف باختلاف الدول . فكانت اعلام بني أمية حمراء . وكل من دعا الي الدولة العلوية فعلمه للها بجناء ومن دعا الي بني العباس فعلمه لسود والسواد شعار المباسين علي الأطلاق اعتذروه حزناً علي عهدهم من بني هاشم ونعياً علي بني أمية في قتلهم ولهذا سموا السوداء . ولما افترق الهاشميون وخرج الطالبين علي العباسين في كل جهة وعصر ذهبوا الي مخالفتهم في ذلك فاعتذروا الرايات بجناء . وسموا المبيضة . والظاهر ان شعار دعاة بني هاشم من الشيعة كان الخضرة لأئمة العامون لما مانع لعلي بن موسى بولاية العهد امر جنده بطرح السواد وليس الشباب الخضرة حتي اذا رجع عن الشيعة عاد الي السواد . واما ملوك البربر في المغرب من صنهاجة وغيرهم فلم يختصوا في راياتهم بلون واحد بل وعوفا بالذهب واعتذروا من الخمر الفالصرملونة ... واما دول الأتراك في المشرق فكانوا يمتنعون راية واحدة للسلطان في رأسها خصلة كبيرة من الصخر يسمونها بي (الثالثر) و (الجتر) وهي من شعار السلطان عندهم . ثم تعددت الرايات ويسمونها : سناجق - واحداً سنجق . وهي الراية في لانهم " ٢ فزبدان يبرغي هذا النص ان لون العقاب في زمن الجاهلية كان اسود . وان النبي اعتذ رايات سوداء وبيضاء والأمويين حمراء . والعلويين والطالبيين اعلمهم بجناء . والعباسين سوداء والهاشميين خضراء . ورايات البربر مختلفة الألوان وهي متخذة من العرير الموشى بالذهب . اما رايات المالكة فتعصب بالثالثر والجتر في اعلامها .

هذه هي الوان الاعلام في الدول الإسلامية وقد اعتنى الفاطميون بالاعلام لما كان لها من أهمية عظيمة في احتفالاتهم واعبادهم . لذلك اسوا لها داراً دعوها خزانة البنود كانوا يخزنون بها اعلامهم ورايتهم وكانوا ينفقون عليها ( ٨٠ ) الف دينار كل سنة . ٣



بعد هذه اللعة الموجزة عن الوان الأعلام . نذكر بعض النصوص التي تدل علي ان العرب استخدموا الأعلام في مراكبهم يقول المقريزي في وصف الأسطول الذي بعثه السلطان بيبرس لفتح قبرص سنة ١١٩٩ م علي " وقد عمل ابن حنون رئيس الثواني في اعلامها الصلبان يريد بذلك انها تغطي اذا عبرت البحر علي الأفرنج حتي تطرفهم علي غلبة فكره الناس منه ذلك " ١ . فابن حنون اضاف لأعلام الثواني الإسلامية الصلبان ليخدع بها اهالي قبرص ويأخذهم علي حين غرة مما يدلنا علي ان اعلام الفرنج من اهالي قبرص كانت مزودة بالصلبان .

ويقول ابن ابراس في حوادث سنة ٩١٤ " حذر المراكب العربية عدتهم سنة ١١٠٠ فوذنوا بالصناجر والضفادع ودعت فيهم الطبول وزعمت الزمور واجتمع هناك الناس افواجا افواجا " ٢ ويقول ايضا في كلامه عن الغزيون الذي بناء قانصوه القوري في بولاق ما يلي " فلما كمل زينوه بالصناجر والطواقي والمكاحل " ٣

اذن فالأعلام كانت مستعملة في الأسطول عند العرب والأفرنج وكانت اصبغها في البحر لا تقل منها في الجيش البري .

#### الفانوس

يقول القلقشندي " فانوس جمها فوانيس وهي آلة كروية ذات اضلاع من حديد منقاة بنقوش من رقيق الكفان الصافي البياض ينفذ للاضاءة بخور الكافور / الشعة في اسفل باطنه فيض عن شوقها ومن شأنها ان يحمل منها اثنان . اما السلطان او الأمير في السفر في الليل " ٤ . اذن فالفانوس ليس اداة للنهارة فحسب بل هو غارة من شارة الأمانة والسلطنة يرفعه السلطان او الأمير في الليل ليهتدي القوم بنوره في دجى الليل العالك والظلام الدامس وقد استخدم الفانوس في الأسطول للدلالة علي الأمانة والقيادة ايضا . يصفه الخليفة او السلطان لأمير البحر عند توديعه قبل ارساله للفتوح والفجج يرفعه أمير البحر علي ماري مركبه ليستضي بقية المسير بنوره وبأخذون الأوامر والتعاليم من عنده فيعلمون عند اقلاعه ويرسون عند ارتكابه وقد اشار المقريزي لذلك بقوله " ويصين من هؤلاء القواد العشرة من يقع الأجماع عليه لرياسة الأسطول المتوجه للفتوح فيكون معه الفانوس وكلهم يهتدون به ويهلمون باقلاعه ويرسون باركابه " ٥

١ - الخطاط ج ٢ ص ١٩٤ / ٢ - بدائع الزهور ج ٤ ص ١٤٢ / ٣ - نفس المصروح ج ٤ ص ٢١٩ /

٤ - صحيح الأعشي ج ٢ ص ١٣٠ / ٥ - الخطاط ج ١ ص ٤٨٣ .



## الأبراج

يقول الزبيدي " البرج بالنم الركن والحصن والجمع أبراج وبروج... وانما قيل للبرج بروج لظهورها وبنائها وارتفاعها . والبرج الملاح الفاره " ١  
 وقد استعملت كلمة أبراج فيها بعد للأمنية الخشبية التي تسمى علي ظهر المراكب ليقف عليها المعاربون ويقاقلوه منها الأعداء الذين علي أسوار القلاع أو في أي مكان آخر  
 يقول ابن الأثير في كتابه عن حصار الأفرنج لدمياط سنة ١١٥ ما يلي " وعملوا الآلات ١١٦٦  
 ومهمات وأبراجا يرمون بها في المركب الي هذه البرج لمقاولوه ويملكوه " ٢  
 والأبراج موجودة في ثون المسلمين وعلى الأفرنج تستدل علي ذلك من قول المطريزي  
 يقول عن الثون الإسلامية " فبرزت الثواني واحدة بعد واحدة وقد عمل في كل ثونة برج وقلة  
 حاصر والقلاع عليها ملح والنقط يرمي عليها وكدة من النفايين في أعمال العيلة في النقب  
 وما منهم الا من اظهر في ثونته عملا معجبا وصناعة غريبة ينفون بها علي صاحبه " ٣  
 اما الأبراج الموجودة في البطس الأفرنجية فتتجلي من عبارة المطريزي عند حصار الفرنج  
 لدمياط يقول " وفي مدة اقامة الفرنج بهذا البر الغربي عملوا الآلات والمراحي واقاموا  
 أبراجا يرمون بها في المراكب الي برج السلالة ليملكوه... وكان هذا البرج مشعونا بالمقارلة  
 فعمل الفرنج عليه وعملوا برجا من العواري علي بطة كبيرة وادخلوا بها حبي استندوها اليه  
 وقادوا من به حتي اخذوه " ٤ وقد اخترع الفرنج في حصار عكا برجا له خرطوم حاولوا  
 بواسطته الاستيلاء علي برج الذباب يقول ابن عداد " واعدوا في البحر بطة هائلة وصنعوا فيها  
 برجا بخرطوم اذا ارادوا دليه علي السور انقلبت بالحركات ويبقي طريقا الي السكان الذي  
 يتقلب عليه تسمى عليه المقارلة وعزموا علي تفريجه الي برج الذباب لماخذوه به " ٥  
 وكثيرا ما كانت هذه الأبراج محاطة بالجلود المسفاة بالخلار والمطلية بالطين والأدوية  
 التي تمنع النار من احراقها . ٦ .

## القلاع

يقول البستاني " الدلعة جنسها قلع بالنم وقلاع ودلوع وهي الحصن الممتنع " ٧ وقد استعملت

١ - فاج العروس مادة " برج " / ١٢ ص ١٢٢ / ٢ - الخط ج ٢ ص ١١٥ / ٤ - نفس المصدر  
 ج ٢ ص ٢١٥ - ٢١٦ / ٥ - سيرة صلاح الدين ص ١٠٣ / ٦ - الكامل ج ١٢ ص ١٩ / ٧ - المحيط مادة  
 " دلع "



هذه الكلمة فيها بعد لامكنة خفيفة تكون في المركب يعصني بها المقاومون من سهام الأعداء ويرمون منها النبال والنفط ١ وقد ذكر برنهي أن في الفونة *Galley* قلاعا مرتفعة يرمي الجند منها السهام وتكون في نهايتي المركب ٢ .

### التوابيت

يقول دوزي " التابوت أو *Hum* هو سطح فوق الماري " ٣ ويقطها البرقوقى بقوله هي صناديق كبيرة مغطاة من أعلاها بمعد اليها الرجال قبل استقبال العدو فيقيمون فيها للأشكشاف ومنهم حجارة صغيرة في مخلاة معلقة بجانب الصندوق يرمون العدو بها وهم مخبئون في هذه الصناديق ومنهم دعا العبارة توارير النفط وجرار النوبة ... وهم يرمونهم أيضا بقذور الحياة والمقارب والقذور المايون اللين كي يزلخوا الداسم " ٤

ويذكر برنهي هذه التوابيت باسم *Circular Box* ويقول أنها مستوعبة في داخلها عدة الرغافس وأكثر ما يكون سعة فقط وذلك في أكبر أنواعها وتابعتهم شعب الأحبار والآجر وقضبان الحديد من الأسفل وقذفها على السفن المعادية لفتحها وأغراقها ٥ . ويقول ابن عداد عند الكلام عن حمار الفرنج لهرج الذهاب في عكا سنة ٥٨٦ مايلي " فجلوا على موارى البلس برجا وملأوه حطباً علي أنهم يسيرون البلس فاذا قاربته برج الذهاب ولاطفه احرقوا الهرج الذي على الساري والعقود بهرج الذهاب ليلقوه على سطحه ويقتل من عليه من المقاومين ٦

اطلق ابن عداد كلمة برج في هذا النص المتقدم علي ما سمعناه التابوت لأنه ليس من المقبول أن يكون الهرج - ولد عرذنا وسطه - فوق الماري وكيف يمكن القاء برج مملوء بالطلب فوق سطح برج آخر . والبرج ان الفرنج عمرو تابوتا فوق الماري وملأوه حطباً وارادوا احرار برج الذهاب بواسطته .

### الأسطام واللبام

يصف البرقوقى وزيدان هاتين الآداتين بقولهما اللجام اداة في مقدم المركب كالقاس أو " هي حديدة طويلة معدودة الرأس وأصلها صيغ كستان الرمح يدخل من أسفلها في خفية كالدفنة بارزة في مقدم المركب يقال لها الأسطام فيصير اللجام كأنه ستان رمح " ٧

١ - الغلاخ ج ٢ ص ١٨٥ والنظم الإسلامية ص ٢٥٢ / ٢ - Naval. Ps. 11, 13.

٣ - ملحق دوزي مادة "تابوت" / ٤ - حجارة العرب ص ١٧١ والصدن ج ١ ص ٢٠٠ / ٥ - Naval P. 11

٦ - سيرة صلاح الدين ص ١٠٠ - ١٠١ .



بارز في مقدمة المركب فيملنون به مراكب العدو فلا يلبث حتى ينغرق فينصب فيه الماء ١٠٠  
ويذكر ميرنبي الأساطير عند وصف ال Galley ويسميه spur ويقول انه حديدة ونبهة  
مركز في مقدم السفينة تغلب به سفن الأعداء ٢٠٠ ولم اعثر في قرايمي عن الأسطول ودود  
هاتين الكلمتين في المصادر القديمة واستخدامهما في المراكب ولا اعلم من اين اخذا زبدان  
والبروقفي اذ انهما لا يشيران الي المصادر التي ينقلان عنها .

### العبال

انتقلت كلمة حبل الي لغات اوربية عديدة يقول لانس " ان كلمة cable الفرنسية  
و Cable الألمانية و Cable البرتغالية و Cable في الفرنسية القديمة آتية //  
من كلمة حبل العربية " ٢٠٠ ويقول v. Kromer " ان الأسطول العربي في العصور القديمة  
كان نموذجاً من وجوه عديدة لأساطيل البلاد المسيحية تستدل علي ذلك من ان كلمات عربية  
بحرية كثيرة قد حفظت في لغات جنوب اوربا مثل Cable آتية من الكلمة العربية حبل ٢٠٠٠٠  
والحبل لديهم الاستعمال عند الأمم وهو اداة ضرورية في الملاحة البحرية ولا يستغني عنه  
مطلقاً في الأسطول ولست الآن معولاً علي ذكر منافعه لأنها كثيرة لا تنصر في المراكب فحسب بل  
تتعلق بالمراكب عامة لذلك اكتفي بذكر بعض الملاحظات فقط .

يستعمل الحبل يربط مراكب الأعداء وجوها لطرف خصه واسر من في المركب كما يذكر  
المفهرزي من اخبار سنة ١١٩٩ هـ يقول " ثم عاد فدعاهم الي الصلح ولاف السوي فخرج اليه في  
زلج وخرج الجروي في مثله فالتقيا في وسط النهر مقابل سد فا ولد اعد الجروي في باطن  
ولجج العبال واسر اصحابه يستندوا اذا لمس بزلاج السوي ان يجروا العبال اليهم فلعن الجروي  
بزلاج السوي فربطه زلجج وجر العبال واسر السوي وضي به الي تنهس فجنه بها " ٥٠  
ويستعمل الحبل لجذب المتجنين حتي ينطأ اعلاه ٦ ويستعمل في الأعزعة لتفترها ولطمها .  
ويستعمل نوع من العبال يدعى القناري وهو قعر جوز النارجيل يدرسون الي ان يغميط ويذوقون  
منه امراً ما يغمطون بها المراكب ٥٠٠٠ والقناري هذا مجلوب من الهند واليمن ٢٠  
وعدا لمن ذلك فالعبال تستعمل للربط والجر والصلق وامور اخري كثيرة . والعبال يمنع  
من الهات القنب والكفان وجلود البشر ومن دود اليهود وصف النخل ومن الهات نباتات كثيرة

١/ المالدين ج ١ ص ٢٠١ وصارفة العرب ص ١٧١ - ١٧٣ / ٢ - Naval P II ٢ / ٣ - ملاحظات  
لانس ص ١٢ / ٤ - The Orient P 362 ٥ / ٥ - الخط ج ص ١٧٨ / ٦ - صبح الأعلي  
ج ٢ ص ١٢٧ / ٧ - رحلة ابن جبير ص ٤١ /



بذكرها المعلم بطيحي الهستاني في دائرة معارفه ١ . وقد ذكر ابن حوقل صنع حبال المراكب من البربر في مدينة بلرم من جزيرة صقلية فقال " وفي خلال اراتيها بمقاع قد غلب عليها البربر وهو البردي المعمول منه الطوامير ولا اعلم لما يصنع من هذا البربر نظير علي وجه الارض الا ما بمقلية منه واكثره يذوق حبالا لمراسي المراكب واوله يعمل للسلطان منه طوامير القلاطيس ٢ " وعندما يذكر ماركو بولو السفن الصينية يقول " ولا يستعملون حبال القنب الا من اجل العواري والاشعة ولديهم نصب بطول ١٥ خلوة يمشقونه علي طولها قطعة رفيعة ويخروون هذه القطع بعضها مع بعض ويحكون منها حبالا بطول ٢٠٠ خلوة . ويصنعونها بمهارة لدرجة انها تكون بقوة الحبال المصنوعة من القنب ٣ " . لقد ذكرت استخدام حبال القنب في بحر القلزم لخياطة الجلاب والآن اذكر ما قاله ابن بطوطة في كيفية صنع هذا النوع من الحبال يقول " القنب ( يذبح القاف وسكون النون وروح الهاء الموحد والراء ) وهو ليف جوز النارجيل وهم يمشقونه في حجر علي الساحل ثم يخرقونه بالمزارب . ثم يفرغونه النساء وتصنع منه الحبال لخياطة المراكب وتعمل الي الصين والهند واليمن وهو خير من القنب . وهذه الحبال تضاف مراكب الهند واليمن لان ذلك القنب كثير العبارة فان كان المركب مسرا يملأ بمسامير الحديد مدم العبارة فانكسر واذا كان مضطرا بالحبال اعطي الرطوبه فلم ينكسر ٤ " . هذه لمحة بسيطة عن الحبال وانواعها والآن انتقل الي ذكر الكلابيب والسلاسل

### الكلابيب والسلاسل

يقول زبدان عن الكلابيب " اما الكلابيب ففائدتها انهم اذا دنوا من مركب العدو اتوا الكلابيب عليه فيوقفونه ثم يندونه اليهم ويرمون عليه الألواح كالجر ويدخلون اليه ويقاتلون وان كان العدو قويا اطلق فاعل الكلابيب بفاس فقبل من فولاذ يخرقون به تلك الكلابيب فتنتقطع ٥ " واستخدام السلاسل شبه مما ذكر زبدان عن الكلابيب اد أننا نرى ان العرب استخدموا السلاسل في معركة ذا العواري سنة ٢٤٤ هـ لنفس الغرض يقول المقريزي " ... ورمطوا المراكب بعضها ببعض يدخلون بالسيف ... وكانت السفن اذا ذاك تقرب بالسلاسل عند القتال . قال ففرون مركب عند الله بن ابي سعد بن ابي سوح يومئذ وهو الأمير بمركب من مراكب العدو فكان مركب العدو يجتر مركب عند الله اليهم فقام علفه من يزيه القلبي وكان مع عبد الله بن سعد في المركب ضرب السلسلة بسيفه فقطعا ٦ " فالسلاسل والكلابيب اذن هي ادوات متعمدة بعضها لبعض تستخدم لجر مراكب الأعداء

١ - دائرة المعارف مادة " حبل " / ٢ - صورة الأرض ج ١ ص ١٢٢ / ٣ - رحلة ماركو بولو ص ٢٢٢  
٤ - رحلة ابن بطوطة ج ٢ ص ١٥٠ / ٥ - القطن ج ١ ص ٢٠١ و ١١٩ / ٦ - الخللج ص ١٩٩



لغيرها منهم وناخذ من فيها اسرى.

وقد استخدمت السلاسل في اغراض اخرى متعلقة بالأسطول منها انها توضع في قم الأنهار والمضايق والغجان لمنع دخول مراكب العدو الي داخل النهر او الضيق او الخليج كما فعل البيزنطيون سنة ٧١٦ - ٧١٧ عندما وضعوا السلاسل في وجه سفن العرب لمنعها من الوصول الي القسطنطينية ١ . قال ابن خردادبة " وعلي خليج القسطنطينية صخرة عليها برج فيه سلسلة تمنع سفن المسلمين من دخول الخليج " ٢ . وقد استخدم المسلمون هذه الطريقة وطبقوها في مرافئهم ليمدوا بها سفن الصليبيين عندما حاولوا للاستيلاء علي سوريا ومصر . يذكر ابن حوقل وجود سلسلة في بحر الخند عند مدينة باب الأبواب بقول " ومدينة باب الأبواب علي بحر الخند ... وللسفن مدخل مطلوب من ناحية باليه وعلي قم المدخل الذي تدخل فيه السفن سلسلة ممدودة كالتي بمصر وببيروت بالشام وعلي خليج القسطنطينية . وعليها قفل لمن ينظر في امر البحر فلا يخرج المركب ولا يدخل الا بأمر صاحب القفل " ٣ . فابن حوقل يشير في قوله المتقدم الي وجود سلسلة في ميناء بيروت وصيدا ويذكر السلسلة التي علي خليج القسطنطينية والتي مر ذكرها سابقا .

وكان في دمياط برج يدعي " برج السلسلة " سمي بذلك لوجود سلسلة من حديد ممتدة هناك وصفها ابن الأثير بقوله " وقد بني في النيل برج كبير يمنع وجولوا فيه سلاسل من حديد غلاظ ومدوها في النيل الي سور دمياط لمنع المراكب الواصلة من البحر العالح أن تعبر في النيل الي ديار مصر ولولا هذا البرج وهذه السلاسل لكنت مراكب العدو لا يقدر احد علي منعتها عن اقامي ديار مصر وادانيها . " ٤

وعند سجن الصليبيين لعصار مدينة دمياط قطعوا هذه السلسلة فهني الملك الكامل جرا علي النيل ليمد به مراكب الأعداء . يذكر المؤرخي ذلك فيقول " واعتقد الفرنج والعوا في القتال حتي استولوا علي برج السلسلة وقطعوا السلاسل المتصلة به لعبوز مراكبهم في بحر النيل ويمكنوا من البلاد فنصب الملك الكامل بدل السلاسل جسا عظاما لمنع الفرنج من عبور النيل فقادت الفرنج عليه فعلا بمددا الي ان قطعوه وكان قد انفق علي البرج والجس ما ينهت علي سبعين الف دينار " ٥ . وكان في بيروت بابا يدعي باب السلسلة سمي بذلك لوجود سلسلة تصل ما بين سور البلد وبرج المملوكي تمنع المراكب الصغيرة من دخول الميناء والغروج منه . ذكر ذلك صالح ابن يحي في قوله " ولما جد الأمير بهدر نائب الشام سور بيروت علي جانب البحر ... وجل

١ - تاريخ العرب ص ٢٠٢ / ٢ - المسالك ص ١٩٤ / ٣ - سورة الأرض ج ٢ ص ٣٣٩ / ٤ - الكامل ج ١٢ ص ١٣٣

٥ - الخطاج - ص ٢١٦ .



بين آخر هذا السور وبين البرج المذكور بابا ودكب عليه سلسلة تمنع المراكب الضار من الدخول والخروج وسمي باب السلسلة " ١

وهكذا فالسلاسل لم تكن تستعمل فقط لجر مراكب الأعداء بل كانت تستعمل أيضا لجرها . وفي كلا العالمين يمكننا ان نعتبرها اداة نافعة للأسطول .

هذه بعض معدات الأسطول قد اصبحت علي وسطها وفيها يلي نص لأمين عهد المنعم يذكر فيه انواعا اخري من المعدات التي تجهز بها الأساطيل يقول عند ذكر فتح الملك الناصر محمد بن معلوب من سلاطين الموحدين لجزيرة مبردة سنة ٥٩٩ هـ ما يلي " وكان الأسطول ثلاثمائة جن منها ستمون غوايا وثلاثون طريدة وخمسون مركبا كبارا وسائرها قوارب متنوعة . واما العدد والسلاح والمجانب والصلالم والساحي والفؤوس والمحاول والرفاعي والعبال فشي لا يأخذه عدد وكذلك الدروع والسيوف والرماح والبهجات والأتراس والدروع والقي وصناديق النشاب وجملتها وافرقة من الطعام " ٢

هذه بعض العدد التي تجهز بها الأسطول وقد اصبحت علي ذكر اسمها . ولننتقل الآن لذكر وسائل الجراء مراكب الأسطول .



## الفصل الثاني

### وسائل اجراء المراكب

ذكرت في الفصل السابق معدات الأسطول وعددت انواع هذه المعدات علي اختلافها . وفي هذا الفصل سأؤكلم عن الأدوات التي كانت تجرى المراكب بواسطتها وعن المعدات التي كانت تساعد مقدمي الأسطول ومؤناته في اجرائه وتوجيهه . وسأجمع في هذا الفصل الطريقة التي اتبعتها في الأبحاث المتقدمة من الكلام عن كل أداة علي حدة وأبدأ أولاً بذكر - الأبرة المغناطيسية -

#### الأبرة المغناطيسية

ونسمي ايضاً بأبرة الملاحين وأبرة القبلة ويسمى الأبرة نسبة الي استخدامها في الملاحة ومعرفه القبلة والي معدن المغناطيس الذي تتحرك منه الأبرة المغناطيسية . وقد دعا بعض المولدين هذه الأبرة بالحك ودعاها بعض العامة بالبوصله ... وهي أبرة مغناطيسية مرفكة علي وسطها بصورة أفقية تدور بدون مانع وتنبه دائماً حية ثابتة وتعين بواسطتها الجهات .

ولد عرف الصينيون الأبرة المغناطيسية من اقدم الزمان وذكرها كتابهم . ومنهم اذكر - sung-shu الذي عاش في زمن سلالة Ts'in التي حكمت ما بين سنة ٢٢٥ - ٢١٣ م .  
الا ان الصينيين <sup>بالرغم</sup> لم يعرفهم لهذه الأبرة في هذا التاريخ وما قبله فانهم لم يستخدموها في الملاحة البحرية الا في ازمة متأخرة . واول ذكر ثابت لاستخدام الصينيين للأبرة المغناطيسية في الملاحة ورد في رواية الكاتب الصيني P'ing-chou-ko-t'an في القرن الحادي عشر ميلادية . ثم يذكر استخدامها فيما بعد سنة ١١٢٢ م .  
اما الروايات العربية القديمة فان بعضها يرجع اختراع المغناطيس الي النبي داود . واخترها باختراع الأبرة المغناطيسية الي الضر او الاسكندر يقول ابن ماجه " واما شرب بيت الأبرة بالمغناطيس قبل انها من داود عليه السلام ( لأنه كان مصناً بالعديد وغواصه وقيل من الضر عليه السلام ) لما خرج في طلب ماء العنقاء ودخل الظلمة والبحره ومال لأحد الأقطاب حتي غابت



عنه ..... ١ " ويقول في مكان آخر " وكل فن من فنون البحر له أصل فاصل الفينة ذكرناها أنه من نوح عليه السلام . وأما المغناطيس الذي عليه المعتمد ولا تتم هذه الصفة إلا به وهو دليل علي القطبين فهو الاستخراج داود عليه السلام وهو الحجر الذي قيل به داود جالوت " ٢ فإين ماجد في قوله السامعين يبين لنا أهمية المغناطيس في صناعة البحر وخاصة في تعيين القطبين ثم يرجع أصله لزمن النبي داود .

ان هذا التعديل في أرجاع أولية الأمور للأنبياء والأولياء لا يقوم علي أساس علمي فاصح بل هو في خاصة فهو يتميز بها رجال القرون الوسطي من قاييل العوائد والمظاهر الطبيعية قاييلا دينيا إذ ان النزعة الفاعلة عند أهل ذاك العصر كانت نزعة دينية فكل ما يجدون من غوارق طبيعية كانوا يقولوه قاييلا مستندا الي دينهم وعقائدهم . وإين ماجد هو من رجال القرن الخامس عشر ميلادية والعاشر هجري قد تأثر بروح ذاك العصر في كتابه وقاييله فلا عجب ان استند اختراع المغناطيس الي النبي داود أو غيره من الأنبياء .

أما النزعة العلمية السائدة في العصر الحديث عند الكتاب الحديثين فهي ان المغناطيس أول ما وجد في الصين وأول من عرف خصائصه من مغنطة الحديد والآجاء نحو جهة ثابتة هم الصينيون هذا أمر معترف عليه عند معظم من درسوا هذه المسئلة عن أولية المغناطيس . أما الذي اختلف فيه المؤرخون هو من أول من استخدم الأبرة المغناطيسية في الملاحة البحرية ! لقد انتهت الأسم في الأهم الحديثة الي أهمية الأبرة المغناطيسية وما كان لتطبيقها في الملاحة البحرية من أثر نافع وخدمات عظيمة في ترقى البحرية لذلك أصبحت مسئلة في / من هو أول من استخدم هذه الأبرة في الملاحة . فقام كتاب بعض الأسم يدعون هذا الأمر لأمتهم ويقولون بأسبقية ملاحهم لأستخدامها في البحر فقال الطليان ان فلا ديهوجيا من سكان نابولي هو مخترع الأبرة المغناطيسية سنة ١٣٠٢ م . وقال الدكتور ظهرت ان ماركو بولو هو الذي أتى بالأبرة المغناطيسية من الصين الي إيطاليا سنة ١٢٩٥ م . إلا ان الأفرسيين اعترضوا علي ذلك وبيّنوا انهم عرفوا الأبرة المغناطيسية قبل الطليان واستخدموها قبلهم منذ سنة ١١٥٠ م كما ان النروجيين قالوا انهم استخدموا الأبرة المغناطيسية قبل سنة ١٣٦٩ م ٢

ولكن الحقيقة التي اتفق عليها معظم الباحثين هي ان العرب هم أول من طيّل الأبرة



المغناطيسية في الملاحة البحرية . فإذا كان الفضل يعود للصين في معرفة هذا المعدن قبل غيرهم من الصوب فإن الفضل في تطبيقه في الملاحة البحرية يعود لتجار العرب . يقول Coppée " ان الصينيين الذين عرفوا بالاكشاف والاختراع ولكنهم لم يعرفوا حسن التطبيق والاستفادة من مخترعاتهم عرفوا المغناطيس وعرفوا ان الحديد يتأثر به فيتمغنط تحت تأثيره ... وقد زعم بعض الطالبان انهم هم الذين اكتشفوا الأبرة المغناطيسية في القرن الرابع عشر ولكن الأبحاث المتأخرة الدقيقة أظهرت بعكس ذلك ان الفضل الأول يعود للعرب في استعمالها حيث نقلوها عن الصينيين في دعواتهم الشرقية " ١

ويقول حتى " والأغلب ان الصين هم اول من اكتشف الاتجاه الثابت الذي يأخذه الأبرة المغناطيسية . ولكن المسلمين الذين لهم علاقة تجارية منذ القدم مع الصين وكانت تجارتهم قائمة ما بين الخليج الفارسي ومياه اناسي القرن هم اول من استعمل هذه الأبرة للملاحة " ٢ ويقول هرت " لعل التجار العرب الذين لهم علاقة تجارية مع الصين اخذوا معلوماتهم عن خاصية هذه الأبرة المغناطيسية من الصين واستخدموا هذه الأبرة في الملاحة قبل الصين انفسهم " ٣ .

نعم لقد كانت العلاقات التجارية قائمة بين العرب والتجار الذين يسكنون شواطئ عيذاب وعدن وصيراف وهرمز والبحرة وغيرهم من سكان المرافئ البحرية الواقعة على بحر الدارم بوطانكوك والمحيط الهندي والخليج الفارسي ومن اهالي مدينة خانتو (كانتون) والزيتون وغيرها من مدن الصين وجزائر المحيط الهندي . فلا عجب اذا نقل التجار العرب الأبرة المغناطيسية من الصين وطبقوها في رحلاتهم البحرية الطويلة لاسيما وانهم باخذ الحاجة الي آلة تهديهم الطريق السوي الذي يوصلهم الي هدفهم وغايتهم .

ان شهادة هؤلاء المؤرخين المعدنين تدل دلالة واضحة على ان العرب هم اول من استخدم الأبرة المغناطيسية في الملاحة البحرية ونقلوها عن الصين في خلال رحلاتهم التجارية . ولنرجع الآن الي مؤرخي العرب القدماء انفسهم ولنرى متى ورد ذكر الموصلة في كتبهم ١ .

قبل استعراض النصوص العربية القديمة التي ورد فيها استخدام الأبرة المغناطيسية يجدر بنا ان نلاحظ الملاحظين الآتينين .

اولا ان تطبيق هذه الأبرة عمليا في البحر سهل ودود ذكرها في المصادر العربية القديمة .

١ - Coppée Vol II, P 396-397 / ٢ - تاريخ العرب ١١٩ / ٣ - مقدمة Chau-Ju-Kua

P 29 فلا عن كتاب Ancient, Hist. Of China P 126 Hirth  
134



لأنه ليس من المعقول ان يكتب عنها المؤرخون او يسيروا اليها مالم يكن قد انتشر استعمالها  
انتشارا كبيرا وعرفت فائدتها وغواصها .

ثانيا من المرجح ان استخدام الأبرة المغناطيسية في الملاحة بقي سرا تجاريا زمنا طويلا . ولم  
يتبع هذا السر الا بعد مدة من استخدامه في الملاحة لأن المعروف ان العنصر العجاري القائم  
بين تجار العرب انفسهم وبين تجار الأمم الأخرى لعمل بضائع الجزيرة العربية الي اراضي الصين  
والأندمان بمحاصلات تلك البلاد الي الغرب كان يدعو العرب الي التكم في نشر هذا الاختراع  
العظيم الي حيز الوجود والعطف في نشره الي الآخرين . وبالرغم من ذلك فاننا نجد اول ذكر  
للأبرة المغناطيسية في المصادر العربية يعود الي سنة ١٢٣٠ م في مجموعة فارسية تعرف بمجموع  
الحكايات ولوامع الروايات كتبها محمد الموفي . وفي احدي الحكايات يقصر ذاك المؤلف الذي كان  
ملاحا عن كيفية اعتدائه الي الطريق بواسطة سمكة طالاها بالمغناطيس ١

ثم نجد بعد هذا التاريخ تتابع الروايات العربية التي تشير الي هذه الأبرة ومنها  
ما ذكره القسافي في سنة ١٢٨٢ م عن وصف الأبرة المغناطيسية ٢

والمؤري الذي توفي سنة ١٤٤١ م يشير الي هذه الأبرة ويقول " وما يروح المسافرين في  
بحر الهند اذا اظلم عليهم الليل ولم يروا ما يهديهم من الكواكب الي معرفة الجهات يحملون  
حديدة مجوفة علي شكل سمكة ويهاثفون في ترفيلها جدد المقدرة ثم يعمل في ثم السمكة شقين  
من مغناطيس جيد ويحك فيها بالمغناطيس فان السمكة اذا وضعت في الماء دارت واستقبلت القطب  
الجنوبي بنفسها واستدبرت القطب الشمالي . وهذا ايضا من اسرار الخليفة فاذا عرفوا جهتي الجنوب  
والشمال تبين منهما المشرق والمغرب فان من استقبل الجنوب فقد استدبر الشمال ومار المغرب عن  
يمينه والمشرق عن يساره فاذا حددت الجهات الأربع عرفوا مواقع البلاد بها فيلقطون حينئذ  
جهة الناحية التي يريدونها " ٣

كما ان الملاح العربي ابن ماجد المشهور بامد البحر وبالمعلم وضع عدة كتب نشرها  
وعصرها لأرشاد البحريين الي الطرق البحرية في مختلف البحار التي حول الجزيرة العربية وعلمهم  
كيفية الأعتداء الي معرفة الجهات بواسطة النجوم ليلا وبواسطة الشمس نهارا والذي ارتد الأطول  
البرتغالي الذي كان بقيادة فاسكوديني غاما لطريق الهند . قد ذكر الموصلة في القرن الخامس  
عشر ميلادية وعرف خواص المغناطيس واهميته في تعيين الجهات واستخدمه في الملاحة البحرية



قال " وأما المغناطيس الذي عليه المعتمد ولا تقم هذه الصنعة إلا به وهو دليل علي القطبين  
فهو استفواح داود عليه السلام ... وأما صوب بيت الأبره بالمغناطيس قبل انها من داود (لأنه  
كان مغلي بالمديد وخواسفوقيل من الخنز عليه السلام ) لما خرج في طلب ماء الحياة ودخل الظلمة  
وبحره ومال لأحد الأقطاب حتي غابت عنه الشمس قبل اهتدي بالمغناطيس وقبل اهتدي بالنور .  
والمغناطيس جبر يذب الحديد فقط والمغناطيس كل شيء ما يجذب اليه . وقبل ان السبع السموات  
والأرض مملكات بمغناطيس القدرة . وقال الناس في ذلك احوال كثيرة فلم استشهد سوى ما قلته  
في قصيدة طويلة نثنا

دهارث مغناطيس وجلاي ان مشيت  
وعضاء مغناطيس قلبي وثاظري ١٨  
هكذا نجد ان معرفة العرب للمغناطيس والأبره المغناطيسية قدم جدا وان اول ذكر لاستخدامه  
في الملاحة البحرية في المصادر الإسلامية يعود الي اولهل القرن الثالث عشر ميلادي .  
ونالت الأشارات الي الأبره المغناطيسية فهما بعد مرحلة متصلة عند المؤرخين العرب .  
سما يدلنا علي استمرار استعمال العرب لهذه الأبره واستخدامها في الملاحة .  
وهذه يشير بعض المؤرخين الغربيين الي ان العرب ارادوا الأبره المغناطيسية الي الأندلس  
وحسنوها وحاولوا اكتر ملاحة للاستعمال بوضعها علي حديد في وسطها بعد ان كانت سابقا موضع  
علي قذبة من الدلين ٢٠ . ولعل هذه الأبره انتقلت عن طريق الأندلس الي اوروبا واعتبرها  
الغربيون من العرب بواسطة الأندلسيين الذين اوصاوا كثيرا من المعارف والعلوم الي الغرب ...  
ولا يعني الأطلاة اكتر من ذلك عن الأبره المغناطيسية ومن اراد التوسع في هذا البحث  
يمكنه الرجوع الي ما كتبه الأستاذ Léopold de Saussure في مجموعتها الأستاذ  
فوائد ٢

وعلاوة عن الأبره المغناطيسية فقد كان العرب يعرفون وساطة احري لتعريف الجهات . يذكرها  
ابن ماجه في كتابه ٤ . اذكر منها النجوم علي اخدود انواعها وابراجها والرياح علي اختلاف  
مهابها . ثم انهم يعرفون الأقاليم والمناطق البحرية بواسطة الجواز التي يمر بها عليها ومن  
انواع الطيور التي يرونها وانواع الأسماك التي يصادونها ومن همة الجمال التي يصادونها  
نادية في طريقهم ومن راحة الغراب الذي يأخذونه من نعر البحر .. وما أشبه ذلك من الوساطة  
الكبيرة التي نطها ابن ماجه في حاورته اذكر منها ما يلي علي قهبل التعديل .



والطين والحبات والاطمار	والحوت والحشيش خذ اخبارى
لا تعتبر الا بما جبرته	او يكن الواصف قد حشفته
وان ترى اللزاق فيه الصفر	يكذب مرة ويصدق مرة
فربما جاءت به الحسبان	لقفر بحر نازح لا د انسي
اما الذى بافتى بصطاد	اشارة بعزى بها الفسواد
والقدماء الفضلاء الثقات	توافقوا في صحة الحسابات
وان ترى في البحر يوما مارزة	مبتة فليس هي بالجسائرة
لان لبيها لغة كثيرة	يعلمها ذو القدرة القديرة
تغير الامواه في الحالات	يحتمل من ظل ومن حبات
وان رأت العاء قد تغيرا	مارجة السحاب فعه الحادرا
ثم صفات البر والجبال	افعل بتجربتك ولا تهالي

### الاسطرلاب :

الاسطرلاب <sup>مركبة</sup> جمعه اسطرلابات ٢ وهي لغة يونانية <sup>١</sup>  $\alpha\sigma\tau\rho\lambda\alpha\beta$  ومعناها كوكب و  $\lambda\alpha\upsilon\alpha$  معناها اخذ والحاصل : اخذ الكوكب .  
 لانه اول ما استعمل ل اخذ ارتفاع الكواكب ؛ ويفسر العرب هذه الكلمة بميزان الشمس  
 او ميزان الكواكب ويؤلون سبب تسمية هذه الالة بالاسطرلاب تأويلات عديدة منها  
 ما ذكره حاجي خليفة : ان الاوائل كانوا يتخذون كرة على منار الفلك ويرسمون عليها  
 الدوائر ويفسوم بها الليل والنهار ويصححون بها الصالح الى زمن ادريس عليه السلام  
 وكان لادريس ابن اسمه ( لاب ) وله معرفة في الهيئة فبسط الكرة واتخذ هذه الالة  
 فوصلت الى ابيه فتأمل وقال من سطر هذه فقبل اسطرلاب . فوقع عليه هذا الاسم  
 وقال العبروزيادى ( لاب اسم رجب سطر سطر ) وبنى عليه حسابا فقبل سطرلاب . ثم  
 نزع الاضافة فصار اسما واحدا . وقبل هو كلمة فارسية وهي استاراه باب ومعناها  
 مدرك احوال الكواكب فغيرت الحروف وصارت اسطرلاب ١ .

١- حاوية الاقتصار ذين ماجد ص ١٠٠ و ص ١٠١ ب .  
 ٢- ملحق دوزى مادة " اسطرلاب " ٢- الموسوعة الإسلامية مادة " <sup>١</sup>  $\alpha\sigma\tau\rho\lambda\alpha\beta$  .  
 ٣- المقنط ج ١١ سنة ١٨٨٩ ص ٧٢١ . ٤- حاجي خليفة كشف المشوك ج ١ ص ٢٢١  
 ٥- دائرة المعارف مادة اسطرلاب .



ان هذه الأقوال الاحيرة لتعمل كل كلمة اسطرلاب ليس لها اصل علمي صحيح وانما هي من عبارة افكار وفنون كتاب انقروا الرسائل الذين يجهلون ان يولوا -  
وتفسروا بحسب ما توهمه لهم ببيتهم وخطابهم . والصحيح هو ما ذكرته اولا وهو ان  
هذه الكلمة مأخوذة عن اليونانية . وقد عرف اليونان هذه الآلة منذ القرن الثاني  
قيل المسيح وشرحها بطليموس في الجيوسطقي واول من عرفها من المسلمين هو ابراهيم  
ابن حبيب الفزاري وانتقلت الى اوروبا في القرن العاشر ميلادي ١  
والاسطرلاب نوع اساسيه وهي الاسطرلاب النصب والاسطرلاب الكروي  
والاسطرلاب الخفي وقد تكلم المعلم بصر البساق عن النوعين الاولين في دائرة  
معارف وتكلم عن الانواع الثلاثة Dr. O.A. Hallino في الموسوعة الاسلامية فمن لم  
اراد معرفة شيء عن هذه انواع فيمكنه الرجوع الى هذين المصدرين تحت مادة  
" اسطرلاب " .

ولا يزال بعض هذه الاسطرلابات محفوظة في الان في مكاتب العالم ومتاحه  
ادكر منها اسطرلاب جعفر بن المكنفي الذي صنعه له احمد بن خلف جوالي سنة  
٢٢٠ هـ وهو محفوظ الان في متحف باريس . واسطرلاب صنع محمد بن الصال  
بمدينة طليطلة بالاندلس سنة ٤٢٠ هـ وهو محفوظ في مكتبة برلين . واسطرلاب صنع  
محمد بن فتحي الخماير بمدينة اشبيلية بالاندلس سنة ١١٢ هـ وهو محفوظ في مكتب  
دار الهندسة بالاستانة . واسطرلاب آخر صنع هذا الرجل نفسه سنة ٦١٥ هـ  
محفوظ في مكتبة فرانسه واسطرلابات اخرى ورد ذكرها في المخطوط يمكن الرجوع اليها ٢  
ويقول حتى ان اهم العدر في صناعة الاسطرلاب هما مدينة طليطلة واشبيلية  
من بلاد الاندلس ٣ ويوافق قوله هذا ما ذكرته عن بعض هذه الاسطرلابات المحفوظة  
حتى الان . فنجد ان صناعتها من اهالي تلك المدينتين .  
وفيما يلي وصف موجز من اجزاء الاسطرلاب اوردها ليكون للقارئ فكرة من هذه  
الآلة اللطيفة .

١- تاريخ العرب من ٥٩١ / ٢- المخطوط ج ١١ سنة ١٢ سنة ١٨٨٦ ص ٢٢٢

٣- تاريخ العرب من ٥٩١ .



اجزاء الاطرلاب اربعة وهي اولاً . الألواح . ثانياً المنكوبة . ثالثاً ام الاطرلاب رابعاً الضادة .

ولألواح رفوف مستديرة مثقوبة في مركزها وكل لوح منها معلم من وجهه بخطوط ودوائر وانوار وحروف وارقام . وقد تكون هذه الألواح اربعة فقط وقد ينيف على العشرة ... و  
والألواح والمنكوبة هي لوح مغزول مغزول كثيرة بحيث يغطي فيه دائرة مركزها طرف مركز الألواح ودائرة اخرى تصنع مع الأولى هلالاً ونوائج كثيرة حادة ....  
وام الاطرلاب مربعة مفرقة من احد جانبيها يسمى الجانب المغزول منها بالعبارة فتوضع الألواح فيها وتوضع المنكوبة فوقها ..

وعلى ظهر الاطرلاب قطعة طويلة تسمى الضادة احد جانبيها يمر بمركز الاطرلاب وعلى طرفيها هنتان تسميان بالهدفين في كل منهما قلب صغير ويمكن رفعهما دفقتان عموديتين على الاطرلاب وترباهما متقابلان .

والألواح المذكورة والمنكوبة وام الاطرلاب والضادة مثقوبة كلها في مركزها يمر بها مسار او لولب يسلكها بعضها ببعض يقال له القوس . وفي طرف كل من الألواح المتقدم ذكرها فتوضع في قلب في جانب العبارة فيتمكن في مكانه ولا يحدو بدوران المنكوبة . وفي طرف الاطرلاب عمود فيها حادة اذا مس الاطرلاب بها وقد من نفسه عمودياً على سطح الأفق بسبب ثقله .  
هذا وقد موزع جداً للأجزاء التي يعالف منها الاطرلاب ولناخذ فكرة عن كيفية استخدام هذه الآلة في معرفة ارتفاع الأفلاك والنجوم اذكر ما ورد في المقتطف عن قياس ارتفاع الشمس (هاتس) عمليه لا يحتاج معها الي اعمال حسابه وكل ما في الأمر هو ان تحيط بضادة الاطرلاب بموضع حيد ويقرأ الدرجة الموافقة لهذه الضادة على محيط الاطرلاب .

وقد ذكر صاحب كتاب رياض المختار المسائل التي يمكن معرفتها بواسطة الاطرلاب اذكر منها  
١ - اخذ ارتفاع الشمس ٢ - معرفة وجود الشمس في أية درجة من أي برج في أي يوم كان ٣٠ - معرفة ميل الشمس والكواكب وغايات ارتفاعها واستخراج عرض البلاد منها ٤ - تعيين اوقات الصلوات والفجر والظن ٥ - معرفة البعد بين بلدين وبمت احداهما لبالنسبة للآخر ٦ - احوال العمليات المختلفة بالكواكب وتعيين بروجها ٧ - معرفة سمت القبلة ٨ - معرفة الجهات الأربعة في أي وقت وفي أي بلد ...  
ومسائل اخرى كثيرة لا حاجة لاكرها .<sup>٢</sup>

١ - المقتطف الجزء ١١ سنة ١٢ سنة ١٨٨٩ من ٧٣٣ / (هاتس) ارتفاع الشمس <sup>١</sup> " لا يسلك الاطرلاب باليد من خلفه بحيث يكون حروفه متجهاً نحو الشمس ثم تحرك الضادة التي على ظهره بحيث أن الأضعة المارة بقلب احد هدفيها تمر بالهدف الاخرى ويقرأ على محيط الاطرلاب درجة الارتفاع المطلوب فتكون خط المشرق والمغرب " (المقتطف من ٧٣٦) ٢ - المقتطف من ٧٣٨



في الأسطراب كما يمكننا معرفة الجهاب وتعيينها في أي وقت كان فهو إذن أداة جيدة للملاحة البحرية  
يستطيع بواسطتها البحريون الأتداء لطريقهم وتعيين وجهتهم التي يخطون بقصدونها . وكتب ابن ماجد  
وسليمان المهري الموضوع لتعريف الطرق البحرية التي يجب أن يتبعها الملاحون في سفارهم مبنية  
في أساسها على الأتداء بواسطة النجوم وإبراجها . وتكون هذه المعرفة بواسطة الأسطراب .  
يقول حتى " وكان المسلمون يستعملونه في تعيين أوقات الصلاة وموقع مكة الجغرافي وكان من أهم  
الأدوات للبحارة في استخدامه في الملاحة لمعرفة الجهات بواسطة النجوم ... " ١  
كما أن هوث وروكهيل يقولان " أنه لم يكن يخلو مركب من مراكب العرب من الأسطراب " ٢

### الرهنامج

إن هذه الكلمة فارسية مركبة من راه بمعنى طريق ومن تامة وهو الكتاب - أي كتاب  
الطريق ٣ - وهو الكتاب الذي يسلك به الرهانية البحر ويهتدون به في معرفة المراسي وغيرها <sup>٤</sup>  
ولم نجد تفسير هذه الكلمة في المعاجم العربية ولعلها أخذت من الفارسية في زمن متأخر وعبرت  
وأطلقت على هذا النوع من المؤلفات الذي يبحث عن الطرق ومنها الطرق البحرية . فإن هذه الكلمة  
أذن لا تشير إلى كتاب معين خاص وإنما هي كلمة عامة لكل كتاب يبحث عن الطرق . وأهم الكتب  
العربية التي ألفت في هذا البحث عن الطرق البحرية هي مصنفات ابن ماجد وسليمان المهري من أهل  
القرن الخامس عشر ميلادية والقرن العاشر هجري . ولا بأس أن نعرف على أسماء مصنفات هذين البحار  
العربيين على الأقل لنطلع بواسطتهما على هذه الناحية الهامة من المؤلفات العربية .  
أهم كتب ابن ماجد هي ما يلي :

أولا كتاب الفوائد في أصول علم البحر والقواعد . - وهو مؤلف من اثني عشر فائدة يبحث في  
مواضيع مختلفة متعلقة فلكية يبحث فيها المؤلف عن أقسام البروج التي في السماء ويعددتها بأسمائها  
المختلفة ونجومها المتعددة ويبين كيفية قياس هذه البروج واستنداسها في معرفة الجهات  
والطريق في البحر إلا أنه يكتب بملفة مبنية مستندة إلى الاصطلاحات العامية والتعابير البحرية  
ويكثر من أسماء المواضيع غير المشهورة . لذلك يجد الباحث في قراءته عند الصعوبات لاسيما إذا  
لم يكن خبيراً بملفة البحريين والفلكيين من العرب الأقدمين وفي الفائدة العاشرة يذكر الجند  
الكبار المشهورة في العالم ويعددتها ويصف موقعها الجغرافي . وأهم المرافئ فيها وأشهر أقسامها .

١ - تاريخ العرب ص ٥٩١ / ٢ - هامش مقدمة Chau - Ju - Kua P 29

٢ - كتاب الألفاظ الفارسية ص ٧٤ / ٤ - هامش حاشية العرب ص ١٧٢ .



وفي الفاء الثاني عشر يذكر بحر القلزم وجزره وصاهيه .  
ثانياً ثانوية الاختصار في اصول علم البحار . - وهي ارجوزة نظمها ابن ماجد ضمنها كثيراً  
من المعلومات التي ذكرها في كتابه السابق كتاب الفوائد . ولكن لغتها العربية خلت من نظم  
عباراته الشعرية في كتابه السابق . وجعلها أقرب للفهم والذوق . قسم المؤلف هذه القصيدة الي  
عشرة فصول ذكر في بعضها معلومات بحرية وذكر في البعض الآخر معلومات فلكية .  
وهناك اراجيز اخرى بعنوانين مختلفة نشرها فرّاند في المجموعة التي ضمها لمؤلفات ابن  
ماجد والمهري يمكن الرجوع اليها والتعرف عليها لمن اراد .  
اما مصطلحات الملاح العربي الثاني سليمان المهري فاهمها :

العمدة المهرية في ضياء العلوم البحرية وهو كتاب في سبعة ابواب كل باب مضمون الي عدة فصول  
بحرّ بحث ففصل فيها المؤلف عن الكواكب وابعادها ومداراتها وارطافها . ثم ذكر اهم دمارات  
المحيط الهندي وهي بلاد العرب والعجم والمومال وپرسيام والصين وما الي ذلك . ثم بحث في  
اهم جزر المحيط الهندي وعددها وهي جزيرة القمر وجزر ندين وجزيرة مطري وجزر القال وجزر  
الذهب وجزيرة سيلان وجزيرة عطري وجاوة والجزر الجنوبية الشرقية واخيراً بحث في الطرق  
بين البلاد المختلفة من بلاد العرب والهند والصين وغيرها . واسلوب هذا المؤلف اوضح من اسلوب  
ابن ماجد السابق الا انه اقل قيمة من الأول لأنه اعتمد كثيراً في كتبه علي السماع دون  
التحقيق بنفسه لذلك الطرق البحرية . وله كتب اخري دلاوة عن العمدة المهرية منها  
كتاب عمدة الفحول في تصحيح الاصول - وكتاب المنهاج الفاخر في علم البحر الزاخر - ورسالة  
دلاوة الشمس واستخراج قواعد النوس وغيرها كما من المؤلفات والرسائل التي نشرها - فرّاند -  
لقد بدأ الأستاذ فرّاند بنشر هاتين المجموعتين لأن ابن ماجد وسليمان المهري سنة ١٩٢٥ م

نشرها بالتصوير الفوتوغرافي بعنوان Instructions Nautiques et Routiers Arabes et Portugais Des XVe et XVIe Siècles .

ولام لهذين الكتابين كتاباً اخر سماه — Introduction à L'astronomie nautique

Arabe وهو مجموعة ابحاث لكتاب مختلفين يبحث في مواضع متعددة لها علاقة

بالملاحة والأدوات البحرية ولديه فصل عن ابن ماجد وسليمان المهري وقايعه في هذا الكتاب  
الاخير تسهيل قراءة وفهم المصطلحات السابقة التي اعني بنشرها .

ولست هاتان السلطان عن ابن ماجد وسليمان المهري هما الوحيدتان في هذا الموضوع

من اللون البحرية ومعرفة البحار وجزره بل يمكنني ان اعتبر معظم كتب الرحلات التي قام بها



العرب هي من هذا النوع من القاليف لأنها صير إلى الطريق البحرية وصف البلاد والجزر التي يمر بها المؤلف وصف خاص كل قطر وفتح من كثير من الوجوه .

ان هذه الكتب نعرفها لأنها وصلتنا ونشرت علي إهدي مختلف العلماء . - الا انه يوجد كثير من الكتب والدوائر والمعلومات الكثيرة التي كان بعض العرب يعرفها ولم تصل إلينا . يذكر ذلك المقدسي عند كلامه عن المحبب الهندي . يقول " واما أنا فسرت فيه نحو ألفي فرسخ ودرت علي الجزيرة كلها من القلزم الي عبادان سوي ما توهت بنا المراكب الي جزائره ولججه وصاحته مشايخ فيه ولدوا ونشؤوا من ربابيين وأشاعمة وديانبيين ووكلاء . وتجار ورايتهم من ابحر الناس به ومراسيه وارباحه وجزائره فسألتهم عنه وعن اسبابه وحدوده ورايت معهم دفاتر في ذلك بتدريسونها ويعملون عليها ويعملون بها فيها فعلت من ذلك مدرا صالحا بعدما ميزت وتدرت ... وبينما انا يوما جالس مع ابي علي بن حازم انظر في البحر ونحن بساحل عدن اذ قال لي ما اراك مفكرا قلت اهد الله الشيخ ند دار عدلي في هذا البحر لكثرة الاختلاف فيه والشيخ اليوم من اعلم الناس به لأنه امام التجار ومراكبه ابداء تنافر الي افاسيه فان رأي ان يظه لي مدة اعتمد عليها وارجع من الشئ اليها فقال علي الخبير بها سقطت ثم مسح الرمل بكفه ووسم البحر عليه لاطلسان ولا طير وجعل له معارج يحلله ويحياها عدة ثم قال هذه مدة هذا البحر لا صورة له غيرها وانا اموره ساذجا وادع الصب والخلجان الصبه ويكة لغيرها وندة الحاجة الي معرفتها وكثرة الاسفار فيها وادع ما اختلفوا فيه وارسم ما اختلفوا عليه ... " ١

هذا النص يبين لنا انه لم تكن لمدة واحدة من الناس تعرف جغرافية البحار وطوره بل هناك الرهبان من البحارين والرياضيين والتجار الذين يعرفون عن تلك المحيطات والبحار ولهم دفاتر بتدريسونها ويعملون بها فهاين هذه الدفاتر وما هي مادتها انص لانعرف اليوم الا القليل من المعلومات عن معارف اولئك القوم الذين خبروا البحار وتلقوها حتي ان احد تجار ذلك الزمن وهو ابو علي بن حازم يرسم خريطة البحر الهندي ويشرح للمدسي مناطقته واخلجانه دون تردد او ولكو كان هذا الأمر قد اصبحت جزءاً من كيانه واصبحت معرفته له معرفة قوية لا يحتاج معها الي تفكير عسير واسعداد طويل .

اننا قليلا ما نعرف من اولئك القوم فمن هو ابو علي بن حازم ومن هم اولئك الملاحون الذين كانوا يبحرون معظم ايامهم في غرض البحار والاسفار وامين معلوماتهم التي دونوها في دفاترهم الا ان معظم هذه المعلومات ضاعت وما وصلتنا منها ان هو الا القليل النادر .



## المجاذيف

ورد كلمة المجاذف بالذال كما بين ذلك الزبيدي ١ وورد ايضا بالذال كما يستعملها كثير من الكتاب والمؤلفين ٢ ويستعملها صالح بن يحيى بالقاف فيقول المجاذيف ٣ وهو صحيحة في الحالات الثلاثة .

وقد ورد وصف المجاذيف في الشعر العربي ومن جيد ما قيل في وصفها ما ذكره ابو عمرو يونس بن ابي خالد اللخمي الاغميلي الأندلسي قال

مجاذف كالحيات مدت رؤسها علي وجل في الماء كي تروى الطما

كما امرت عدا أنامل حاسب يفيض وسط بين الصين والقصا ٤

ان هاذان البيهقان من اجل ما قيل في وصف المجاذيف عهد بهما الشاعر رؤوس الحيات الظمآن الي الماء عند رأسها لغروب . وشبه حركتها في الماء وذهابها وإيابها بحركة إصبع حاسب يفيض أنامله ويسطها . فهو تشبيه يذيع فيه دقة في التعبير ومهارة بالتعبير أجاد فيه الشاعر كل الأجاد .

وقال علي بن محمد الأهدبي في وصف المجاذيف من قصيدة له في وصف طول القائم مايلي

مفلوذة بمجاذف مفلوذة في الجانبين دوين صلب صلب

نكوادم النسر المعروف عربيت من كاسيات رهاقه المعذب

وتعنها أيدي الرجال اذا وثت بمعد منه بعيد مصوب

عرجوا جوانبه مجاذف اصعب غاو الرياح لها ولما تعصب ٥

فما للمجاذف اذن اداة اساسية في تسير الأسطول يعتمد عليها في حالة الهجوم علي العدو او الهرب منه وهي وسيلة انجح من الفراع لأن الفراع يتوقف عمله علي هبوب الريح وسكونه لذلك فالمراكب العربية المعدة للقتال تجهز علي الاكفر بالمجاذيف التي يتوقف عليها سير المركب في سرعته وإبطائه . وقد ذكر ابن خلدون أهمية المجاذيف في الأساطيل ٦ ووصف الدلفند ي ٧ والمقرئ ي ٨ عملها العظيم في الهجوم عند لقاء العدو .

وقد تكون المراكب العربية سمدة بمعدة مفلوذة من المجاذيف ٩ وقد يجذف علي المجاذف

الواحد عدة اغصان ١٠ واحيانا يجذفون ولفوا علي اذيالهم ١١ وعدد المجاذيف في الفراع

١ - تاج المروس مادة "جذف" ٤ - ٢ - صحيح الأعشي ج ٣ ص ٥٣٣ / ٢ - تاريخ بيروت ص ٣٣٣

٤ - حضارة العرب ص ٦ / ٥ - زهر الآداب ج ٤ ص ١٣٨ / ٦ - المقدمة ص ٣٤٣ / ٧ - صحيح الأعشي ج ٣

ص ٥٣٣ / ٨ - الخطاط ج ١ ص ٤٨٠ / ٩ - ١١ - رحلة ابن بطوطة ج ٢ ص ١٤١

١١ - P 11 / Nouvelles / ١١٠ - رحلة ماركو بولو ص ٢٦١



بجراح ما بين ٤٠ و ٨٠ و ١٠٠ و ١٨٠ و ٧ والمجازيف تصنع من الخشب ونظرا لدلة هذه المادة في مصر فان فانوس القوي استورد سنة ٩١٦ من ملك الروم عثمان بعض المعدات فأرسل له القين مضافا من الخشب ٠ ٢

ويظهر ان مراكب البيزنطيين قديما والصليبيين فيما بعد كانت اصغر من المراكب العربية لذلك كانت ممتاز عنها بالظفة والسرعة ودلجا الي الهرب عند منعها فلا تستطيع سفن المسلمين من اللحاق بها ٠ ٢ يقول صالح بن يحيى " ومنهنا اليهم بالدلوخ فهربوا منا ولم نقدر علي لحوقهم لسرعة مشيهم بالمجازيف " ٤

ما تقدم يتبين لنا اهمية المجازيف في الأسطول عند الحرب اذ انها اداة رئيسية في صيبر المراكب واجرائها ٠ وعليها يتوقف الي حد كبير التفوق علي مراكب الأعداء ٠ اذ ان سرعة الأسطول وحركته ودورانه يتوقف علي المجازيف ومعرفة استخدامها ٠

### الشراع او الدلع

يقول الزبيدي " الشراع الدلع وهو كالملاحة الواحدة فوق حنية من ثوب او حصير مربع ومرفوع علي اربع قوي تعطفه الريح فيضي بالفيضة ٠ وانما سمي به لانه ينزع اي يرفع فوق السفن جمعه اشعة وشرع بضمعين " ٥ ويقول الطبري " ان الدلوخ وهي شرع السفن ٦ مما يدلنا علي ان الكلمتين لهما نفس المعني ٠

والاشعة علي نوعين منها ما هو مصنوع من القماش كما ذكر في قصة الف ليلة وليلة ٧ ومنها ما هو مصنوع من خوص عجر المفل ٨ مصنوعه كالصخر انعط اهدا ويديرونها بحسب دوران الريح اذا ارسوا تركوها واقفة في مهب الريح ٠ ويكثر استعمال اشعة القماش في البحر المتوسط اما اشعة عجر المفل فتكثر في بحر الدلم وجهات الصين ٠ ٩

وكانت الاشعة في الـ *شراع* مصنوعة من القطن المنسوج والمعود عليه اجمل المعود ويظهر من طول الصواري ان ذلك الاشعة كانت مثلكه *الشكل ١٠* ٠ والشراع عند رفعه يريها بالطاري وقد تعددت اسماء الطاري كما يقول الصعودي ٠ فارباب المراكب في بحر الصين يدعونه الدفل والبحارة في البحر الحبيبي يسمونه الدولي وبالغواص يدعي الرقل وفي البحر

١ - صالح بن يحيى ص ٢٢٠ / ٢ - بدائع الزهور ج ٤ ص ٢٠١ / ٣ - *Lexicon of the Arabic Language* ٢٥٢ / ٤ - صالح بن يحيى ص ٢٣٣ / ٥ - تاج العروس مادة " شرع " ٦ / ٦ - الطبري الجملة الثالثة ج ١١ ص ١٤١٨ / ٧ - الف ليلة ص ٣٣٩ الليلة ٥٤٣ / ٨ - رحلة ابن جبير ص ٤١ / ٩ - مقدمة *Lexicon of the Arabic Language* ١٠ - *Na'at P 41*



الرومي يسمي الطاري ١ .

وللشراع ذاعة عظيمة في سحر المراكب لاسبعا المراكب العجارية ومراكب النقل الا ان استخدامه في الاسطول خطر خوفا من تأثير النار اليونانية في حرقه واندف المراكب لذلك كانت المجاذيف في الاسطول ~~تقل~~ اكثر اهمية من الشراع الا ان للأخير ذاعة في المراكب التي تجمع الاسطول والتي تغذيها بالمواد والعدد والذخيرة . فالشراع والمجاذيف اذن هما الادمان الوحيدتان في الأتاهم القديمة لسير مراكب الاسطول وجريها .

### المرساء او الأنجر

يقول الزبيدي " المرساة بالكسر انجر الطينة التي ترسي فيه وفي العذيب المرساة انجر ضم بد بالبحال وترسل في الماء فيبك الطينة ويرسبها حتى لايسير " ٢ اما الأنجر فكلية فارسية معربة من لفكر وهو خشبات يخالف بينها وبين رؤسها وتعد بها البحال وترسل في الماء اذا رست الطينة فاقامت ٣ وقد ذكر ميري ان الأنجر كلمة يونانية  $\alpha \nu \chi \upsilon \rho \alpha$  بمعنى المرساة وقد ورد ذكرها كثيرا في كتاب عجائب الهند وتجمع فيه علي اناجر ٥

والمراسي المستعملة في القدم علي انواع منها ما هو مصنوع من الحديد كالتي يذكرها المقريزي في كلامه عن حصار الأترونج لدمياط يقول " فبعث الله ربحا قطعت مراسي مرمة الفرنج وكانت من عجائب الدنيا فمرت الي بر المسلمين فاخذوها فاذا هي مطقة بالحديد لا تعمل فيها النار وصاحبها خمسمائة ذراع فكسروها فاذا فيها مائة ماسير زنة الواحدة منها حصة وعشرون رطلا " ٦ ومن المراسي ما هو مصنوع من غير الحديد كالتي يصنع في هرمز وهي مؤلفة من مادة ترابية ٧ وعدد المراسي في المراكب يختلف بحسب كبرها وصغرها كما ان المراسي نفسها ليست من حجم متساوية وقد في كتاب عجائب الهند ما يلي " ... قال ارفعوا الأناجر واطركوا المركب يسير لنفسه فقلقله فقال اقلعوا الأنجر الكهبر فقلقلناه وبقي في البحر ثم قال ارموا بالأنجر الفلاني فلم نزل كذلك حتي رمينا في البحر ست اناجر ٨ . وبني السلطان قانصو الغوري سنة ٩١٨ غلبونا عدد مراسيه ثمانية ٩ وقد كانت مدينة شاطيش بالانديلس مشهورة بصنع المراسي من الحديد الذي يمجز عن صنعه اهل البلاد لملايحه وقصوره ١٠ وفي سنة ١٥٩٠ استخدم الأوربيون في مدافعهم الات

١ - خروج ج ١ ص ١٣٠ و ج ٢ ص ١٢٨ / ٢ - تاج العروس مادة " رسي " / ٣ - تاج العروس مادة " نجر "

٤ - الحضارة الإسلامية ج ٢ ص ٣٦٤ ومرد ايضا في كتاب الألفاظ الفارسية ص ١٥٠ عن فرنكل ص ٢٣٩

٥ - عجائب الهند ص ٢ و ص ٦٥ وغيرها / ٦ - الفسط ج ١ ص ٢١٦ / ٧ - عجائب الهند ص ١٠٠ وحلة ماركو بولو ص ٤٤

٨ - عجائب الهند ص ٦٥ / ٩ - مدافع الزهور ج ٤ ص ٢٣٦ / ١٠ - العروس ص ١١٠ .



الآت لرفع المراسي ١ . وللمراسي أهمية كبيرة في الأطول لأنها تساعد على إرسائه وإبقائه عند الضرورة . وهي من المعدات المهمة في المراكب التي لها علاقة في تثبيت المركب عند إرسائه وارتفاعه عند سيره .

هذه هي أهم وسائل إجراء الأطول التي كان يستخدمها العرب في مراكبهم . وهي وسائل مهمة بالنسبة للزمن والصمود التي نعت بمدها . وفي أحكام صنعها وضبط استعمالها يتوقف نجاح الأطول وتطوره في أعماله الحربية البحرية . - ولنتفضل الآن للبحث عن دور الصناعة .



## الباب الثالث دار الصناعة

### مقدمة

يقول لامنس ان الكلمة الأفرنسية والآسبانية Arsenal والقالية Darsenale والبرتغالية Arzenal والاطليانية Arzenale, Arzena آتية من الكلمة العربية الصناعة او دار الصناعة ١ . وقد اخذ الآوربيون هذه الكلمة من العرب واعادوها لهم بواسطة العرب بلفظ اخر وهو الترسانة او الترخانة فظنوا البعض انها كلمة اوروبية في حين انها عربية من اصل عربي . قال زيدان " ويراد بدار الصناعة عندهم ( العرب ) ما نعبر عنه اليوم بالترخانة وهما متحولتان عن تلك لأن الفونج لما دفعوا بلادهم العرب كان في جملة ما اقدموه عنهم صناعة المراكب كما اتعبها العرب من احتلالهم . وسمي الاسبان دار الصناعة Darsenah واخذها عنهم ماثر لغات اوربا فتقلبت بالنعث حتى طارت ارسنال Arsenal واخذها العرب عن الاسبان Tarsanah بطريق التركية فظنوها تركية لعمريها عربي خانه وهي اولي ان تسمى دار الصناعة ٢

ان في تطور هذه الكلمة وانتقالها من اللغة العربية الي اللغات الأجنبية وعودتها بشكل آخر عن طريق الأتراك وقبولها العرب لها بشكلها الجديد أن يعرفوا اصلها العربي لدليل واضح علي ادوار الأنطاطا التي مرت بها اللغة العربية والعرب انفسهم في العهد التركي واليهود التي تبعته حتي انهم جهلوا ماضيهم الزاهر الذي خلفه اجدادهم لهم ونسوا ما ترك لهم اباؤهم من اصلاحات فنية ومآثر علمية في فنون البحر وغيرها من العلوم . وظنوا ان كل ما وصل اليهم عن طريق العرب او الأمم الأخرى هو من مخلفات هذه الأمم مع ان اولئك اخذوا شيئا كثيرا من تراث العرب القديم . ويعرف ابن معاني الصناعة بقوله " صناعة المماثر فيها تنفق المراكب ولها مستخدمون يستعدون ما يحتاج اليه ويطلبون لهم المال والأصناف ويسترفعون منهم الحسابات . وفيها ما يباع من حطام وغيره ويورد حسابا تامهم " ٣

اما الميريزي فانه يعرفها بوجهيها اللغوي والفني فيقول " لفظ الصناعة بكسر الصاد مأخوذ من قولك صنعه صنعا فهو مصنوع . وصنيع عمله واسطنته اخذه . والصناعة ما يستمنع من امر . هذا اصل الكلمة من حيث اللغة . لها في العرب فالصناعة اسم لمكان لا اعد لأنشاء

١ - ملاحظات لامنس من ٢٧ 366 The Orient 2 / ٢ - العبدن ح ١ من ١٩٥٠ وحقايل الأخبار ح ١ ص ١٥

٢ - قوانين الدواوين ص ١٦



## المراكب البحرية التي يقال لها الفن " ١

فالصناعة اذن مكان تصنيع فيه المراكب وفيه عمال يستخدمون يقومون بالاعمال الضرورية من بناء وانشاء للسفن والمعدات الضرورية لها ويتناولون مرتباتهم واجورهم من اموال الدولة وقد قصت الكذب عن دار الصناعة التي ولاية فصول

الفصل الأول - المواد المستعملة في بناء الأطول .

الفصل الثاني . - كيفية صنع المراكب .

الفصل الثالث . - مراكز دور الصناعة .

## الفصل الأول

### المواد المستعملة في بناء الأطول

ان المادة الرئيسية لبناء الأساطيل هي الخشب . اذ ان هذه الصناعة تعتبر من نوع " التجارة " كما يقول ابن خلدون ٢ فالخشب هو الأساس في تركيب المراكب وصنعها . الا ان وصل الألواح بعضها ببعض وتكوينها بشكل خاص يحتاج لربطها بمسامير من حديد او بالحبال بعض الأختار الخاصة .

واخيرا تغطي هذه المركب بمادة تحميها من الفساد وهي اما القار او دهن القرص او مواد اخري غيرها سأتكلم عنها . وفي بحث مواد بناء الأطول سأتكلم عن هذه الأنس الثلاثة

الخشب والحديد والقار

### الخشب

منذ ان فكر المسلمون بتأسيس أطول بحري حابهم مشكلة الأخشاب ووجودها في البلاد . وفي خلال العصور الإسلامية كلها نلاحظ ان هذه المشكلة هي الرئيسية في صنع المراكب . لذلك نجد ان معظم مراكز دور الصناعة كانت تبني في الأماكن التي يتوفر فيها الخشب .

فقد اسس الأمويون مراكز صناعاتهم كما سنرى في الساحل السوري نظرا لتوفر الأخشاب فيه

فقد كانت الجبال الممتدة على طول هذا الساحل مغطاة بالغابات وكانت اشجار هذه الغابات تصير

تعدد الي الوفور والتي دور الصناعة . واهم انواع الأخشاب العالية لبناء الفن هو المنوبر

يذكر ابن خلدون عن حصن القينات بالقرب مدينة الاسكندرية ما يلي " وكذلك القينات حصن كان على



على شط البحر فيه مقصع يلحسب الصنوبر الذي كان ينقل الى الشام ومصر والشغور منه  
 مالا يحمى " ١ ويقول صالح بن يحيى ان سلاطين الممالك كانوا يعمرون مراكب —  
 الاسطول من احراج بيروت ٢ . اما في غرب المملكة الاسلامية في الاندلس فقد كانت  
 الحالة نفسها . ان دور الصنافة كانت مؤسسة في مناطق الاخشاب او في امكة  
 قريب منها فقد كانت المراكب تنشا في نرسونه بقرن ابن عبد المنعم " انشاء المراكب  
 الكبار من خشب جبالها وجبالها خشب الصنوبر الذي لا يوجد له نظير في الطول  
 والغلظ ومنه تتخذ الصواري والقرى وهو خشب احمر صافي البشيرة بعيد التغير لا يفعل  
 فيه السوس ما يفعله في غيره من الخشب ٣ . وهي كثيرة شجر البقس ٤٠٠٠ وخشبها  
 الصنوبر له خاصية في الخوذة تفوق جميع خشب الامصار " ٢ . كذلك كانت مدينة  
 القصر بالاندلس مشهورة بشجر الصنوبر وبها الانشاء الكثير ٤ . وبجانب مدينة شنتمره  
 بالاندلس يوجد جرائر في البحر بنيت فيها شجر الصنوبر ولذلك كانت داره صنافة  
 للاساطيل ٥ . كما ان جزيرة يابسه بنيت فيها الصنوبر الجيد العود للانشاء  
 وعدة المراكب ٦ . وكذلك بجابه بها دار صنافة للانشاء الاساطيل والمراكب والسفن —  
 والحرايب لان الخشب في اوديتها وجبالها كثير موجود ويجلب اليها من اقاليمها  
 الزيت البائع الجودة والقطران وبها معادن الحديد الصلب موجودة ٧ .  
 اما في شرق المملكة الاسلامية في العراق فكانت الاخشاب قليلة لذلك كانوا  
 يأتون بها من الاطراف المجاورة مثل من مدينة بوشنج التي يقول عنها الاصطخرى  
 " وبها من اشجار العرصر ما ليس لجميع قراسان في بلد ويحمل هذا الخشب الى  
 سائر النواحي " ٨ . ثم من الهند يأتون بخشب الساج الهندي وهو من احسن

---

١- صورة الارض ج ١ ص ١٨٢ والاصطخرى ص ٦٢ / ٢- تاريخ بيروت ص ٣٤ /  
 ٣- الروض ص ١٢٤ والادريسي ص ١٩٠ / ٤- الروض ص ١٦١ / ٥- نفس المصدر  
 ص ١١٥ / ٦- نفس المصدر ص ١٦٨ / ٧- الادريسي ص ٩٠ / ٨- الاصطخرى  
 ص ٢٦٨ .



انواع الخشب ١ كما ان اهل عمان يأتون من جزائر الهند بخشب النارجيل الذي يفرسه بعض نساك الهند للاجر ويقدر لنا سليمان التاجر عن سبب زرع هذه الاشجار وجلبها بواسطة تجار عمان بقول " وبالهند عباد في شرايعهم يقصدون الجزاير التي تحدث في البحر فيغرسون بها النارجيل ويستنبطون بها المباء للاجر ٠٠٠ وعمان من يقصد الى هذه الجزاير التي فيها النارجيل ومعهم اذن النجار وغيرها فيقطعون من خشب النارجيل ما ارادوا فاذا جف قعم الواحها ويقتلون من لبف النارجيل ما يخرزون به ذلك الخشب ويستعملون منه مركبا وينحتون منه ادقالا وينسجون من خوصه شراعا ومن لبفه خرابات وهي القلوس عندنا فاذا فرغوا من جميعه شحنت المراكب بالنارجيل فقصدها عمان فبيع وعصمت بركته ومنفعته اذ كان جيب ما يتخذ منه غير محتاج الى غيره " ٢ وبالحق ان هذا النوع من الشجر وهو النارجيل كان لوحده لعمل المراكب ولا يحتاج لصنع الجلاب لغيره فعنه يؤخذ الخشب والحبان والاشغال والاشرفه وكل ما يحتاج اليه لصنع تلك الجلاب .

اما في مصر فالخراج موجودة في الوجه القبلي وبعضه ابن ماتي مواطنها فيقول " بالبهنساء في سفك رشين ، وشبال ، وشطال ، وبالشومنين ، وبالسبوطيه وبالاخمعيه ، وبالقوسيه " ٣ ويقول المقرئ عن هذه الخراج انها " اشجار من سنط لانصي كثرة " ٤ وفي مدينة انصا من حميد مصر على شاطئ النيل الشرقي يوجد اشجار البنج قال ابو حنيفه الدينوري " ولا ينبت البنج الا بانصه وهو عود ينشر منه الواح للسفن وربما ارفعنا ناصرها وباع اللوح منها بخمسين دينار . وكان او نحوها واذا شد لوت منها بلوح وطرح في الماء ستة ايام صار لوحا واحدا " ٥ وكان في جزيرة الروضة بالنيل بعض الاشجار التي قطعها الملك الصالح نجم الدين ابوب بقول المقرئ " ٠٠٠ فانه لما عمر الملك الصالح مناظر قلعة الجزيرة قطعوا النخيل ودخلت في العماير . واما الجميز فانه كان بشاطئ بحرا النيل صف جميز

١- الحضارة الاسلاميه ج ٢ ص ٢٨٠ / ٢- سلسلة التواريخ ص ١٢٠-١٢١ / ٣-

٣- قوانين ص ١٢ / ٤- الخطوط ج ٢ ص ١١٤ / ٥- نشر المصروع ١ ص ٢٠٤ وفي

الحضارة الاسلاميه يقول ان الدينوري في كتابه النبات الذي نقل عنه المقرئ يقول شجر البنج تحرقها المقرئ الى بنج هاس ص ٢٦٤ /



يزيد على أربعين شجرة . قطعت جميعها في الدولة الظاهرية وعمر بها شواني  
عوض الشواني التي كان قد سيرها الى جزيرة قبرص \* ١ .  
وفي زمن السلطان صلاح الدين كانت احرا الوجه القبلي من الديار المصرية  
محمية ومحمولة بقول ابن ماتي \* ولم تزل الاوامر السلطانية خازنة بحراستها -  
وحمايتها والمنع منها والدفع عنها وان توفر على عائل الاساطيل المظفرة . ولا يقطع  
منها الا ما تدعو اليه الحاجة وتوجده الصلوة \* ٢ الا انه لما انحطت الدولة اهل  
امر هذه الاحراج فقطع منها الشيء الكثير بصف ابن ماتي الاقسام التي قطعت  
وتعجب من كثرة ما بقي منها بقول \* ٣ الا ان الولاة والمقطنين وجهوا اليها ونحو  
منها فقتلوا اشجارها ومحو اثارها حتى لم يبق بقوس منها الا مالا يؤبه به والا  
ملا يعتد به واما حراج البهنا فانه كان ورد علي كتاب كريم من السلطان رضي  
الله عنه وسقى عهده وروى لحدده بان اندب اليها من يكشف عما استفاد المقطعون  
من ارضها فوجدت المأخوذ منها ثلاثة عشر ألف فدان . ولا يتعجب من تعددهم  
على مثل . ذه الجملة بل يتعجب من حراج يتحيف من جملة ارضها ثلاثة عشر ألف  
فدان ولا يؤثر ذلك فيها \* ٤ وبالرغم من كثرة الاخشاب في زمن صلاح الدين فقد  
كان يسمع لموظفي الديوان ان يقابلوا التجار بدلا عن البضائع التي يأخذونها من  
مصر بالخشب والحديد بقول ابن ماتي \* ويورد اصل ثمن هذا النيب من جماعة  
ارتفاع المتجر على عادة جنات وقاعدة استقرت والذي يشتري بالمتجر الخشب والحديد  
وحجارة الطواحي والبياض فاما غيره فلم تجر العادة به الا ان يؤمر المستخدمين به \* ٥  
ولما اشتدت وطأة الصليبيين على البلاد واضطر الاربين والمعاليك لبناء -  
الاساطيل لرد غائلة هذا العدو المهاجم كثرة الحاجة للاخشاب واضطر بعض السلاطين  
لقطع بعض اشجار البساتين بقول ابن تغري بردي في حوادث سنة ٨٦٣ \* وقطع  
سنقرق شبق اشجار البساتين بالبد العاسفة واخذها بفقر ثمن حتى انه خرب عدة  
بساتين وفعل فعال من لبست في قلبه رافة ولا رحمة \* ٥ ثم يقول \* ولم تهتج الناس

١ - الخطوط ٢ ص ١٨٥ / ٢ - قوانين ص ١٢ / ٣ - نفس المصدر ص ١٢ / ٤ - نفس  
المصدر ص ١٢ / ٥ - حوادث ج ٢ ص ٢٢٥ وايضا النجوم مجلد ٧ جزء ٢ ص ٥٤٦  
وبدائع الزهور ج ٢ ص ٦٢ .



لنزول السلطان ولا لنظر المراكب ذلك الابتهاج الزائد الذي هو عادة العوام في  
أدنى شيء . . . وما ذاك إلا لما طرق الناس في عمل المراكب المذكورة من الظلم  
والعسف واخذ أموال الناس واخراب البساتين وقطع أشجارها واخذ أخشابها بغير إذن  
ولا مقابل وأيضا ظلم الصناع في عمل المراكب من النجارين والشاربين والقلاطنة وأرباب  
البصائع التي تحتل إليها المراكب وهي أنواع كثيرة \* ١ وفي سنة ٣٨٦ هـ أحرق  
الروم الأسطول الراسي في ساحل القدر فاستأمر عيسى بن نسطورس وزير الخليفة العزيز  
بالله إلى بناء مراكب جديدة عوض التي احترقت ويقول القزويني \* وأمر عيسى بن نسطورس  
أن يعد للوقت عشرون مركبا وطوى الخشب وطلب الصناع رجالا في الصناعة وجد الصناع  
في العمل . . . وجد عيسى بن نسطورس في عمل الأسطول وطلب الخشب فلم يجد  
عند أحد خب علم به إلا أخذه منه \* ٢ ويقول يحيى بن سعيد الأنطاكي أن الحاجة  
للخشب أحوجت ابن نسطورس حتى لقلع سقف دار الصرب في مصر فهو قوس \* حتى —  
قلعت صوار كبار كانت مسقفة على دار الصرب بمصر بجانب دار الشرطة وفي البيمارستان  
الذي في سوق الحمام ونشروا جميعها وأعدوا أسطولا آخر \* ٣

وقد اضطر السلاطين في مصر إلى استيراد الخشب من سورية لبدا الأساطيل  
فاستورد بلنغا سنة ٧٦٧ هـ الأخشاب من البلاد الشامية والحلبية يقول ابن تغري بورد  
\* وهذا بلنغا في عمارة المراكب وبعد مراسيم إلى سائر البلاد الشامية والحلبية بإخراج  
جميع النجارين وكل من يعرف بحسب منشأه ولا يترك واحد منهم وكلهم يخرجون  
إلى جبل شغلان وهو جبل عظيم فيه أشجار كثيرة من السنوبر والقرد ونحو ذلك وهذا  
الجبل بالقرب من مدينة أنطاكية وأنهم يقصعون الألواح وينشرون الأخشاب للمراكب  
ويحملونها إلى الديار المصرية فامتلأ نائب حلب ذلك ونعم ما أمر به ووقع الشروع في  
عمل المراكب \* ٤ وفي سنة ٨٦١ زمن الملك الأشرف إينال العلاني \* سافرت الأمراء  
المعينيون إلى الجوز بئر التركية لأجل قطع الأخشاب \* ٥ ومنطقة الجوز من أغني

١— حوادث ج ٢ ص ٢٤١ / ٢— المخطوط ج ٢ ص ١٩٦ / ٣— الحضارة الإسلامية  
ج ٢ ص ٣٦٤ نقل عن يحيى بن سعيد الأنطاكي ر ١١٣ / ٤— النجوم ج ٥ ص ١٩٥  
٥— نفس المصدر ج ٧ قسم ٢ ص ٤٨٧ وص ٤١٢ وفي حوادث ج ٢ ص ٣١٧ وبدائع الزهور  
ج ٢ ص ٥٩ .



البلاد بالاختشاب وبالرفم من ذلك فلم تكن هذه الاختشاب جميعها تسد حاجة  
المالبيد في بناء المراكب لذلك اضطروا الى ان يستوردوا الاختشاب من الامم -  
الخارجة من سلطانهم حتى والمعادية لهم . ففي سنة ١١٦ هـ ارسل السلطان  
قلانصوق الغوري يوش المعادني الى ملك انور عثمان ليشتري له خشبا وحديدا  
ويارودا لعمارة المراكب وتجهيزها فارسل له طلبه دون مقابل ١ وكان السلاطين  
يستوردون الاختشاب لبناء السفن من البندقية وخط التجارة قائمة بين الطرفين  
من القرن العاشر حتى القرن التاسع عشر ويقال ان مصر كانت تستورد الخشب  
الذي تصنع منه اشعة السفن الجارية في النيل من الغابات السوداء بالمانيا في  
وقتنا هذا ٢ وقد احتج امبراطور البيزنطي لدى الدوج على بيع البنادقة الاختشاب  
لاعدائه المسلمين فامر الدوج بايقاف بيع الخشب للعرب ولم يسمح الا بامدادهم  
بالخشب الذي لا يصلح لانشاء السفن . ولهذا شرط ان يكون من البنج -  
والسندبان على ان لا يتجاوز طول اللوح خمسة اقدام وعرضه نصف القدم ٣ .  
وقد اثارت مشكلته تصدير الاختشاب زوال الحديد من قبل البنادقة والجنوبيين  
وغيرهم من الامم الاوربية لمصر والمتاجرة مع اهلها واستيراد البضائع منها حيثظة  
الباباوات . ان الامم الاوربية داخلة في حرب صليبية مع المسلمين وهؤلاء  
التجار يجلبون المواد الحربية لاعدائهم ويقعون بها شوكتهم وليس فقط يأتون بالمواد  
الحربية بل يأخذون ايضا حاصلات البلاد والبضائع التي تأتي من الهند وبوسيون  
بذلك ثروة المسلمين لذلك منع الباباوات المتابعة مع مصر والاقوام والشعوب العربية  
السائكة في انحاء الاندلس ومع البربر والاتراك والتتر الذين لهم علاقة مع المسلمين  
وذلك لسببين اولا ليمنعوا عنهم المواد الحربية ثانيا ليعصفوا الحركة التجارية في  
هذه البلاد وليقتلوا الثروة العامة . وهذه الفكرة قادت البابا نقولا الرابع ان ينشر  
حرما كسبيا في سنة سقوط عكا لكل من يتعامل مع البلاد الخاضعة لحكم السلاطين .  
ومنع تصدير جميع انواع الاسلحة والخيل والحديد والخشب والعباد ( المالبيك )

١- بدائع الزهور ج ٤ ص ١١٦ / ٢- هامش الحضارة الاسلامية ج ٢ ص ٣٦٤ /

٣- نفس المصدر ج ٢ ص ٣٦٤ .



وغير ذلك من المواد وأعلن أن كل مخالف لهذا الأمر <sup>١٢٠٣</sup> بتعريض لفظ المعصية معه إلا  
أولا وحرمانه الأبدى من الحقو المدنية والدينية فار يور ولا تقبل وصيته وقد جدد  
البابا هذا المنع ثانية في منشور بابوي وجهه للجنوبيين منع فيه هؤلاء التجار من زيارة  
البلاد العربية مطلقا . . وقد وجد الجنوبيون هذا المنع شديدا عليهم لذلك حدد  
البابا المواد التي يمكنهم المتاجرة بها . . وقد سبق هذا انحرافا بأشد غلوائه  
من قبل البابا Boniface VIII ( ١٢٩٤ حتى ١٣٠٣ ) وفي زمن Benoit XI  
( ١٣٠٣ - ١٣٠٦ ) فالأول شدد المنع على المواد الحربية والثاني حتم على البنادقة  
أن لا يصدروا لعصر من المواد إلا المختومة بختمه . ولكن التجار بدأوا يتلاعبون بالاختام  
لذلك عندما استلم البابا Clément مركز البابوية أعلن سنة ١٣٠٨ أن كل جماعة  
دون استثناء معن عنها بالمنع تقع بإيدى الصليبيين تتأدرو ويؤخذ ادحياتها عبيدا  
لص ضيقتهم وتؤخذ البضائع المصادرة للمحاربين الصليبيين . . . .  
تلك هي مشكلة الاخشاب الطاء الحبيوة في بناء الاساطيل التي ازداد -  
تأزمها في زمن الصليبي حتى اثارت نعمة الباباوات الذين حاولوا جهدهم لعدم  
تصدير الخشب للمسلمين .

### الحديد

الحديد هو المادة الرئيسية الثانية في تركيب المراكب وبنائها إلا أن أهميته  
أقل ولا شك من أهمية الخشب لاسيما وأن كثيرا من المراكب لا تحتاج في بنائها  
للحديد بل يستغنى عنه بامرا القنبار والبال الفارجيل وامثال هذه المواد التي  
كانت تخبض بهذه السفن كما سيمر معنا في الكلام عن صناعة السفن . واما الدليل  
على أن الحديد كان يعمل في المراكب العربية فهو قول صالح بن يحيى " ولما  
توفي بلبغا العمري في ليلة الأحد العاشر ربيع الآخر سنة ٧٦٨ هـ ١٨٦٧ م بطلوا  
العمارة في المراكب المذكورة ولم ينزل منهم إلى البحر سوى حاملتين كبار . . .



ثم بقوا بعد ذلك في ساحة بيروت حتى ظلموا . وكذلك تلف بقية الشواني التي لم تنزل إلى البحر تحت المسطبة المذكورة . وكان قد صرف عليها ما نضم فذهب ضياعا لم يستفد منهم . وى الحديد بعدما اخذت الناس منه شيئا كثيرا " ١ . والكلام عن الحديد لا يتعدى القول انه كان في البلاد الاسلامية بعد مناجم لهذا المعدن ولا يمكنني تعداد جميع مناجم الحديد الموجودة في البلاد الاسلامية لانني لم اتعمد جمع الاخبار عنها وانما لدى بعض الاشارات التي مررت بها عرضا في بحثي عن الاسطول ومن ذلك ان بني الاغلب كان لهم مناجم للحديد في مدينة بلعم من جزيرة صقلية يستخرجون منه ما يسد حاجتهم لصنع المراكب ٢ كما انه كان في افريقيا مناجم كثيرة للحديد يذكر ابن حوقل بعضها عند ذكر مدينة مجانة " ٣ . قلا مجانة مدينة ذات سور من طابيه ٤٠٠ . وبها معادن حديد وفضة " ٤ كما انه يشير إلى وجود مناجم للحديد في مدينة بونه بقول عنها عند كلامه عن المغرب مايلي " ومدينة بونه وهي على البحر وبها معادن حديد كثيرة ويحمل منه إلى - الاقشار الغزير الكثير " ٥ وقد كانت جزيرة شلطيهر من جزائر الاندلس كبيرة بصناعة مراسي الحديد التي ترسي بها السفن " ٦ .

لاشك ان البلاد الخاصة للحكم الاسلامي كان فيها مدن الحديد وان مناجم مبنوثة في الجبال هنا وهناك رار العرب استخراجها حاجتهم منها وبالرف من ذلك فقد رأينا ان الخلفاء والسلاطين في عهد المماليك استوردوا الحديد من الخارج ولا حاجة لاعادة النصور التي ذكرتها عند البحث عن الخشب التي تبين ان العرب استوردوا الحديد من مناطق مختلفة لصنع الاسلحة وبناء الاسطول .

### القار :

القار مادة سوداء تظلى بها السفن ٦ وقد وصف الشعراء المراكب بسوادها الناجم بسبب طلائها بالقار فقال ابن الرومي :

---

١- تاريخ بيروت ص ٣٥ / ٢ - صورة الارض ج ١ ص ١٢٣ / ٣ - نفس المصدر ج ١ ص ٨٤  
٤- نفس المصدر ج ١ ص ٢٦ / ٥ - الروض ص ١١٠ / ٦ - المحيط مادة " قور " .



اليك ركبنا بطن جوقاء جونة      تغافل في درع من القار فام ١  
وقال ابو الطيب المتنبى يصف المراكب ويشبهها بالغيل الدم للون القار الأسود المطلية به يقول  
دم قوارسها ركات ابطنها      سكونة ويقوم لايها الألم ٢  
ويروي المقريزي عن محمد بن داود في قصيدة يذم بها احمد بن طولون  
له مراكب قون النيل راكدة      فما سوى القار للفظار والغضب ٣  
والقار موجود في عدة اماكن من البلاد الاسبانية اهمها مكان يعرف " بالقيارة " بحفرة من دجلة  
بالعانة الشرفي منها . ويمكن بين البصرة والكوفة ذكرهما ابن جند جبير وصفهما لنا بقوله  
" شأن القار عجيب يجلب من عين بين البصرة والكوفة وقد انبط الله ماء هذه العين ليقول  
منه القار فهو يصير في جوانبها كالصالحات فيجرب ويجلب وقد انقعد ٤ " ويقول ايضا " مرنا  
بموضع يعرف بالقيارة بحفرة من دجلة وبالعانة الشرفي منها وعن بعض الطريق الى الموصل فيه  
وحدة من الأرض سوداء كأنها محابة قد انبط الله فيها عيونا كبارا وصغارا تنبع بالقار وربما  
يذهب بعضها بحباب منه كأنها الفليان ويصنع له احوان يجمع فيها قواره هذه الصالحات منسطة  
علي الأرض اود امس قليلا وطها على الراشدة فذهب الصالحات فيلق بالأمم مع باول مهاجرة من  
اللعن وحول تلك العيون بركة كبيرة سوداء يملوها هذه الصالحات الرقيق اود حلفه الى جوانبها  
فيربسب قارا فتأخذنا عجبها كنا نسمع به فنتغرب سماعه ... وهم بهم جميع الهدد الى القام الى  
هكذا الى جميع البلاد العربية ٥ . نعم ان هذا القار يمدد لجميع الهدد ~~للهدد~~ لقطالي به  
المراكب الا ان هنا مواد اخرى تقوم مقام القار لدى المراكب وذلك اما لعدم توفر هذه المادة  
او بسبب بلاء ثمنها . من هذه المواد المواد التي تصنع بدل النار هم بصر انواع الحيقان  
الذي يسمى دهن القرد. يذكر سليمان التاجر العوت الذي تستعمل منه هذه المادة وكيفية استخراجها  
منه فيقول " والعيادون اذا نظفوا بها (الغال اي العوت) طرحوها في الشمس وطلوها لعمها  
ونظفوا له حفرا يجمع فيها الودك ويغرف من عيها اذا اذابنها الشمس الودك بالحرارة ويجمع  
فيبياع علي ارباب المراكب ويخلط باخلاط لهم يصنع بها مراكب البحر يد به عزها ويد ايضا  
ما يختلف من عزها " ٦ . ويذكر ابن جبير هذه المادة وانواع اخرى من المواد وهي السن  
ودهن الفروج فيقول " فاذا نظفوا من انشاء الحلبة علي هذه النفة طرحوها بالسن او بدهن الفروج  
او بدهن القرد وهو احسنها وهذه القرد حيث عليها في البحر يبتلع القرني فيه " ٧

١ - ديوان ابن الرومي ج ٢ ص ٤٠٥ / ٢ - العرب ص ٤٤٩ / ٣ - الخطاط ج ٢ ص ١٥٠ / ٤ - رحلة ابن جبير  
ص ٢٠٧ / ٥ - نفس المصدر ص ٢١٢ / ٦ - ساطعة التواريخ ص ١٤٠ / ٧ - رحلة ابن جبير ص ٤١ والخطاط



ويذكر المسمودي نوعاً من المواد التي تدهن بها مراكب اهل الهيرة وهو الشم والنودة يقول " ولد  
كان اهل الهيرة يردوا علي المعتمد في مراكب بحرية بمضى متحمه بالشم والنودة علي مالي بحرم" ١  
وهذه المادة ذكرها ماركو بولو عند وصف مراكب الهند فقال عن تركيبها " والملكب مفضحة مزوج من  
الألواح وهذه المذايح تنعم بمشمع معوي مزوج بمشاة الذنب من داخل الدفينة وخارجها . والعفاح  
متملك بواطة سامير حديدية . ولا تدهن هذه السفن بالقار اذ ان القار في هذه البلاد مفقود  
ولكن يدهن اهل الموكب بالمستعطر الآتي يؤخذ كل من حي من دقات ثور الذنب ويمزجان مع زيت  
مستخرج من بعض الأشجار والمجموع يشكل نوع من الدهان الذي يحافظ علي لزوجته بصورة دائمة وهو  
احسن من القار " ٢ فهذه المواد علي احدث انواعها تستعمل لطلي المراكب . اما لحفظها من  
الغث أو لد خرونها أو لعلوية اعوادها كما يقول ابن جبير " ومقدم في دهان الجلبة ليلين  
عودها ويراب لكره الصواب المعروضة في هذا البحر ( الدلزم ) " ٣ ويظهر ان القار كان يستعمل  
في طلي مراكب البحر المتوسط وبقية المواد كانت تستعمل في دهن مراكب البحار الجنوبية الأخرى .  
ولا في المواد الرئيسية في صنع المراكب وحفظها من الغث ولا غث ان بناء الأطول قائم  
عليها لأنها مادته التي يتألف منها . ولتر الآن كيفية صنع الملكب من هذه المواد .

١ - مروج ح ٤ ص ١٢٢ / ٢ - رحلة ماركو بولو ص ٢١٢ / ٣ - رحلة ابن جبير ص ٤١ .



## الفصل الثاني كيفية صنع المراكب

لما بدأ العرب صنع الأساطيل وتاسس دور الصناعة لم يكن لهم خبرة في هذه الصناعة لأنهم ليسوا أمة بحرية ولم يتقنوا ركوب البحار سابقا لذلك استعانوا بالعلم الأجنبي في صنع مراكبهم<sup>١</sup> وتلقب كل ذي صنعة اليهم بمصانع صناعته<sup>٢</sup> كما يقول ابن خلدون . وهذه الصناعة تحتاج الي خبرة في الهندسة والى معرفة القناس في المقادير لأخراج الشيء علي وجه الأحكام لذلك لا يستغني فيها من الرجوع الي المهندس<sup>٣</sup> ولم يحن مدة طويلة من الزمن حتي نظم العرب هذه الصناعة واقنونيها واسود دورها لها في مختلف اصناف المملكة الإسلامية كما سنرى .

والفن التي صنعتها العرب علي قسمين منها فن صمارة ادخل في بنائها الصمار وهي فن البحر المتوطى ومنها ما كانت تغاط بحمال الليف كفن بحر القلزم والمحيط الهندي بها فيه الخليج الفارسي وكانت هذه الطريقة الأخيرة هي الطريقة المعروفة في انشاء السفن في القديم عند جميع الأمم<sup>٤</sup> وبما تكلم عن صناعة المراكب في كلا الطريقتين .

وصا يوليى له ان المقادير العربية قد ان يتحدثنا عن صناعة الفن الصمارة وكان ما مررت به في تراثي عن دور الصناعة ما هي الا ادارات للمراكز الصناعية دور القمص في وصف صنع الحفن والعملية التي تجري في تشكيل الطينة ثم ولقد مر الرحالة الكبير ابن بطوطة بمدينة الزمبون في الصين وشاهد انشاء السفن فيها ولعله من المستحسن ان اذكر ما زادده ليكون لنا فكرة عن انشاء المراكب في القرون الثامن الهجري او القرون الرابع عشر ميلادي وهو العصر الذي عاش فيه ابن بطوطة لنتعرف عن صنع السفن عند الصينيين تلك الأمة التي كان لها علاقة تعاونية مهمة مع العرب في ذلك الزمن . ولعل انشاء السفن عند ما بين الأمتين لا يختلف في اساسه كثيرا يقول " وكما ان انشاءها انهم يصنعون حائلين من الخشب يملون ما بينهما بخشب ضخام جدا موصولة بالمرش والطوا بمسامير ضخام طول الصمار منها قطعة اذرع فاذا القام الداعان بهذه الخشب صنعوا علي احداهما قعر المركب الاسفل ودفعوها في البحر واتوا عملها<sup>٥</sup> " .

فصحب قول ابن بطوطة كان يبدأ بفتح المراكب بوضع اساس او قاعدة من الخشب ثم يبني فوقها

١ - المقدمة ص ٢١١ / ٢ - المصدر نفسه ص ٢٤٣ / ٣ - الحارثية ج ٢ ص ٢٦١ ويقول سليمان التاجر " ان الخشب المغروز لا يكون الا للمراكب سيران خاصة ومراكب الشام والروم " . سورة غير مغرزة " سلسلة التواريخ ص ٨٨ ويقول المصمودي " الواح المراكب الطاح المعقبة المنخيلة بلبث النار جهل من مراكب قد عايت تقاذفت بها الأمواج من مياه الأبحار وهذا لا يكون الا في البحر العيشي لان مركب البحر الرومي والعربي كلها من مسامير الحديد " مروج ص ١٣٨ / ٤ - رحلة ابن بطوطة ج ٢ ص ١٤١



فرض المركب الأنفل ثم يدفع المحتوي إلى البحر وتكمل عملية صنع المركب في داخل البحر .  
وقد وصف ابن بطوطة المراكب التي تبني على هذه الصورة من أنها كبيرة جدا يقول عنها  
" ويكون في المركب منها اثنا عشر قلعا فيما دونها إلى ثلاثة وقلعها من قضبان الخيزران  
منسوجة كالبحر لا يحل لها ويدبرونها بحسب دوران الريح وإذا أرسا يركوها واقفة في مهب  
الرياح ويخدم في المركب منها ألف رجل منهم البحرية ستائة ومنهم اربعمائة من المقاتلة  
وتكون فيهم الرماة واصحاب الدوى والجوزية وهم الذين يرمون بالنفا ويجمع كل مركب كبير منها  
ثلاثة النظم والثاني والربطي ولا تصنع هذه المراكب الا بمدينة الزيدون من الصين او بمين  
كلان وهم مين الصين ... وعلى جوانب تلك الغشب يكون مداخلهم وهي كمنار كالمواري يجمع على  
على احدها العشرة والخمسة وعشر رجلا ينجقون وقوا على اقسامهم ويحاولون المراكب اربعة ظهور  
ويكون فيه البيوت والمخاري والفرد لا تبار والمصرية منها يكون فيها البيوت والسنداس وعليها  
الفتحاح بعدها صعبا ... والبحرية يمكنون فيها اولادهم ويمزجرون الفخر والهنول والزنجبيل في  
احواله خشب " ١

هذه الصورة لمراكب الصين التي يعدها ابن بطوطة فذكرنا بالمراكب العربية للخطول  
العربية التي ذكرناها سابقا فاعلم تلك المراكب العربية كانت تصنع على غرار الجنوة والمراكب  
الصينية . ولا يمكنني تأكيد ذلك ولكن يجب ليس سيطرة السابق لضعف مراكب الصين نود متى لنا  
السبيل عن كيفية انشاء السفن في ذلك الزمن الذي كان فيه ابن بطوطة .  
وقد ذكرنا ما هو ان يمد من حمار الصالية قد عبر مسطحة بظاهر بيروت اجناب المراكب  
عليها " وكانت المراكب تعمل بها على بعد من البحر " ٢

فالمراكب السطارية افون يبدأ بانشاؤها اولا قرب البحر على قاعدة او مسطحة . ويبدأ  
اولا ببناء نوى المركب او اساسه ثم يكمل الانشاء الى ان يتم . وعندما يلقى المركب في  
البحر . ان هذا الوقت لثناء السفن السطارية غير كافى ليهيئ لنا صورة تامة عن كيفية بناء  
السفن في دور الصناعة ولعل وصف بناء السفن المخيطة يكمل لنا الصورة ويوصلها امام اعيننا  
اكثر من قبل .

وصف الرحالة ابن جابر عند مروره بمدينة عذاب على بحر اللازم العذب المستعملة  
في ذلك البحر فقال عنها " والجذب التي يرفقونها في هذا البحر القوي ( القلزم )



ملففة الأنفاء لا يستعمل فيها مسار البتة إنما هي مغطاة بامراس من الدنباري وهو قشر جوز النارجيل يدرسون الي ان يغطي ويذبلون منه امرا ما يخطون بها المراكب ويخللون بها يدس من عبدان النخيل " ١ هذا وصف علم ذكره ابن جبير في وصف الجلبه لم يبين فيه كيف كانت تغطي الأخشاب بامراس الدنباري وقد اوضح ذلك بعض الشئ الرحالة ماركو بولو عند وصفه للمراكب هرموز في رحلته التي قام بها الي افغان قبلاي في الصين دلال " وتغلب الألواح بمنايه فائقة من نهاياتها بواسطة مغرز من الحديد ثم يدخل في القلوب مسامير من الخشب وتثبت الألواح بامراس مصنوعة من قشر جوز النارجيل ويوجد ان تبقي طويلا تحت الماء . ولا يستعمل القار لطلي قعر المراكب في هذا القطر بل يستعان عنه بزيت يستخرج من شحم السمك الممزوج بمققات قشر القنب الهالي . وهذه المراكب لها ماري ودفعة وطح . واحد فقط . وقبل ان تسفن بالخارج تغلي أولا بالجلود ويضع بعد ذلك الخيول فوقها وتضمن للهند " ٢

ففي هذا النص يبين ماركو بولو كيفية تغطى الواح المراكب وذلك بمشعب اطراف الألواح بعد ان تكون تركت في الماء طويلا حتي يلين عودها ثم يغطي هذه الألواح بامراس الدنباري وذلك بان تدخل هذه الامراس في القلوب ثم يدهن بشحم خاص بعد هذه القلوب وتغلي بجلود الحيوانات وتضمن بالخارج .

ويؤيد قول ماركو بولو السابق من ان الواح المركب تغرز من نهايتها بمغرز ثم يدخل في قلوب الألواح امراس لبث النارجيل ومهم الات النجار وغيرها فيقطعون من خشب النارجيل ما ارادوا فاذا جف قطع الواح ويعلقون من لبث النارجيل ما يخرزون به ذلك الخشب ويستعملون منه مركبا " ٣

وفي المتحف البحري الوطني بمدينة غرينوتش بآنگلوتري مركبان صنعا في القرن العاشر بمدينة سقط علي طريقة الخياطة وصفها مورلاند Moreland بوصف قريب لما تقدم ٤ . والمهم من الوصف هو انه يبين ان في تركيب ذبلك المركبين لا يوجد لهم مسامير من الحديد ولا من الخشب وان ما قاله ماركو بولو عن مسامير الخشب في تركيب مراكب هرموز ان هو الا تحليل من المترجم نكج عن غموض النص الفرنسي القديم اذ ليس هناك مسامير من اي نوع كان في المراكب المغطاة

- 
- ١ - رحلة ابن جبير ص ٤٩ والمقريزي ج ١ ص ٢٠٣ / ٢ - رحلة ماركو بولو ص ٤٨ - ٤٩ وقد انقل هذا النص العلم مورلاند وقابلته مع غيره من النصوص الكثيرة التي تصف هذا النوع من المراكب وبين ان المترجم قد صرح بالترجمة دون تدقيق وقد بحث ذلك مورلاند في المجلة الآسيوية الملكية ص ٢٨٥
  - ٢ - سلسلة التواريخ ص ١٣٠ / ٤ - A. S. P. ١٦٥ . ٥٢٠ . ٥ / نفس المصدر ص ٢٠ - ٢١ =



وقد علل المؤرخون عدم وجود المظهير في هذه المراكب المنيطة عدة تعاليل . فقال السعدي " ومراكب البحر الصيني لا يمتد فيها مسامير الحديد لأن ماء البحر يذيب الحديد فتكون السامير في البحر تضعف فأتخذ أهلها الخياطة بالليف بدلا منها وطابت بالصم والنورة " أما ابن جبير فيعمل ذلك بقوله " فإذا فزلوا من انشاء الجلبه سطوها بالسن او بدهن الخروع او بدهن القوس وهو احسنها ومقدم في ذهان الجلبه ليلين عودها ويرطب لكثرة الصاب المعترضة في هذا البحر ولذلك لا ينفون يعرفون فيه المركب المساوي " ٢ ويذكر ابن بطوطة نفس العمل عند وقف مراكب الهند والصين ويقول " لأن ذلك البحر ( الهندي ) كثير الحجارة فان كان المركب مسجرا بمسحور حديد مدر الحجاره فخذ فانكسر وان كان مفيطا بالاحبال اعلى الرطوبه فلم ينكسر " ٣ أما القسسي فيعمل عدم وجود السامير في هذه المراكب لسبب وجود جبال المظهير في البحر الغربي تجزب السامير اليها ٤ اما ما ذكره بولو فيعمل ذلك بقوله " ان الغيب قاسي جدا ولا يتطق لكي يدخل لكلك المسار فيه فعند المحاولة باذغال المسار فانه اما ان يعنى واما ان ينكسر " ٥

هذه التعاليل المختلفة لعدم وجود السامير في المراكب المنيطة تربطنا تعاليل المؤرخين في ذاك الزمن للحواث تعليلها يتناسب مع علمهم . فالهرم من ان بعض هذه التعاليل له وجهه من الصحة الا ان بعض الآخر خاطئ يخالف متطلب العلم الحديث . وقد كانت السفن متنوعة المنيطة والسماوية تصلح ان تلصق او حتى زمن طويل على استعمالها وذلك بان تجلب لدور الصناعة ومواد خياطة الآسام الغريبة فيها . وبعضها بالصم والنورة . اما المراكب السماوية فكانت تصلح بان توضع صفائح ثانية جديدة فوق الاولى ثم تطلّى هذه الصفائح الجديدة بالقار او بمادة شمعية . يقول ماركو بولو " وعندما يكون المركب قد استخدم في الأسفار مدة سنة او اكثر يوقف لتزوية اصلاحه . ويصلح غالبا بالواح من خشب توضع فوق الصفائح الاولى وتدهن هذه الطبقة الأخيرة بالصم والنورة . وكلما احتاجت السفينة الى الإصلاح تعاد العملية نفسها حتى يصير عدد الصفائح ٨ ستة . وبعد ذلك تصبح السفينة غير صالحة للأبحار والملاحة " ٦

هذه الكلمة خاتمة عن كيفية صنع المراكب السماوية والمنيطة تبين لنا فيها الاختلاف الكلي في بناء النوعين الذين يهتمان لفائتين مختلفتين تمام الاختلاف . فالمراكب السماوية يبنى بعضها للحرب والقتال في عرض البحار . اما المراكب المنيطة فاكثروا ما تعمل لعمل التجار ونقل بضائعهم من مكان لآخر . ولندكر الآن دور الصناعة التي كانت تبني فيها السفن .

١ - مروج ج ١ ص ١٢٨ / ٢ - رحلة ابن جبير ص ٤١ / ٣ - رحلة ابن بطوطة ج ٢ ص ١٥٠ / ٤ - الهدى والقاريخ ج ١ ص ٨٩ طبعة هوارج / ٥ - رحلة ماركو بولو ص ٤٨ / ٦ - نفس المصدر ص ٢٢٢ .



## الفصل الثالث مراكز دور الصناعة

كانت مراكز دور الصناعة هي مراكز الحط والآفلاق للأحطول . فقد كانت المراكب تخرج منها لغزو الأعداء وللعجن اليها عند اعتداد الريح او العودة من الغزو ١ وقد نسبت الكلام عن مراكز الصناعة الي قصة مهاجرت .

المبحث الأول عن مراكز الصناعة في بلاد الشام

المبحث الثاني عن مراكز الصناعة في الجزيرة السورية

المبحث الثالث عن مراكز الصناعة في افرقية

المبحث الرابع عن مراكز الصناعة في الأندلس .

المبحث الخامس عن مراكز الصناعة في مدنية .

وسأبحث مراكز الصناعة في كل قطر من الأقطار السابقة علي حدة .

### المبحث الأول

#### مراكز الصناعة في بلاد الشام

##### عكا وسيد

لعل أول دار صناعة بنيت في الشام كانت في عكا لهذا هذا البلد عن تأخير الأحطول البيزنطي الذي كان لا يتواني عن غزو مدن ساحل سوريا وإيقاع الضرر بمراكب المسلمين فوضع معاوية ابن أبي سفيان سنة ٤٩ هـ اسر الصناعة في الأردن بعكا . قال البلاذري " وحدثني محمد بن سيم الأنطاكي عن متابع ادركهم قالوا لما كانت سنة ٩٩ هـ خرجت الروم الي السواحل وكانت الصناعة بمصر فلما دأمر معاوية بن أبي سفيان بجمع الصناع والتجارين فجعلوا ورتبهم في السواحل وكانت الصناعة في الأردن بعكا " ٢ وما زالت عكا مركز الصناعة حتي زمن بني مروان فتنقل هشام بن عبد الملك الصناء الي سيد . ولعل سبب نقله اليها هو انه اراد ان يوسع الصناعة فاضطر الي ان يوسع حولها من الأبنية فاعترضه صاحبها وابي عليه أن يبيعه املاكه فاضطر الي نقلها لصد يذكر ذلك البلاذري ويقول " قال فذكر أمير الغلاب الأزدي انه كانت لرجل من ولد أبي ميمون بعكا ارحاء ومصغلات

١- ابن سني تواتر ص ١٩ و المسالك ص ٢٥٥ وابن خادون مقدمة ص ٢١١ وصحح الأعشي ح ٢ ص ٥٢٢ .

٢- فتوح البلدان ص ١٢٤ .



زاراده همام بن عبد الملك علي ان يهبه اياها فابي المصلي ذلك عليه فنقل همام الصناعة الي  
صور واخذ بمرور فندقا وصناعاته<sup>٢</sup> وقال الواقدي " لم تزل المراكب يهجا حتي ولي بنو  
مروان فنقلوها الي صور فهي بمرور الي اليوم " ٣٤٠ . ان هامين الرواهين السامقيين تعطينا فكرة  
عن مثل الغلفاء زمن بني امية وحين ان الملك الفضلي كان محترما ومقدس ينتظرون . فخليلة المسلم  
ينقل دار الصناعة من بلد لآخر لكي لا يعتمد علي حد المصلي وملكه . ان هذه العادة عظيمة  
بمرور لنا قيمة الفرد واصيحه في ذاك الزمن .

ويذكر الأستاذ كرد علي ان مدينتي طرابلس وحيفا كانتا تفارقا عكا وصور في صنع المراكب الا اني  
لم اعثر فيها فرائد علي ان هامين المدينتين كانتا مركزين للصناعة كما ان الأستاذ لم يذكر المصدر  
الذي اخذ عنهم . ويقول ايضا ان الأبنية القائمة بالعلاحة البحرية تسمى بالجودي اشارة الي طينة  
نوح التي <sup>البحر</sup> ~~البحر~~ علي الجودي في الجزيرة<sup>٣</sup> ٣٤١ . ومن مراكز صناعة السفن في بلاد الشام

#### بيروت

كانت بيروت مركز صناعة المراكب من زمن معاوية وذلك لغربها من عاصمة الأمويين وتوفر الخشب  
والملاحين في غربها . يقول صالح بن يحيى " قال ابن سعيد بيروت فرضة دمشق ويقال ان بيروت دار صناء  
دمشق وبها عمر معاوية المراكب وجهز فيهم الجيوش الي قبرس<sup>٤</sup> ٥ . ونجد انها كانت دار صناعة في  
زمن المماليك ففي سنة ٧٣٣ هـ ارشأ رجل الدولة في مصر ان يصنعوا المراكب في بيروت وان يستفيدوا  
من اخشاب غاباتها فامرسل السلطان مرسوما بهذا العمل وانتوا مراكب كثيرة يقول صالح بن يحيى  
" ولما اخذت الاسكندرية وكان الأمير الكبير يلبثا المصري المتكلم عن السلطان لعداوة سنة فرسم  
للأمير يهدم الفوارزمي بالتوجه الي بيروت ليحرقها من حرقها مراكب كثيرة حمالات وغواصي للدخول الي  
قبرس فحرق الي بيروت واختر صناعات كثيرة من سائر الممالك فكانوا جاءا بغيرها وتبل انه لم يصنع  
عمارة مثلها علما وغرفة وكثرة صناعات وقوة عزم<sup>٦</sup> ٥٠٠ " ٥ .

وقد كانت عادة المماليك عند حاجتهم لبناء مراكب للاسطول فحان يكلفوا ناصرا خاما يصيدون اليه  
للاشراف علي العمل وهذا الناظر الذي يكون غالبا اميرا من اكبر اعيان السلطان يقوم بالخدمة ويكو

<sup>١</sup> فتوح البلدان ص ١٢٤ / ٢ - نفس المصدر ص ١٢٤ والممالك فيه " وصور صناعة السفن " ص ٢٥٥

والبحر فيقول " وصور دار الصناعة " ص ٢٢٧ / ٢ - خط الشام ج ٥ ص ٣٩ و ٤١ / ٢ - تاريخ بيروت ص ١٩

٥ - نفس المصدر ص ٢٤ وخط الشام ج ٥ ص ٤١ .



جميع الأمور متروكة ومتعلقة به .وهو المسؤول مباشرة امام السلطان .  
هذه هي مراكز دور الصناعة في ساحل الشام .فما هي مراكز الصناعة في مصر ؟

## المبحث الثاني

## مراكز المناعة بمصر

## الأمكنة و دسباط

ووث العرب مقر الإسكندرية عند فتح مصر من البيزنطيين وأخذوها دار صناعة لأسلولهم يقول  
بيكو Beckus أن هذه المدينة كانت دار الصناعة الرئيسية زمن الخليفة عثمان بن عفان ٢  
ويقول حتي أن عبد الله بن محمد بن أبي سرج هو الذي وضع أسس هذه الصناعة في الإسكندرية وأسس  
الأسلول في مصر كما أسس معاوية الأسلول في الشام ٢ وعطل أبحار هذه الصناعة غاصة حتي زمن  
الفاطميين عندما يظهر الخليفة الفاطمي المعز لدين الله (٢٤١-٢٦٥) هـ علي مسرح الحياة في مصر  
ويحدث في الإسكندرية مراكب للأسلول يقول الطبري "وتوالت العناية بالأسلول في مصر منذ قدم المعز  
لدين الله وأنشأ المراكب العربية وأقعد به بنوه وكان لهم اهتمام بأمور الجهاد وأعداء الأسلول  
وواصلوا إنشاء المراكب بمدينة مصر والإسكندرية ودمياط من الشواني العربية والشلهديات والسطحات" ٤  
إذن في زمن الفاطميين لم تكن الإسكندرية هي المركز الوحيد للصناعة في مصر بل كانت

الصناعة أيضا في مصر ودمياط . واسمعت الصناعة في الاسكندرية هي / النوانى / المواليد / للصناعة / هي /  
ودمياط ومصر في زمن الأيوبيين يخبرنا بذلك ابن سراج فيقول " والصناعات الآن تدعى بمصر والاسكندرية  
ودمياط " ٥ وضعف امر هذه الصناعات بعد موت السلطان صدح الدين الأيوبي وحدها الي ان جاء  
السلطان بيبرس ( ٦٥٨ - ٦٧٩ ) هـ فاعتني بها من جديد وعمر فيها المراكب يقول المقريزي " ثم لما  
انقضت دولة بني ايوب وتملك الأتراك المالكية مصر اهلوا امر الأطول الي ان كانت ايام السلطان  
الملك الظاهر ركن الدين بيبرس الهندلاوي فنظر فى امر النوانى الحريمة ... وامر بعد النوانى  
وقطع الأخشاب لعمارها واقامتها على ما كانت عليه في ايام الملك الصالح نجم الدين ايوب واحترق  
علي الخراج ومنع الناس من العصف فى اعواد العمل وتقدم بسمارة النوانى في قفري الاسكندرية ودمياط  
ودمينا " ٦ فى هذا النص لا يذكر المقريزى صناعة مصر فلعلها توفقت او احملت وظل البناء فيها

١- بدائع الزهور ج ٤ ص ١٤٢ / ٢ - Cambridge 1952 / ٢ - تاريخ العرب ص ١١٧

٤- الخط ج ٢ مر ١٩٣ وخط الشام ج ٥ مر ٤٠ / ٥- قوانين من ١٩ / ٦- الخط ح ٢ مر ١٩٤ و ١٩٩ مر ١٢٩  
و الملوك ج ١ قسم من ١٢٣ .



ما سبق نستنتج ان هذه الصناعات كانت تنشط في ادوار ومهمل في اخري . فعندما نذكر الحاجة اليه الأسطول ينظر الخلفاء والسلاطين لبناء المراكب وعندما يلبثون الي هذه الدود ويجدون ما يولي منها وينفقون فيها المراكب من جديد .

وتكون هذه المراكز لدور الصناعة عامرة زاخرة بالمراكب عند قوة الدولة واغلبها وحيدتها التي تدفعها للدخول والتوسع في البر والبحر . اما اذا كانت الدولة متحلة داخلها ضعيفة بسبب استمرار الثورات والمنازعات بين الأحزاب او العناصر المتعددة التي تتآلف منها الدولة فان هذه المراكب الصناعية تهمل ويقل شأنها ويغرب بطل بعضها او ينقرض تماما وهذا ما يمل لنا ظهور دور صناعات جديدة وانعدام القديم منها .

### صناعة الجزيرة

يحدد المقريزي موضع جزيرة الروضة وصناعتها بما يلي " اعلم ان الروضة تطلق في زماننا هذا علي الجزيرة التي بين مدينة مصر ومدينة الجيزة وعرفت في اول الأسم بالجزيرة . وجزيرة مصر . ثم قيل لها جزيرة الحسن . وعرفت الي اليوم بالروضة ... وبها كانت الصناعة يعني صناعة الفخار العربي اي كانت بها دار الصناعة " ١

لقد تغير اسم هذه الجزيرة الواقعة في وسط النيل بحسب الأدوار المختلفة التي مرت بها ويظهر ان الصناعة قديمة العهد بها اذ ان الكندي يخبرنا بما يلي " بنيت بالجزيرة الصناعة في سنة ٢٣٥ هـ ويخبرنا المقريزي عن هذه الصناعة بقوله " وهي اول صناعة ضللت بفسطاط مصر بنيت في سنة ٥٤ هـ الهجرة . وكان قبل بنائها هناك غمامة فاعل تكون مقبلة اهدا معدة لحريق يكون في البلاد او هدم " ٢ ويقول المقريزي في مكان آخر " واول ما انشئ الأسطول بمصر في خلافة امير المؤمنين المتوكل علي الله ابي الفضل جعفر بن المعتمد عندما نزل الروم دسباط في يوم عرفة سنة ٢٣٨ واميرو مصر يومئذ عنبسة ابن احد فملكوها وقفلوا بها جمعا كثيرا من المسلمين وسوا النساء والأطفال ونصبوا الي تينيس . فقاموا بأشغالها فوقع الاهتمام من ذلك الوقت بأمر الأسطول وصار من اهم ما يعمل بمصر وانفذت الشواني برسم الأسطول وجعلت الأوزان لغزاة البحر كما هي لغزاة البر " ٣

ان في قول المقريزي هذا بعض الغرائب وقوله السابق فهو يقول ان اول صناعة بنيت في مصر سنة ٥٤ هـ ثم يقول ان اول اسطول انشئ بمصر كان سنة ٢٣٨ هـ اذن فلا شيء بنيت الصناعة الاولي سنة ٥٤ هـ

١ - الخط ج ٢ ص ١٢٨ / ٢ - صحيح الأعي ج ٢ ص ٣٣٩ / ٣ - الخط ج ٢ ص ١٩٩ والعمد ج ١ ص ١٩٩

٤ - الخط ج ٢ ص ١٩٠ - ١٩١ والعمد ج ١ ص ١٩٥ .



يجيب *van Berchem* علي هذا المؤل بقوله يظهر ان الصناعة التي بنيت سنة ٥٤ هـ كانت لصناعة المراكب النيلية التي تستعمل في نقل البضائع والركوب في النيل فحسب اما المراكب التي عمرت سنة ٢٢٨ هـ فهي مراكب عربية وهذا ما عدي بالمقريزي ان يقول "اول ما انشئ الاطول بمصر وكلمة الاطول لا تطلق الا علي المراكب العربية فقط كما راينا سابقا في تعريف الاطول .

لعل تعليق *van Berchem* صحيح اذ ان المقريزي في المرة الاولى يتكلم عن اول صناعة بنيت في مصر وفي المرة الثانية يشير الي اول اسطول انشئ بمصر والفرق واضح بين الصناعة والاطول .

وفي ايام احمد بن طولون ( ٢٥٤ - ٢٧٠ ) زادت العناية بالاطول ومن مؤسس الدولة الطولونية جزيرة الروضة سنة ٢٢٣ هـ وبني بها حصنها الذي كلفه نحو ثمانين الف دينار ذهباً خوفاً من المولى اخو الخليفة العباسي من ان يهاجم مصر ويقضي علي ملكه ٢ وقويت هذه الصناعة في زمن ابن طولون يشهد بذلك قول المقريزي " ثم اعتنى الأمير ابو العباس احمد بن طولون بانشاء المراكب العربية في هذه الصناعة واطافها بالجزيرة ولم تزل هذه الصناعة الي ايام الملك الأمير ابي بكر كعاد محمد بن طنج الأختيد فانما صناعة بمحافل فسطاط مصر وجعل موضع هذه الصناعة البستان المختار ٣ اذن بنيت صناعة الجزيرة في القرن الأول للهجرة ووسعت في زمن الطولونيين هـ ثم قلت اهميتهم بهنأ صناعة شهرها فسطاط مصر فهددنا المقريزي عن سبب نقلها في زمن الأختيد بن فهدول " الي ان قدم الأمير ابو بكر محمد بن طنج الأختيدي اميراً علي مصر من قبل الخليفة الرائي عوضاً عن احمد بن كيتلغ في سنة ٣٣٣ وقد كثرت الفتن فلم يدخل عني بن احمد السلمي ابو مالك كبير المغاربة في طاعته وضي ومعه يحكم وعلي بن بدر ونظيف النوعوي وعلي المصري الي القهوج فبعث اليهم الأختيد ساعداً من الكلثم بمراكبه فقاتلوه وقتلوه واخذوا مراكبه وركب فيها علي بن بدر وحكم وقداموا مدينة مصر اول يوم ذي القعدة فأرسلوا بجزيرة الصناعة وركب الأختيد في جيش ووقف حياهم والنيل بينهم وبينه فذكره ذلك وقال صناعة يحول بينها وبين صاحبها الماء ليست يثنى فأقام يحكم وعلي بن بدر الي آخر النهار وضوا الي جهة الاسكندرية وعاد الأختيد الي داره فاخذ في تحويل الصناعة من موضعها بالجزيرة الي دار خديجة بيت الفتح في صهيان سنة ٣٢٥ هـ ٤

اذن كان سبب نقل الصناعة من جزيرة الروضة الي فسطاط مصر لقفل ماء النيل بين حاضرة البلاد وبين دار الصناعة وبذلك لا يمكن أمير البلاد من الاتصال بها بجيشه الهري والدفاع عنها امام هجمات العدو او احد الفاترين عليه .

١ - *Corpus de Pt, Egypt Tome 2* P 167 / ٢ - النسطاج ٢ ص ١٢٨ / ٣ - نفس المصدر ج ٢ ص ١١٩

٤ - نفس المصدر ج ٢ ص ١١٢ والنظم الإسلامية ص ٢٥١ .



ويظهر ان الفاتحين الذين تاروا علي محمد بن طنج الأخشيدي قد احرقوا صناعة الجزيرة قبل مغادرتهم البلاد يقول المقريزي "وقد تمت الجماعة في مراكب ابن كلثم فارسوا بجزيرة الصناعة وصرفوها ثم حووا الي الاسكندرية وساروا الي بركة فقال محمد بن طنج الصناعة هنا خطأ وامر بعمل صناعة في بر (مصر) وبالرغم من انه انتقل الصناعة الي بر مصر ظلت المراكب تعمل في صناعة الجزيرة . يقول المقريزي " وكانت مراكب الأطول مع ذلك فقط في الجزيرة وفي مناعتها الي ايام الخليفة الامر بأحكام الله تعالى فلما ولي المأمون بن البطايحي انكر ذلك وامر ان يكون اثنا . الثواني والمراكب النيلية الدهوانية بصناعة مصر هذه ... فأمر اثنا . العربيات والفلنديات بصناعة الجزيرة " ٢

اذن قلت أهمية صناعة الجزيرة في العهد الفاطمي واصبحت الأهمية الكبرى لصناعة مصر وهي مصنع في صناعة الجزيرة بعض انواع من المراكب فقط كالعربيات والفلنديات ونوعية الأنواع تبنى في صناعة مصر . وفي زمن السلطان بيبرس اندثت المراكب في صناعة الجزيرة بعد ان تكسر قسم من مراكب الأطول في بحيرة قهرم ٣ . مما يدلنا ان صناعة الجزيرة ظلت علة عامرة من القرن الأول الهجري سنة ٥٤ هـ حتي عهد السالك سنة ٩٢٢ هـ . ولنتكلم الآن عن صناعة مصر .

### صناعة مصر

دلنا ان الأمير ابو بكر محمد بن طنج الأخشيدي (٣٣٣ - ٣٣٤) هـ الذي امر بنقل الصناعة من جزيرة الروضة الي بر مصر في شعبان سنة ٣٢٥ هـ ويروي المقريزي عن ابن زولاق ما يلي " وحكي ابن زولاق امير مصر وجري ذكر الصناعة فقال تكمن صناعة يكون مهننا وبينها بحر خطأ فاشارت الجماعة بنقلها فقال الي اي موضع فاردت ان اغير عليه بدار خديجة بنت الفرج بن خاقان ثم سكت وقلت (الأخشيدي يتكلم ) ادع هذا الإيادي لنفسه اذا ملكت مصر . فبلغت ذلك والحمد لله وحده " ٤

اذن كان الأخشيدي قبل ولايته مصر يريد مكان الصناعة بالجزيرة خطأ ويستعيب نقلها لساحل مصر القديم لموضع يعرف بدار خديجة امرأة الأمير احمد بن طولون مؤسس الدولة الطولونية ٥ ويردد المقريزي كثيراً رواية اشبه ما تكون بخرافة وهي مايلي " ولما اخذ محمد بن طنج دار خديجة كان يعرود اليها حتي وصلت فلما ابتدؤا بانشاء المراكب فيها صاحت به امرأة فقال خذوها فساروا بها الي داره فأخبروها بما ساء واستغبرها عن امرها فقالت امعت معي من يحمل المال فأرسل مصابجاعة الي دار خديجة هذه فدخلهم علي مكان استخرجوا منه عينا وودعا وحلبا وثمناها وعدة لا ذخائر لم يبر مثلها فصاروا بها الي محمد طنج . فطلب المرأة ليكادتها علي ما كان منها فلم يوجد فكان هذا

١ - الخط ج ٢ ص ١٨١ / ٢ - نفس المصدر ج ٣ ص ١٩٧ / ٣ - ابن بطوطه كتاب الانصار ص ١١٠  
٤ - الخط ج ٢ ص ١٨١ / ٥ - نفس المصدر ج ٢ ص ١٩٧ .



اول مال وصل الي محمد بن طنج بمصر " ١ . فمن تكون هذه المراكب ياتري لعلها من اصلوا  
بخدمته روج احمد بن طولون وقد عرفت هذا المال وغبرت به الأمير الجديد . ان هذا غير ثابت  
لأنه لا مصادر تدعوه وتؤيده ولكنه محتمل لأننا عرفنا ان تلك الدار التي اختارها الأخشيذ كانت  
من ممتلكات نوح اول امير اسس الدولة الطولونية . فهذه الأخيرة او ان عشت الكنز لا يكون الا لمثل  
تلك الأميرات الا اللواتي عشن في كنف ملك حكم نحو ستة عشر عاما في ارض مصر .

ولما ولي المأمون بن البطايحي ارض مصر استمر في صنع المراكب في هذه الصناعة ووسعها  
بان اضاف اليها دار الزبيب وانشا بها منظره لجلوس الخليفة في يوم تقديم الأسطول ووسعه  
يقول المقريزي " قال ابن المأمون وكانت جميع مراكب الأساطيل ما وثقا الا بالصناعة التي بالجزيرة  
فانكر الوزير المأمون ذلك وامر بان يكون انشا العواني وغيرها من المراكب بالدهوانية بالصناعة بمصر  
واضاف اليها دار الزبيب . وانشا المنظره بها واسمها بان الي الآن عليها . وقعة بذلك ان يكون  
جلوس الخليفة يوم تقديم الأساطيل ووسعها بالمنظره المذكورة " ٢ . ويذكر القلقشندي هذه  
الصناعة عند وصف ركوب الخليفة اليها يوم وفاة النيل فيقول " ويدخل من الصناعة - وهي يومئذ في  
غاية الصرامة وبها دهليز متعدد بمطابخ مفروقة بالحصر الصيداني مؤند بها - " ٣ . ويورد المقريزي  
علي ذلك بقول " .... وفيها ديوان الجهاد وكان يعرف في الدولة الفاطمية ان لا يدخل من باب الصناعة  
احد راكبا الا الخليفة والوزير . اذا ركبها في يوم فتح الخليفة الخليج عند وفاة النيل فان  
الخليفة كان يدخل من بابها ويقفها راكبا والوزير معه حتي يركب النيل الي المقباس " ٤  
وقد غربت هذه الصناعة حوالي سنة ٧٠٠ هـ ومار مكانها بمستانا يعرف بمستان ابن كيسان .  
ثم تدهر اسمه زمن المقريزي ومار يعرف بمستان الطواحي ويحدد المقريزي موضعه بقوله " وهو باول  
مراغة مصر تجاه غيطه البرق علي سيرة من يسلك من المراغة يريد الكفارة وباب مصر " ٥  
ولا اعرف سبب خراب هذه الصناعة ولعله نال من الخراب عن الأطماعات في ذلك البلاد واحمال  
الغلاطين لها .

### صناعة المنس

المنس محلة بظاهر القاهرة في بر الخليج الغربي . وكان عند وضع القاهرة هو هو ساحل  
النيل <sup>١</sup> ٦ اما سبب تسميتها بالمنس فيعطله القاني ابو عبد الله القاضي بما يلي يقول

١ - الخط ج ٢ ص ١٨١ و ص ١٩٢ / ٢ - نفس المصدر ج ٢ ص ٤٨٢ و ج ٢ ص ١٩٢ / ٣ - صحيح الأضي ج ٣ ص ٥١٧  
٤ - الخط ج ٢ ص ٤٩٢ / ٥ - نفس المصدر ج ١ ص ٤٨٢ / ٦ - نفس المصدر ج ٢ ص ١٢١ .



" انما سميت القدس لأن العاقر كان يتعد بها ومحاب المكس فقبل المكس فقبل المقدس... " ١  
وقد انشأ الفاطميين في هذه السحلة داراً للصناعة يصنعون بها سلعهم النيلية والعربية . وقد اختلف  
في اول من انشأها اذ ان المقريزي يروي عدة روايات تارة يقول ان المعز لدين الله الداطمي  
هو الذي بنىها واخرى يفكده يذكر ان ابنه المعز بالله هو الذي انشأها فهو يذكر عن ابن ابي ملي  
مايلي " قال ابن ابي ملي في تاريخه عند ذكر وفاة المعز لدين الله انه انشأ دار الصناعة التي  
بالقدس وانشأ بها صناعة مركب لم ير مثلاً في البحر علي مينا " ٢ . ويروي عن المسيحي المؤرخ  
المصري المتوفي سنة ٤٢٠ هـ مايلي " ان المعز بالله بن المعز هو الذي بني دار الصناعة التي بالقدس  
وعمل المراكب التي لم ير مثلاً فيها تقدم كبرا ووثاقه وحسن " ٣ . ارجح ان المعز هو الذي  
بني صناعة القدس اذ انه هو الذي اعطني باسم الأسطول وبناء المراكب وان ابنائه خلفوه في العمل  
وجروا علي سنته ٤ . والمقريزي يميل الي رواية ابن ابي ملي فيقول عند ذكر ساحل القدس مثلاً " وهذه  
انشأ الامام المعز لدين الله ابو تميم معد الصناعة... " ٥ فهو في هذه العبارة يؤكد ان الكوفي  
للمعز هو الذي بني هذه الصناعة وليس ابنه .

وفي سنة ٣٨٩ هـ احرق النصارى من الروم الأسطول الذي كان بصناعة القدس ومن الخليفة العزيز  
بالله وجري بسبب ذلك حوث داميه يذكرها المقريزي بقوله عن المسيحي فيقول " وقال في حوادث سنة  
ست وثمانين وثلثمائة وقعت نار في الأسطول وقت صلاة الجمعة است بغير من غير وبيع الآخر  
فاحرق خمس سفاريات وامت علي علي جميع ما في الأسطول من العدة والحدح واهبطوا الروم النصارى  
وكانوا ملحقين بدار مائت بجوار الصناعة التي بالقدس وحملوا علي الروم هم وجنود من العامة فنهبوا  
امعة الروم وقتلوا منهم مائة رجل وسبعة رجال وطرحوا جثثهم في اللوات واخذوا من بيتي فحس بصناعة  
القدس . ثم حضر عيسى بن نسطور خليفة امير المؤمنين العزيز بالله ... ومعه يانس الصقلي ... ومعها  
محمود الصقلي متولي الشرطة واخذوا الروم من الصناعة فاعترفوا بأنهم الذين احرقوا الأسطول... " ٦  
ثم ان اصحاب الشرطة جميعوا ما نهبت العامة وامر ابن نسطور ببناء مراكب غير التي حرق " وطرح  
الغضب وطلب الصناع وبات في الصناعة وجد الصناع في العمل... فلم يدع عند احد ختبا علم به الا  
اخذه منه " ٧ ولم يمض مدة حتي حارت المراكب تلوح بين يديه وبني مراكب غير التي احرق .  
هكذا انشأ اولاً الروم النصارى ونالوا جزاءهم من البحرية والعامة الذين نهبوا الأسطول الذي  
كانوا يعملون فيه ويفتخرون به . ثم حدثت الحالة بتدخل قوة الشرطة ورجال الدولة الذين عملوا  
بمناداة لتهدئة الحالة ولتبع الأطراب يقول المقريزي في ذلك ٧

( الخط ج ٢ ص ١٩٦ )

١ - الخط ج ٢ ص ١٢١ / ٢ - نفس المصدر ج ٢ ص ١٩٥ و ج ١ ص ٤٨٢ و ج ٢ ص ١٢١ والقدس ج ١ ص ٢٠٠

٢ - الخط ج ٢ ص ١٩٥ والنظم الإسلامية ص ٢٥ / ٤ - الخط ج ٢ ص ١٩٣ / ٥ - الخط ج ٢ ص ١٢١ / ٦ - الخط ج ٢ ص ١٩٥



ولانجد في المصادر عن هذه الصناعة بعد زمن الفاطميين عهداً فلعلها اهلكت في المصدر المتأخرة  
او انقرضت بانقرض الفاطميين او اتخذت اسماً جديداً في التاريخ . واني ارجح الرأي الأخير . لأننا  
اذا رجعنا الي المقريزي نجد انه بعد عدة اماكن تفككت في النيل بسبب الطمي التي تجرفه معها  
امواه النيل . وكأمثلة علي ذلك اعدد بعض هذه الأماكن علي قهبل العيشيل مثلا اذكر جزيرة القهبل  
التي يقول عنها المقريزي " وموضعها كله ما كان غامراً بالماء في الدولة الفاطمية فلما كان  
بعد ذلك انكسر مركب كبير كان يعرف بالقهبل وتروك في مكانه فربما عليه الرمل وانطرد عنه الماء  
فصارت جزيرة ... سماها الناس جزيرة القهبل " ١ واذكر ايضاً جزيرة اخرى وهي " الجزيرة التي عرفت  
بعلمية هذه الجزيرة خرجت في سنة سبع واربعين وسبعمائة ما بين بولاق والجزيرة الوسطي سمىها العامة  
بعلمية " ٢ . ولت هناك بمقفل في النيل بسبب الطمي وعلي العكس فان اماكن كثيرة تكون موجودة  
بساحل النيل فتزول وتندعم ومن ذلك ما حل بساحل المنس فالمقريزي يقول " فلما كانت ايام الملك  
الناصر محمد بن قلاوون وانصر النيل عن جانب المنس الغربي ومار ما هناك ومالا متصلة ... اذبح  
الناس باب الصارة بالقاهرة ومصر فعمروا في تلك الرمال المواتع التي تعرف اليوم ببولاق خارج  
المنس ... " ٣ وصناعة المنس هذه التي ذكرتها ارجح انها اتخذت اسماً جديداً وهو اسم المدينة  
الجديدة التي تأسست وهو اسم بولاق .

#### صناعة بولاق

ففي سنة ٩١٢ هـ يحدونا ابن اياس ان السلطان قانموه القوي نزل " وموجه الي نحو بولاق  
وكف علي المراكب التي عمرها هناك " ٤ ويقول في مكان آخر " وعدي من هناك ( قانموه ) الي نحو  
بولاق فكف علي المراكب ثم عاد الي القلعة ٥ . فليس من المستبعد ان تكون صناعة المنس  
السابقة التي دعيت لللم باسم بلدة المنس اصبحت صناعة بولاق نسبة الي مدينة بولاق التي تأسست  
مكان المنس .

#### صناعة الجزيرة الوسطي

يسمى المقريزي هذه الجزيرة باسم جزيرة اروي . ويصف لنا تاريخ نشوئها وتكونها فيقول " جزيرة  
اروي هذه الجزيرة تعرف بالجزيرة الوسطي لأنها فيما بين الروضة وبولاق وفيها بين بر القاهرة وبر

١ - الخطاط ج ٢ ص ١٨٥ / ٢ - نفس المصدر ج ٢ ص ١٨٦ / ٣ - نفس المصدر ج ٢ ص ١٨٥ / ٤ - هـ ٤ - هـ ٤  
الزهري ج ٤ ص ٢٤٢ / ٥ - نفس المصدر ج ٤ ص ٢٤٤



وبئر الجزيرة لم ينصرف عنها الماء الا بعد سنة سبعة مائة ... وبني الناس فيها "ور الجبلية والأشواق والأسواق والجامع والطاحون والفنون وغرسوا فيها البساتين وطفروا الآمالا ومارت من احسن مقتضاها معر ينف بها الماء ثم صار ينكشف ما بينها وبين بئر القاهرة فاذا كانت ايام زيادة ماء النيل احاط الماء بها وفي بعض السنين يركبها الماء فصر المراكب بين دورها وفي ارفعها ١٠٠٠ لا يذكر الممر يوتي ان في هذه الجزيرة دار صناعة ولكن ابن اياس يقول ذلك في حوادث سنة ٧٨٨ هـ "ومن الحوادث في هذه السنة ان الأتابك يلبس رسم بعمارة مراكب الغربة بسبب تجريدة فتوجه الي بئر الفرنج فان جماعة من الفرنج صاروا يعيشون في البحر ويقتنون الطريق على الال العجار فعين لهم السلطان تجريدة وانما مائة غراب. وسم للأمير طائفة الملاقي بان يكون شادا على عمارة هذه الأغربة فانما عمارتها في الجزيرة الوطنية . فلما كملت عمارتها نزل السلطان والأتابك يلبس الي الجزيرة الوسطي مفتوحان على القاشا في البحر فكان يوم نزول السلطان يوم مشهودا . فالتوا الأغربة تدامه ١٠٠٠ ٢ وفي حوادث سنة ٨٩٣ هـ يذكر ابن اياس ايضا ما يلي " حضر الي الأبواب العريضة جاكم بن ملك قهرم وطلب من السلطان ( اعوف اينال ) نجدة فعين السلطان معه تجريدة وكان يابى الصكر الأمير يونس الدوادار ثم ان السلطان شوع في عمارة مراكب اغربة بالجزيرة الوسطي وكان الشاد على عمارة هذه الأغربة الأمير سنقر بن شيخ الزودكان فحصل منه غاية الظلم لأرباب النبطان بسبب الاختباء لما كملت عمالارة تلك الأغربة نزل السلطان بنفسه وكتب على عمارة الأغربة وكان له يوم مشهود ونزل من القلعة في موكب عظيم وتوجه الي الجزيرة الوسطي فرموا بطلعه تدامه الأقرية في البحر والنفط والليل عمال حتى انتهى ذلك ثم رجع الي الداعة ١٠٠٠ ٣

تلاحظ مرة ثانية ان الملاطين كانوا يكلفون احد الأمراء بان يصعد امر انشاء المراكب وكان بعض هؤلاء الأمراء يظلمون الناس ويجبرون على المناع في اعجاز الخدمة التي انبثت بهم . وتلاحظ من جهة ثانية اهتمام الملاطين بامر الانشاء ونزولهم بانفسهم المناعة لتومي المراكب امامهم . وستعمل ذلك فيما بعد .

### صناعة الرشيد

الرشيد مدينة علي النيل قريبة من مصب فوفقه الي البحر ويحده هذه القرية وهي المدخل من البحر بالاشتوم ... ولها فصيل كبير ... وقد كان بها دار صناعة في زمن المماليك اذ ان ابن اياس يذكر في حوادث سنة ٩١٤ هـ ما يلي " حضر مراكب اغربة عددهم ستة وهم التي كان ناظر الخاص توجه الي رشيد بسبب عمارتهم فلما وصلوا ارسى بهم عند رأس الجزيرة الوسطي " ٥



لقد مر معنا ان المصالح كانوا يرسلون نظارا لدور الصناعة للأشرف علي بناء المراكب فابن اياس يذكر لنا ان نظرا خاصا كان في ميناء الرشيد يعرف علي عمارة المراكب مما يدلنا علي وجود دار صناعة في ذاك المكان .

### صناعة السويس

كان في ميناء السويس علي بحر القلزم ايام السلطان قانصوه الغوري (٩٠٦-٩٢٢) دار صناعة ارسل لها السلطان سنة ٩١٩ هـ جماعة من مصاليكه ليخبروا علي عمارة المراكب التي كان يقيمها هناك يذكر ابن اياس ذلك بقوله " وعين باشهم الأمير اركماس امير مجلس ومعه الأمير قانصوه ابو سنة احد المندسين وعين معهم جماعة من المصاليك السلطانية ورسم لهم بان يقوموا الي السويس ويقيمون به بسبب عمارة المراكب التي عمرها السلطان هناك . " ١

هذه هي الصناعات في بلاد مصر من القدم ازمان تحكم العرب لها حتي اواخر عهد المصاليك .

### المبحث الثالث

### مراكز الصناعة في افريقية

#### الصناعة في تونس

من القدم دور الصناعة التي منبت في الاسلام الصناعة التي منبت في تونس زمن الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان (٦٥-٨٦ هـ) تروي المصادر انه ارعز لعامله حسان بن النعمان ان يفتد دار الصناعة بتونس لأنشاء المراكب والآلات البحرية ليحافظ علي بلاده من جهة ولينابيع الجهاد في بلاد الأعداء من جهة اخري . يروي ابن خلدون والمقرئزي المصارة التالية " وارعز الخليفة عبد الملك الي حسان بن النعمان عامل افريقية بانقاذ دار الصناعة بتونس لأنشاء الآلات البحرية حرما علي مراسم الجهاد " ٢ نستدل من القول السابق ان دار الصناعة بتونس لم تكن لبناء السفن والمراكب كب نصب بل كان يعمل بها ايضا المعدات البحرية الضرورية لقطع الأطول .

#### الصناعة في سوسة وطنجة

يقول ياقوت " سوسة وهي بلدة مشهورة من توابع بلاد المغرب ومساها اجود مرسى علي البحر وهي علي بر البربر تقابل جزيرة الأندلس علي طرف الزقاق الذي هو اقرب ما بين البر والجزيرة وهي مدينة حصينة تشبه المدينة التي بافريقية علي ما قيل لأنها ضاربة في البحر داخلة كدخول كف

---

١- يدايح الزهور ج ٤ ص ٢٠٨ / ٢ - المقدمة ص ٢١١ والخط ج ٢ ص ١٩٠ وحفاي الأخبار ج ١ ص ١٥ والتمدن ج ١ ص ١٩٥ وصارفة العرب ص ٢٧ .



علي زند " ١ ويقول أيضا عن طنجة مايلي " اما طنجة فهي علي ساحل بحر المغرب بينها وبين سبعة مسيرة يوم واحد " ٢ ويقول ابن خلدون ان بها دار صناعة لأنشاء الآلات البحرية وهذه هي عبارته " كانتا تان المدينتان سبعة وطنجة من اول دول الموحدين من اعظم عمالاتهم واكبر ممالكهم بها كانت تفر العدو وقرى الأساطيل ودار الأنشاء الآلات البحرية وفرض الجواز الي الجهاد . وكانت ولايتها مضمومة بالقرابة من السادة بني عبد المؤمن " ٣ ٥

لذلك ان لهاتين المدينتين أهمية عظيمة لتطور موقعهما ما بين الأندلس وإفريقية من جهة وما بين بحر الظلمات وبحر الروم من جهة ثانية الا ان هذه الأهمية زادت في أيام الموحدين ( ٥٢٤ - ٦٦٧ ) لاعتداد العلاقة ما بين إفريقية والأندلس . انما الي ذلك انها كانتا المنفذان الرئيسيان للموحدين للاتصال مع الأندلس ومع غيرها من الأقطار العربية . وهما مركزا لمذهبهم ودار الأنشاء لآساطيلهم والآتهم البحرية . ومن مراكز دور الصناعة في زمن الموحدين أيضا وسلا .

صناعة وسلا

لقد كان في ميناء وسلا دار صناعة للموحدين يقول سرحك " وهي فورة حصينة علي المحيط الأطلسية عند مصب نهر بود عزب علي سفله الشمالية تجاه مدينة الرباط ... وكان بها في دولة الموحدين دار صناعة عظيمة بناها المعلم ابو عبد الله محمد بن علي من اهل الحميلية وكان من العارفين بالعميل الهندسية ومن اهل المهارة في نقل الأجرام ورفع الأثقال بصيرا باعجاز الآلات العربية الجاذبة " ٤ .

نلاحظ في هذا النص ظاهرين مهمين وهما أولا ان الذي بني دار صناعة وسلا ومعهدها مهندس عربي له علم وخبرة في صناعة العميل (المكانيك) مما يدلنا علي وجود خبراء ومهندسين في هذه الصناعة يعملون ادارة وتنظيم شؤونها ويعرفون علي عمل الصناع والعمال والتجارين والذين يقومون بصنع المراكب . فانيا ان معظم دور الصناعات تبني علي مجري نهر بمصب في البحار المالحة وعلي جانب الموائل . هذا ملاحظه في دور الصناعة الموجودة في سورية وما ملاحظه في دور الصناعات الموجودة بالأندلس .

### صناعة بجاية

مدينة بجاية علي ساحل البحر بين إفريقية والمغرب ٥ ويقول الأديبي عنها " ومدينة بجاية

١ - معجم البلدان ج ٥ ص ٢٦ / ٢ - المصدر نفسه ج ٦ ص ٦١ / ٣ - الصبر ج ٢ ص ١٨٥ / ٤ - حقايق أخبار ج ١ ص ٢٢٣ / ٥ - معجم البلدان ج ٢ ص ٦٢ .



في وقتنا هذا مدينة الغرب الأوسع .. موالفن إليها مدقعة وبها القوافل منحلة والأمتعة إليها برا وبحرا مجاورة ... وبها دار صناعة لأثناء الأساطيل والمراكب والطن والعوامي لأن الغضب في أوديتها وحملها كبير موجود وجلب إليها من أقاليمها الوقت البالغ الجودة والقطران وبها معادن الحديد الطيب موجود وبها من الصناعات كل غريب ولطيفة " ١ : " أن جميع المواد الأولية الضرورية لصناعة الفن متوفرة في هذه المدينة بجاية وما جاورها . وهذا يؤيد ما قلناه سابقا من أن مراكز الصناعة للفن لا تبني إلا في الأماكن التي تتوفر فيها المواد الأولية لبناء المراكب . ولذلك فمدينة بجاية من أشهر مراكز دور الصناعة في إفريقيا .

#### المبحث الرابع

#### مراكز الصناعة في الأندلس

#### صناعة الجزيرة الخضراء

مدينة الجزيرة الخضراء تقع على رهوة مشرفة على البحر وسورها متصل به يقول ياقوت عنها " وسورها يضرب به ماء البحر ولا يحيط بها البحر كما تكون الجزائر لكنها متصلة ببحر الأندلس لا حائل من الماء دونها ... وهي على نهر برباط " ٢ : " وشرفها خندق . وقبة المدينة موفية على الخندق . وفي داخلها المدينة دار صناعة بناها أمير المؤمنين عبد الرحمن بن محمد ( ٢٠٠ - ٢٥٠ ) لمنع الأساطيل وأعلن بناها وعلي أسوارها ثم اتخذها المغفون بها في الفترة فورا . ويقرب المدينة مدخل الوادي في البحر ... ومهبطه من حيث يدخله الفن ... وبها حائط عريض مبني بالحجارة داخل البحر ومن هذا الحائط كانت تفتح المراكب وبني عليه محمد بن بلال برجاً ... ٣ :  
نلاحظ أن نفور بلاد الأندلس بصورة عامة ودور صناعاتها بصورة خاصة بتعدد الجسرين . بني الأمراء والخلفاء حولها الأسوار المشرفة والخنادق السحيقة والأنبار المعينة لحفاظها عليها من غارات الأعداء لاسيما المجوس الذين كانوا يطوفون بلاد الأندلس بين الدينة والفيضة . ويميتول بالأرض فسادا ويخربون البلاد ويحرقون المراكب . فكان لالزاما علي حكام البلاد أن يحصنوا نفورهم وصناعاتهم أمام هذه الأعداء الأعداء علي اختلاف أنواعهم وملتهم .

#### مملكة مالقة

مالقة مدينة في جنوب الأندلس ... وهي علي بحر الزقاق ... " سورها علي شاطئ البحر بين الجزيرة



الضراء والمريه ١ ولها عدة حصون في احوالها ... وبها دار صناعة لأنتاء المراكب. وهي مخصصة  
بمعمل الجلد ... بمصانع الحديد . ٢

#### صناعة المريه

وهي مدينة مسورة علي حافة بحر الزقاق واموارها عالية وقلعتها منيعة شامخة وساحل المريه  
احسن السواحل وحولها حصون وجمال شامخة ... وبها دار صناعة لعمارة المراكب ٣

#### صناعة مطبخه المنكب

بلد علي ساحل جزيرة الأندلس من احوال المريه ٤ علي القرب من شطوعين دون المريه وبها  
دار صناعة لأنتاء الفن ٥

#### صناعة لغنت

لغنت حصن من بلاد الأندلس ... ويتجهز منها بالدفاء الي جميع بلاد البحر ... وهي علي سفوحها  
وتنتأ بها المراكب الفريه والحرارين ٦

#### صناعة دائيه

دائيه مدينة بمقرب الأندلس علي البحر ... وعليها سور حصين وسورها من ناحية الشرق في داخل  
البحر قد بني بهندسة وحكمة ... والفن وارده عليها مادرة عنها ومنها كان يخرج الأسطول الي الشرق  
وبها يتنقل اكثره لأنها دار الحيا . ٧

#### صناعة طرطوطه

مدينة طرطوطه بمقرب بلنسية وطرطوطه مخرج فريه من البحر علي نهر ابرد x وبها انتاء  
للمراكب الكبار من خشب جبالها ... وهي كثيرة عبر الهند ... وخشبها الصنوبر له خاصية في الجودة  
تفوق جميع خشب الأنهار وعلي المدينة سور من منار بني اولها بناء عبد الرحمن بن النعمان ...  
وهي باب من ابواب البحر ومقرب من مرانيه . تحلها التجار من كل ناحية ٩

١ - معجم البلدان ج ٧ ص ٢٩٢ / ٢ - صحيح الأعني ج ٥ ص ٢١٩ / ٣ - نفس المصدر ج ٥ ص ٢١٩

٤ - معجم البلدان ج ٨ ص ١٨٤ / ٥ - صحيح الأعني ج ٥ ص ٢١٨ / ٦ - الروض ص ٨١٤ / ٧ - نفس المصدر

ص ٢١٩ / ٨ - معجم البلدان ج ٦ ص ٤٢ / ٩ - الروض ص ١٢٤ .



### صناعة اريونه

كان في هذا النهر قلعة عظيمة ودارا للصناعة ومستودعا للمونة والملاح ١

### صناعة القمر

قطع القمر علي شفة نهر كبير وهو نهر نعد فيه الففن السفرية ودينما استدار بها من الأرض كلها بغير المنوير وبها الأنفا الكفير ٢

### صناعة قرمونة

١

مدينة بالأندلس... وهي في سفح جبل عليها سور حجارة من بنيان الأول كان قلع في الهدنة ثم بني في الفتنة وجنباها حصينة معده مستعنة علي المماريين الا من جهة المغرب وارتفاع سورها هناك اربعون ميلا وبالذراع ثلاث واربعون ذراعا وفي هذا السور الغربي برج يعرف بالبرج الأجم عليه ينصب المراتد عند القتال وفي ركن هذا السور اجنا مما يلي الجوف بنيان مرتفع علي السور يسمى سمرلة عليه برج للمماريين... ويقفل بهذا السور خندق عميق جدا اولي وتراجه مستند الي السور... وبها دار صناعة منتهت بعد سنة المجوس مغزنا للملاح ٢

### صناعة شلطي

شلطي بلدة بالأندلس مشهورة في غرب اشبيلية علي البحر ٤ وهي جزيرة... وهي لا سور لها ولا ظهرة اخلا هي بنيان متعل بعضه ببعض وبها دار صناعة الحديد الذي يعجز اهل البلاد صنعه لجشاته وهي صنعة المراسي التي يرسوا بها الففن... وبها دار صناعة لأشفا الففن وفيها اطبيب المنوير ٥

### صناعة شلب

شلب مدينة بغرب الأندلس ٦... وعليها سور حصين... ولها مرسى في الوادي وبها الأنفا والمود بجبالها كبير يحمل منها الي كل الجهات ٧

### صناعة شنمريه

شنمريه حصن علي البحر الأعلم سودنا بعد ما البحر فيه اذا كان فيه المد... وبها المراكب ويطرد واردة ومادرة... وهي مدينة اولية وبها دار صناعة للأساطيل وبازاها جزائر في

---

١ - تاريخ العرب ج ٤٩٩ / ٢ - الروض ص ١٩٩ / ٣ - نفس المصدر ص ١٥٨ / ٤ - معجم البلدان ج ٥ ص ٢٨٨ / ٥ - الروض ص ١١٠ / ٦ - معجم البلدان ج ٥ ص ٢٨٩ / ٧ - الروض ص ١٠٦



البحر بنيت فيها عبر الصنوبر ١

هذه هي ام دور الصناعة في الأندلس وفي تلك المراكز كان ينشأ الأسطول الأندلسي . ولم  
 تنشأ جميع هذه المراكز في وقت واحد بل كان الأمراء والخلفاء الأمويين يعمرونها حسب حاجتهم الي  
 المراكب ليفذو بها أسطولهم . واني اصف ههنا المصادر التي قرأتها لا فكتب شيئا عن تطور دور  
 الصناعة في الأندلس ولا عن انشائها واعتم بامرها . كما اعني لاءلم سبب خراب تلك المراكز وانعدامها  
 ولكني ارجح ان الفوضى الداخلية وانقسام المملكة الي دويلات مستقلة كان له اثر على مراكز  
 الصناعة والأسطول حتي اهل امرها وادي الي زوالها مع الحكم العربي من تلك البلاد .  
 وتكملة للقادة ههنا ذكر ام دور الصناعة التي كانت بجزيرة صقلية .

المبحث الخامس

مراكز الصناعة في صقلية

هناك ثلاثة مراكز للصناعة شهيرة في جزيرة صقلية .

اولها مدينة الخالصة التي يقول عنها ابن خوقل " الخالصة ذات سور من حجارة ٣٠٠ وبها جيش  
 للسلطان ودار صناعة للبحر والديوان ٣٠٠ ومرسى البحر بها " ٢  
 والمركز الثاني في مدينة تلك المدينة التي زارها ابن جبير وراي فيها من الأساطيل ما لا يحصى  
 عددها مراكبه . وجميعها ينشأ بدار صناعة مسينة وفي بلم حاضرة البلاد ٣  
 وبلم هي المركز الثالث لصناعة السفن في هذه الجزيرة واهم مركز بها لان اسطول صقلية الذي  
 عليه يتوقف حماية هذه الجزيرة كان مهيده من ذلك الحاضرة ٤  
 ولننقل الآن للمبحث الأخير عن دار الصناعة وهو ١

اهتمام الخلفاء والسلاطين بأمر دور الصناعة

لما كان للأسطول شأن كبير في حفظ الدولة والجهاد في بلاد الأعداء . كان للخلفاء والسلاطين  
 اهتمام كبير في المراكز التي يبنى فيها الأسطول واعني بها دور الصناعة . ولننظر هذه الأهمية  
 اورد ما ذكره البلوي عن لسان ابي كامل نجاع بن اسلم العاجب قال " لما طلقني احمد بن طولون  
 الزمعي دار الصناعة . فدعاني يوما فقال لي كل ما تعمل لي من العدة يكفي فته بالدليل مع تقدم  
 هبتي في صدر الناس الا المراكب فان البحر لا يهابني ولا يخاف سوري وليس يعمل في البحر الا

١ - الروض ص ١٠٦ / ٢ - صورة الأرض ج ١ ص ١١٩ / ٣ - رحلة ابن جبير ص ٣١٠ / ٤ - حاضرة العرب



الوفاء والجودة في الصنعة وتقديم الأمان تقدم الحزم في الاحتياط والاستعداد في الأمان علي  
المراكب لقسم بحور الله عز وجل وتوفيقه من مرة البحر " ١  
ان هذه الوصية التي يدلي بها احمد بن طولون لثانيه علي دار الصناعة وتعيينه عليه بالاهتمام  
ببناء المراكب وجودة صناعتها تدلنا علي التصور الذي كان يصوره ذلك الحاكم الطولوني باهمية الاطول  
واهتمامه بشؤون دار الصناعة والملاحة . كما ان الخلفاء الفاطميين كانوا اذا ارسلوا واليا الي  
احد المقاطعات يوصوه بما جل من الأمور وهذه فترة من نصيحة احد الخلفاء لوالي القسطنطينية  
" وانظر في الصناعة المعروفة وفي عماثر الأساطيل المتغيرة المتغيرة وتوفر علي تدبير امورها و  
الاهتمام بشؤونها وحفظ ما فيها من الأخشاب والديدن والعدد والآلات والاسباب وابحث المستعملين  
علي المناصرة فيها وبذل الجهد في دفع مبالغها " ٢ / نزولهم اليها وتربيتهم لشؤونها بانفسهم عند  
انقضاء الحاجة كما فعل الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقداري بقول المقريزي " وهنار ينزل  
بنفسه الي الصناعة بمصر ويرتب ما يجب تربيتهم من عمل الفواني ومعالجها " ٣ ويحدثنا ابن  
نصري يروي ايضا من ان السلطان برسباي ( ١٢٥٠ - ١٢٦٢ ) هـ عندما امر ببناء مراكب لقزو بلاد الفرج  
كان ينزل بنفسه لدار الصناعة ليكشف علي العمل بقول " واستمر العمل فيهم كل يوم الي ان نزل  
السلطان في يوم الثلاثاء حادي عشر من سنة ١٢٦٨ هـ وكشف عمل المراكب المذكورة " ٤  
واذا راجعنا ما ذكره ابن اياس عن قاضي القضاة ( ٩٠٦ - ٩٢٢ ) هـ من اهتمامه بامر الصناعة  
والمراكب نجد ان ذلك السلطان ذهب الي السبيل ليهتفد المراكب التي بناها هناك بقول " وقد قد  
الوجه الي نهر السويس ليهتفد المراكب التي انبأها هناك " ٥ . هي عزيمة ملهمة وهمة نصاء  
واهتمام كبير بامر الصناعة والاطول اذ ان سلطان البلاد يتولى عاصمة ملكه ويهجر قصره ويعتقد  
مقام السفر في تلك الأيام التي كانت فيها المواثيق لا تزال ابتدائية اولية ويقطع الصغراء ليعمل  
الي السويس ويهتفد المراكب . كل ذلك يدلنا علي مبلغ اهتمام بعض السلاطين ببناء المراكب ودور  
الصناعة

وفي اليوم الذي كانت تلي المراكب بالماء يحمل احتفال رسمي بحضره الخليفة او السلطان  
بنفسه ويطلع المراكب بالماء امامه بقول المقريزي " في نصف شعبان سنة ٢٩٨ ركب الحاكم بامر  
الله الي مناعة القس ليطرح المراكب بين يديه " ٦ ويحضر مع السلطان احيانا يوم الاحتفال بانزال

١ - سيرة احمد بن طولون للبلوي حققها محمد كرد علي المطبعة العربية دمشق سنة ١٣٥٨ هـ / ٢ - صبح الأعشي  
ج ١٠ ص ٣٦٦ / ٣ - الخط ج ٢ ص ١٤٤ والظاهر ص ١٤٤ / ٤ - النجوم ج ٦ قسم ٢ ص ٥٨٢ / ٥ - بدائع الزهور  
ج ٤ ص ٢٩٢ / ٦ - الخط ج ٢ ص ١٩٦ .



المراكب في الماء ايامه وكبار رجاله ويأتي عامة الناس الفرجة ولمشاركة الدولة بمرورها . ويكون يوم مشهود لما تقوم به البحرية من الألعاب والمنافرات . يفت ذلك ابن اياس بقوله " فلما كملت عمارتها نزل السلطان والافنديك بملها الى الجزيرة الوسطي بفترجان علي القاشا في البحر فكان يوما مشهودا ذالفوا الأغربة ندامه في البحر والطلل عمال والنفط وزينت الأغربة بالصنابق والسلاح ولعبوا بها في البحر ذهابا وايابا والسلطان ينظر الي ذلك " ١

وكان السلطان احيانا في هذا الاحتفال يخلع علي معولي عمارة المراكب ويكافئ المخلصين من رجال الدولة بذكر ذلك بعبارة تفري بردي فيقول " نزل السلطان الملك الاشرف ايمان في موكب هائل من قلعة الجبل بامراء وحاشيته واعيان دولته الي جزيرة اودي المعروفة بالوسطي بساحل النيل لينظروا ما عمر من المراكب فصار الي هناك في موكب عظيم ونظر المراكب وخلع علي سنقرقوش شيخ الزودكار المقدم ذكره وعلي جماعة اخر ممن باشر عمل المراكب ٢

ولم يشارك عامة الناس السلطان بهذا الاحتفال لما اظهره الأمير سنقرقوش من القوة في معاملة العمال والصناع واما قام به من عطف العجار وارباب الصناع يقول ابن تفري بردي " فلم يمتحبوا الناس لنزوله لعظم ما قاموه من الظلم في عمل هؤلاء المراكب من قلة الأتعات والجور في حق العمال بين ارباب الصناع وغيرهم ولولا ان الأمر منسوب الي نوع من انواع الجهاد لذكرنا من فعل سنقر هذا ما هو اقلح من ان تذكره " ٣

ولما كمل بناء الفليون الذي امر ببنائه السلطان فاعرضه النوري نزل ليشاهده فزيمنوه بالاعظم والمكامل وعرضوه عليه يقول ابن اياس " وكان سبب نزول السلطان فيل انه عرض الموكب الفليون الذي عمره في هولاء عند الرصيف . فلما كمل زيمنوه بالصنائق والحواري والمكامل وموجها به الي قلوا طر وعرضوه علي السلطان في البحر . عند هناك اسطة حائلة وامتدح في ذلك اليوم وكان يوما مشهودا " ٤

ان هذه الاحتفالات التي تحصل عند القاء المراكب في الماء بعد صنعها تذكرنا بالاحتفالات التي تقوم في الايام العاشرة عند انشاء احدى البوارج او المدرعات او احدى حاملات الطائرات وانزالها في البحر وما يقوم به الملك او رئيس الجمهورية او احدى رجالات الدولة من كرم ورجاءات الفهيد او العطور بين هبات الجواهر وعزف الموسيقى وقصص المدائح .

١ - بدائع الزهور ج ١ ص ٢١٧ / ٢ - النجوم ج ٢ ص ٥٤٧ / ٣ - نفس المصدر ج ٢ ص ٥٤٧

٤ - بدائع الزهور ج ٤ ص ٢١٥ .



## الباب الرابع في قيادة الأسطول

### مقدمة

ان قيادة الأسطول لا تنفصل في مختلف الأقطار العربية عن قيادة الجند فكلاهما مكمل للأخر ولهما مساعد له في أعماله . وإدارتهما تتبع علي الأكثر نظام واحد وجماعة واحدة ينظمون أعمالهما ويوجهوا نهما في خدمة الدولة حسب ما تقتضيه الضرورة وتوجهه السلطة . يقول لورين خرداذبه " والمدير لجميع أمور المراكب الثمانية والبحرية صاحب النفود الثمانية " فكلمة النفود تعني كما هو معروف المرافق البحرية والحد والصلاح والحصون البحرية التي علي حدود الدولة . فصاحب النفود الثمانية هو المكلف بحماية حدود الدولة انهرية وسواحلها البحرية وإدارة شؤون المراكب والجيش علي السواء في مصر والشام . ويقول ابن خلدون " قيادة الأساطيل وهي من مراتب الدولة وتصلها في ملك المغرب وأفريقية ومروسة لصاحب السيف رعت حكمه في كثير من الأحوال " ١ فصاحب السيف وهو رئيس الجند الهوي والممثل للخليفة أو السلطان في تنظيم الجيوش هو الذي يدير أمر الأسطول البحري في كثير من شؤون وأحواله في مملكة المغرب وأفريقية وكان جند الأسطول وقواده علي العنوم من جماعة الجيش الهوي ينتخبهم الخليفة أو السلطان من اقدر رجاله وأطوعهم اليه ويرسلهم للفوز في البحر يقول زيدان " فصل معاوية اليمنية فرقة فاشة بنفسها وعدتهم ألفا فارس وفرز لهم عالة مضاعفا وجلبهم جندا مستقلا لا يمدلون بمواهم ... فاستفعل أمر اليمنية حتي عرضوا بذكر فضلهم علي دولة بني أمية وانهم لو شأوا غاثوا لأخربوا الضربة من الشام ( وفيهم بنو أمية ) فقدم معاوية علي اختصاصهم بذلك الأمتياز وترب منه القيس وأعطاهم مثل عطايتهم . ومار يغزي البحر باليمنيه والبحر بالقيسية فتق ذلك علي اليمنية لأن القيسية من حذر لمعاوية فجمع بين القيسيين وأغزاهم مما " ٢

اذ غزا معاوية أولا بقبايل اليمنية في البحر واختار القيسية بغزو البحر ثم اشرك القيسية في الغزو البحري مما عندما وجد ضرورة ذلك . وهكذا نجد ان الخلفاء والسلطين يوجهون جندهم للغزو في البحر او في البر حسب العوامل الضرورية والأحوال السياسية وأماننا القبلية . ونجد استمرار هذه الظاهرة من ارسالة من الجند الهوي للغزو في الأساطيل بأفريقية في زمن المالكية



يقول المقريزي " فلما كان المحرم سنة اثنيتين وسبع مائة في سلطنة الناصر محمد بن قلاوون جهزت  
القواني بالعدد والسلاح والتفطية والأثودة وعُيِّن لها جماعة من اجناد الدلفة والزم كل امير مائة  
بارسال وجلمين من عدده والزم امراء الطلخانة والعشوات باخراج كل امير من عدده رجلا وندب الامير  
سيف الدين كهرداش المنصورى الزدائى الى الغرب بهم ومعه جماعة من ممالك السلطان الزدائين " ١  
اذن كان جند السلطان وجماعته علي اختلاف رتبهم يسافرون مصحفة عساكرهم للفرز في البحر  
ويعين عليهم امير كبير من اخلاص امراء الدولة للسلطان ليكون قائدا عاما عليهم \* ويقول صالح  
ابن يحيى " وعندما تسهلت التعميرة بمصر والعمالقة المذكورين جهز السلطان (برساي) مرسوم بتعيين  
العسكر الذي يتوجه الي قبرس فعين بلبان المحمودى مقدم الف ومعه امراء من الشام واربعين مملوك  
من ممالك سودون عهد الرحمن نائب دمشق ... وتعين من عند الامير الكبير بها ومالك نائبا وراس  
نوبده وتعين من طرابلس الامير الكبير بها لعمالة طرابلس وامن شعري حاجب حجاب حلب في غراب  
طرابلس المتعين ومعه امراء طرابلسية وديلمية " ٢ . هكذا كان يعين السلطان برساي جماعة  
الجند والمقدمين والامراء من مختلف الأنظار الخاضعة لحكمه ويوجههم للفرز وفتح قبرس .  
وتكون رتب اولئك الامراء مختلفة بذكر صالح بن يحيى بعض امراء تعميرة مصر ورتبهم فيقول  
" وكان في تعميرة مصر اربع امراء منهم ثومانى فاقوى مقدم الف وثمان مائة مقدم الف وقانوة  
امير طلخانة ويشتك شاد الشرايعانات امير طلخانة كل من الأربعة في حاله من  
العمالقة الأربعة . ومعه امراء جماعة عشريات وعشراوات كل منهم بمصر . بمقدم علي غراب او  
مركب " ٣ ويقول ايضا " وكان قبل ذلك قد جهز السلطان (برساي) وعين من كل مملكة عدة امراء  
منهم مقدمين الوف وطلخانات وعشراوات وعين علي باقي الامراء عدة ممالك كل منهم بمصر . وعين  
ايضا علي النواب عدة ممالك مع رؤوس نوب يحكم عليهم ورس ان يكون نزول الجميع في البحر  
ليتوجهوا مع عسكر مصر الي قبرس في المراكب التي عمرت في السنة الغالية . وعين السلطان من امراء  
مصر عدة امراء منهم اربع مقدمين الوف والباقي طلخانات وعشراوات . وعين من الممالك السلطانية  
جماعة كثيرة ولما وصل الي مصر العسكر من الممالك الشامية والديلمية والطرابلسية والعمورية والعقدية  
وهم الذين عنهم انضموا الي العسكر المصري ونزلوا جميعا في قم وشيد " ٤  
ما تقدم نستدل علي ان جند الاحول الذين كانوا يرسلون للفتح والفرز في زمن المماليك لم يكونوا  
من جيش السلطان في مصر فقط بل كانوا من جنود انظار الدولة بكاملها . وكان يولي علي كل جند قطر

١ - الخط ج ٢ ص ١٩٥ و ١٩٤ / ٢ - تاريخ بهروت ص ٢٢٠ / ٣ - نفس المصدر ص ٢٢١

٤ - نفس المصدر ص ٢٢٢ .



من الأقطار أمير من القطر نفسه . يقول صالح بن يحيى في الكلام عن الصارة التي أرسلها بوساي سنة ٨٢٧ هـ لفتح قبرس ما يلي " ومعهم ثلاث أمراء مصرية ومن طرابلس أمير ومن الشام أمير وتوجهوا الي قبرس " ١

ولاشك ان اماره الأسطول العامة كانت لأمر واحد ينتخب من اعلي طبقات المملكة ترجع اليه اماره البحر ويقع الجميع اوامره وارشاداته وهو ما يدعو المؤرخون بامير البحر .  
اما كيفية انتخاب جند الأسطول ومحاربيه فكانت تختلف بحسب قوة الدولة وضعها . فمن الامثلة علي انتخاب رجال الأسطول أيام الخليفة العباسي المتوكل علي الله <sup>الدولة في بيان قوته</sup> حين قوة الدولة اذكر ما قاله الطبري " فوقع الاهتمام من ذلك الوقت بامر الأسطول ومار من اهم ما يعمل بمصر وانتدت الفواني برسم الأسطول وجعلت الأرزان لفزاة البحر كما هي لفزاة البر وانتدب الأمراء له ارامة فاجتهد الناس بمصر في تعلم اولادهم الرماية وجميع انواع المعاربة وانتخب له النوادر العارفتون بمعاربة العدو وكان لا ينزل في رجال الاسطول غشهم ولا جاهل بامور الحرب هذا وللناس اذ ذاك رغبة في جهاد اعداء الله واقامة دينه ولا جرم انه كان لخدام الأسطول حرمة <sup>والامكانة</sup> ولكل احد من الناس رغبة في اخيه بعد من جعلهم فيسمى بالوساطل حتي يستقر فيه " ٢ اذن كان لجند الأسطول زمن قوة الدولة حرمة في قلوب الناس وكان العامة يتوسلون لهنالوا ذاك العرف من الانتساب لخدمة الأساطيل .  
اما ايام ضعف الدولة وانحلالها فكان جند الأسطول ورجالهم يجمعون من الطبقات من الرعايا والفرهاء ويهددون ويسجنون حتي لا يهربون من الخدمة يقول الطبري في وصفهم ما يلي " فاذا دعت الضرورة الي تجهيزه (الأسطول) طلب له الرجال ولبس عليهم من الطبقات ولبسوا في السلاسل نهارا وسجنوا في الليل حتي لا يهربوا ولا يعرف لهم الا القليل القليل من الخبز ونحوه وربما اقاموا الأيام بغير عيش كما يفعل بالأسرى من العدو فماتت خدمة الاسطول عارا بسبب بها الرجال " ٣  
فجند كهؤلاء لا يقوم علي سواعدهم مجد الأسطول وشرفه ولاشك ان نصيب اعمالهم الفضل .  
وفي الكلام عن قيادة الأسطول سأقسم البحث الي ثلاثة فصول

الفصل الأول رتب البحرية اتناول الكلام فيه عن الألقاب التي كانت تطلق علي رجال الأسطول .  
الفصل الثاني مشاهير رجال الأسطول العربي وهم المجنون في خدمة الأسطول الذين تفوقوا علي غيرهم في ميدان العمل والجهاد .  
الفصل الثالث طقات الغاء والرئيس التي يستعين ان يختص بها كل من يرغب ان يخدم في هذه الوظيفة .







جميع العلماء اذن متفقون علي ان كلمة اميرال علي اختلاف كتابتها ولفظها في اللغات الأوربية مأخوذة عن اصل عربي . وان للمرب الفضل في الأسبقية في ايجاد هذا الاصطلاح وغيره من التعابير في ملاحتهم البحرية . وهو يعني امير كبير من اعيان الأمراء والقوام جأشاً يكون علي رأس الأسطول ١ يقول ابن خلدون " فاذا اجتمعت الأساطيل لغزو معقل او غرض سلطاني مهم عسكت بمردتها المعلوم وعدنها السلطان برجاله وانجاد عساكره ومواليه وجعلهم لنظر امير واحد من اعلي طبقات اهل مملكته يرجون كلمه اليه ثم يصرح لوجههم . وينتظر ايامهم بالفتح والفتنة " ٢ ويقول المقريزي " ولا بد ان يقدم علي الأسطول امير كبير من اعيان امراء الدولة والقوام نفساً " ٣ وهذا هو الذي دعونه امير البحر .

### الرئيس والقائد او المقدم

الرئيس ويقال له الرأس ٤ او يخفف فيقال الرئيس ويدعي ايضا الرهان او المعلم يقول ابن جبير " رهان المركب وهو الرأس " ٥ ويقول ابن بطوطة عند الكلام علي بحر القلزم " وهم يسمون رئيس المركب الرهان ولا يزال اهدا في مقدم المركب منه صاحب السكان علي الأبحار " ٦ اما ابن ماجد فيسمي الرئيس بالمعلم ٧ .

وقد انتقلت هذه الكلمة الي اللغات الأجنبية يقول لامنس " الرئيس او الرئيس Capitaine de navir انتقلت الي اللغة الأسبانية فقبل Arraez والي البرتغالية وهي Arraes, Arrais

Arraiz, Arrayo والي القلانية Arraix " ٨

والرئيس رتبة في الأسطول وفي الفن التجارية يكون لماعبها ميزة تسيير المراكب واجرائها بالريح او المجاذيف . اما القائد فانه يدير أمر الجند والقتال في البحر يقول ابن خلدون " يرجع نظره ( الأسطول ) الي قائد من النواصية يدير أمر حربه وسلاحه ومقاتلته . ورئيس يدير أمر حربه بالريح او بالمجاديف وأمر أوصائه في مودته " ٩

والرئيس في المراكب التجارية يدير تسيير المركب فلا حظ ذلك في قصة الف ليلة وليلة " وقد نشر الرئيس قلاع المركب ومافيه بالذين طلع بهم في المركب ولم يلقفت لمن غرق منهم " ١٠ ويرد ايضا " فاوقف الرئيس المركب عليها ( الجزيرة ) فنزل جميع التجار والمراكب " ١١

١ - صحيح الأعني ج ٢ ص ٥٢٢ والخط ج ١ ص ٤٨٢ / ٢ - المقدمة ص ٢١١ / ٣ - الخط ج ٢ ص ١٩٢

٤ - المقدسي ص ٢١ / ٥ - رحلة ابن جبير ص ٤٤ ورحلة ابن بطوطة ج ١ ص ١٩٥ / ٦ - رحلة ابن بطوطة ج ١ ص ١٨٨

٧ - الفوائد ص ٢١ ب / ٨ - ملاحظات لامنس ص ١٩٢ / ٩ - المقدمة ص ٢١١ والعمدة ج ١ ص ١٩٥ والمراد الجديد

١٠ - الف ليلة ص ٢٩٢ ليلة ٥٤٩ / ١١ - غرض المصدر ص ٢٩٢ ليلة ٥٤٩ .



اذن ارثس بهذه تسمية ~~مختلفة~~ المراكب علي اختلاف انواعها عربية كانت ام تجارية ويختلف بعضها  
الا يمتحون بغيره عند اعلامه اياها وان لا يلقبها الي الهلاك ما دامت سليمة لم يعل بها الفضا  
المحتوم ١ . هذه الرتب الثلاث اللاتي ذكرتها وهي اماره البحر والرياسة والقيادة هي اعلي  
مراتب البحرية في الأسطول العربي واصحابها هم البارزون في قيادة الأساطيل ويأتي بعدهم جماعة  
النوطة الذين يقومون بالشؤون البحرية ثم الجند علي اختلاف طبقاتهم ودرجاتهم وهم اصحاب القتال  
والعرب . ولنتفضل الآن للكلام عن الفولس

## الفوائد

[illegible]

١- عجائب الهند من ٣٣ والغازة الاسلامية ج ٢ من ٢٢٣ / ٢- عجائب الهند من ٢ / ٣- رحلة ابن بطوطة  
ج ١ من ٢٤٢ / ٤- الخلا ج ١ من ٢٢١ .



وحله الذهب وكشمع الكتب وكان الذهب نفقة للمجاهدين . فما روي من ادي الأمانة في حياته وقد ردها في سواده الا هذا الرجل " ١ . وكان لهؤلاء الفواصين شأن كبير في الملاحة البحرية يرسلهم الرهس ليقوموا في اعماق البحر وليعطلوا احوال المركب ويغرقوه اذا ما حدثت حادثة غير طبيعية ومن ذلك ما ذكره بهذا الناخدا " فقال للفلحس تنزل مع حبل الأنجر وتعرف خبره وان الفايص لما اراد النزول نظر واذا الأنجر بين نظري سرطان " ٢ . وكان الفواصين في مراكب السمن كيتفخون من العبيد يقومون بتطهير المركب اذا كسر او غرق بسبب من الأسباب يذكر هرت وروكهيل ما يلي " واذا كسر المركب فبجاء فلا يمكن تطهيره من الداخل بل يأمر التجار عبيدهم الأجانب ان تأخذوا سكاكين وقتر دتب ويصلحوه من الخارج لأن هؤلاء العبيد مهرة في السباحة ويمتلي عيونهم مفتوحة داخل الماء " ٣ . ويذكر ميز ان هؤلاء الفواصين يطلبون اجاسهم بهزيت السم ويسدون انوفهم بالشمع . قال في وحكي رجل من العرب في القرن الثامن الهجري ( الثامن عشر الميلادي ) انه كان في مراكب البحر الهندي عادة اربعة من الفواصين فاذا نفذ الماء في المركب وعلا فيه عمدوا الي اجاسهم فطلوها بهزيت السم والي انوفهم فدوها بالشمع وهم يستطيعون ان يمدوا عشرين الي ثلاثين نقبا في اليوم " ٤ .

ما تقدم يبين ان للفواصين اهمية كبيرة في الأسطول وفي السفن التجارية وكانوا يقومون بخدمات حربية وامدادية في الأسطول وفي المراكب التجارية جعلهم يمتازون بها عن غيرهم من بقية الملاحين والنووية .

وكلمة للفائدة اذكر بعض المصطلحات التي تطلق علي رجال البحرية الذين كانوا يعملون

بالفن التجارية .

اذكر اولا الناخدا وهو صاحب المركب ٥ ثانيا وكيل المركب او الناخدا وهو وكيل الناخدا الذي يسافر مع السفينة ٦ ثالثا الكواخي وهو الكاتب في المركب ٧ رابعا الرهان وهو الذي يسير المركب ويديره ٨ خامسا المنادي وهو الرجل المبلغ اوامر الرهان الي الملاحين بموعد العالي ٩ سادسا ديدمان وهو حارس المركب الذي يبعد الي رأس الدغل ويكلف لهم الأخبار ١٠

- 
- ١ - مهرة صلاح الدين ص ٩٨ / ٢ - عجائب الهند ص ٩ / ٣ - مقدمة Khun P32 (Chun. )  
 ٤ - الحضارة الإسلامية ج ٢ ص ٣٦٥ / ٥ - مروج ج ١ ص ٨١ و ص ٨٩ ودولة ابن بطوطة ج ٢ ص ١٦٣ و ١٥٥ و ١٤٥  
 ٦ - دولة ابن بطوطة ج ٢ ص ١٤١ والحضارة الإسلامية ج ٢ ص ٢٧٢ / ٧ - دولة ابن بطوطة ج ١ ص ١٩٥ /  
 ٨ - عجائب الهند ص ٩٩ ودولة ابن جبير ص ٤٤ / ٩ - عجائب الهند ص ١٣ والحضارة الإسلامية ج ٢ ص ٢٧٢  
 ١٠ - عجائب الهند ص ٩٨ .



باناني المركب وهو خامه ١ اخيرا الصالحين في المركب لفضل الايمان والامعة ٢ .

ان معظم هذه الاصطلاحات غير هينة وهي بالاكثـر فارسية كانت مستعملة في المراكب التجارية التي تسافر بين جزيرة العرب والصين والهند استخدمها الرحالون الذين جالوا في تلك الاصقاع التي كانت تتماس كبير مع العرب وحفظوها لنا بكتبهم لنستدل بها على العلاقة الوثيقة التي كانت بين العرب وبين الاقوام الشرقية الاخرى . وقد ورد في كتب الرحلات اسما بعض النواخذة الذين اشتهروا بجولاتهم البحرية الطويلة والذين مهروا في ملاحـة البحار وعرفوا الضربات والانواء فزادت ثروتهم وزاع صبتهم في الافاق . يذكر برك النخداة بغفر شاهيرهم امثال : ابي عبد الله محمد بن بابشاد ابن حرام بن حمويه السرافي . وكان اوجه النواخذة الذين سافروا الى بلاد الذهب واعرف خلق الله بامر البحر ومن جلة البحريين ومسنوريسم ٣ . وقد قيل ان بعض ملوك الهند صورته لحالته في النواخذة وخر اسمه في البحر ومن رسمهم ان بصوروا كل من له نباهة وقدر ٤ .

ومردويه بن زرايخت وكان احد رانته الصين وبلاد الذهب ٥ . واسماعيل بن ابراهيم ابن مرداس النواخذة وكان من بقية نواخذة بلاد الذهب وهو المعروف عندهم باسماعيلويه وهو من شاهيرهم ٦ . واحمد بن علي بن منبر النواخذة السيرافي وكان من النواخذة الذين سافروا في البحار ومعنى لهم الاسم والصيت في البحر ٧ مخرجا مبهمة الريان : واسمه من كرمان وكان بيب فراها برعي النعم ثم صار سيادا ثم صار احد بانانية مركب يختلف الى الهند ثم تحول الى مركب صيني ثم صار بعد ذلك ريانا وله في البحر صرائق وسافر الى الصين سبع مرات ولم يكن سلك قبله الى الصين الا من غدر . ولم يسمع ان احدا سلكه وسلم وعاد قط . فان سلم في الماضي فهو عجب فذ يتكاد يعلم في العودة وما سمعت ان احدا سلم في الذهاب والمجيء سواء . وله قصة في البحر عجيبة تدل على مهارته في الملاحة ومعرفته بالانواء ورياح البحار وامواجها ٨ .

مرد انشاء احد نواخذة بلاد الفل وفيرها . رانته العزيزان الذي ربي مع ابيه في التجول في البحار ولم يكن في رانته البحر اظلم من العزيزان هذا وانه كان يعامل التجار في مراكبه ما يعامل به اصحاب الشروط ٩ ويزيد العماني نواخذة الزن ١٠ .

- 
- ١- عجائب الهند ص ٦٤ و ٥٠ و ٥٦ و ١٠٤ / ٢- الف ليلة ص ٢٩٣ ( ليلة ٥٤٩ ) / ٣- عجائب الهند ص ٥ / ٤- نفس المصدر ص ٧٢ / ٥- نفس المصدر ص ٦ / ٦- نفس المصدر ص ٧ / ٧- نفس المصدر ص ١٠ / ٨- نفس المصدر ص ٦٢ - ٦٦ / ٩- نفس المصدر ص ٧٠ / ١٠- نفس المصدر ص ١١٣ .



وكثير من امثال هؤلاء البحريين الذين يذكرون هزرت الناكوداء في كتاب عجائب الهند ويذكر  
قصصه واخباره ومغامراته وما شاهدوه من العجائب والاطوار . وما تلاحظه ان هؤلاء  
النواخذة كان يتخصص كل منهم الى جهة من الجهات او الى بحر من البحار . وتكون  
معرفة تلك الجهة معرفة جيدة لكثرة اسفاره اليها واطلاعه على احوالها وطرقها وجزائرها .  
ومعظم هؤلاء النواخذة والريانة من مدينة سيراف ١ على خليج الفارسي وهي اعظم فرسة  
لفارس وهي مدينة حط واقلاع للمراكب ٢ واكثر السفن الصينية تحمل من سيراف . وان  
المتاع يحمل من البصرة وهمار وغيرها الى هرات فيجبي في السفن الصينية بسيراف ٣  
يقول المهندس \* وكان ( سيراف ) حينئذ دهليز الصين دون عمان وخراسان وخراسان  
وعلى الجملة مارأيت في الاسلام اعجب من دورها ولا احسن . وقد كتب من خشب -  
الساج والاجر شاهقة تشتري الدار الواحدة بفوق المائة الف درهم \* ٤ ويقول الاصطخري  
\* ويناوهم بالساج وخشب يحمل من بلاد الزنج واهنيتهم طبقات . وهي على شفير البحر  
مشبكة البناء كثيرة الامل بيالغون في نفقات الابنية حتى ان الرجل من التجار لينفق على  
داره زيادة من ثلاثين الف دينار \* ٥ وقد نتج هذا الغنى من شدة تصوافهم في البحار  
وتجارتهم في مختلف الامصار . فقد بلغ ذكر الاصطخري ان بعض تجار سيراف قضى اربعين  
سنة على ظهر السفينة ٦ . فلا عجب ان يفتن هؤلاء ويشربوا ويهدموا تجارة اغني مالئك  
الشرق الاقصى من الهند والصين والعراق وجزيرة العرب . ولا عجب ان يتركوا لنا -  
قصصا اشبه ما تكون بالخرافة ولكن فيها شيئا يمثل حقيقة حالهم مع شي \* من المبالغة -  
والتهجيم ليهولوا الامر على السامع ويزيدوا باهمية مخاصراتهم . نقصه السندباد البحري  
التي ورد ذكرها في كتاب الف ليلة . ومخاصرات كثير من البحارين والتجار التي ذكرت  
في كتاب عجائب الهند . واخبار كثيرة اخرى ذكرها الرماطين الذين جالوا في تلك  
الاقطار النائية .

ولنتقل الان لذكر مشاهير قواد الاسطول العربي .

---

١- مروج ج ١ ص ٨٩ / ٢- صبح الاعشى ج ٤ ص ٢٤٥ / ٣- سلسلة التواريخ ص ١٥

٤- احسن التقاسيم ص ٤٦٦ / ٥- الاصطخري ص ١٢٦ / ٦- تاريخ العرب ص ٢٤٥



## الفصل الثاني مشاهير رجال الاسطول العربي

كان الخلفاء والسلاطين عندما يعززون على العزو في البحر يرسلون الاسطول بقيادة احد كبار الامراء والقادة . وسادكر هنا اشهر هؤلاء القواد الذين برزوا في كل دور من الا - وار العربية في مختلف الممالك التي اشتهرت بالاهتمام بالامور البحرية والاساطيل . ولبيت غايي استقصاء اسماء هؤلاء القادة المشهورين لان الكلام من اعمالهم واخبارهم بتفصيل سيأتي عند ذكر عمليات الاسطول الحربية وانما اكتفي هنا بالاشارة الى الذين لمعوا في كل عصر من العصور :

من اقدم قواد العرب الذين ركبوا البحر وغزوا فيه زمن الخلفاء الراشدين :  
عبد الله بن قيس الجاسي الذي فتح قبرص سنة ٢٨ هـ . زمن الخليفة عثمان بن عفان يقول ابن الاسير \* وبقي عبد الله بن قيس الجاسي على البحر فغزى خمسين غزاة من بين شانه وصائفه في البحر والبر لم يصرق احد ولم ينكب فكان يدعو الله ان يعافيه في جنده فاجابه : فلما اراد الله ان يصيبه في جنده خسر في قارب طليعة فانتهى الى المرقا من اور الروم وعليه مراكيب يسألون . فتصدروا عليهم فرجعت امراء منهم الى قريتها فقاتل للرجال هذا عبد الله بن قيس في المرقا فثاروا اليه فاجمروا عليه فقتلوه بعد ان قاتلهم فاصيب وحده ونجا الملاح حتى اثار اصحابه فاعلمهم فجارا حتى ارسوا بالمرقا والخليفة عليهم سفبان بن عوف الاسدي فخرج اليهم فقاتلهم ففجروا فجهل يشتم اصحابه فقاتل سفبان حارة عبد الله مامدا كان يقول حين يقاتل : فقال سفبان فكيف كان يقول ؟ فقالت : الغمرات ثم بنجلينا . فترمها بقولها واصيب في المسلمين يومئذ وقبل لتلك المرأة بعد . باي شي هوفته ؟ قالت كان كالتاجر فلما سألته اعطاني كالمك فعرفته بهذا \* ١

١٠١ في مصر فكان من مشاهير قادة البحر زمن الخليفة عثمان عبد الله بن سعد ابن ابي سري الذي ساهم في فتح قبرص وغزا الروم في معركة ذات الصواري وقهرهم سنة ٢٤ هـ .



أما في العصر الأموي فمن هؤلاء القواد بسر بن أبي أرطاة الذي غزى في البحر سنة ٤٤ هـ ١ ومن رجال البحر الذين دأبوا بهم الروم لجزر الصرايس ، ومعروف بن يحيى الحجوري من أهل دمشق ، والمعبر بن عبيد الأسدى الخراساني ولي غازية البحر في أيام يزيد بن عبد الملك ٢ .

أما في العصر العباسي فمن أشهر قواد البحر " عازقار مازنار مولى للفتح ابن خاقان في نهاية البلاغة في الجهاد في البر والبحر وكان معه رجال من البحرين لم ير مثله ولا أشد منهم وكان له في العدو نكاه عقيمة وكان العدو بهابه يوتغ منه النصرانية في حصونها ولم ير في الثعور الشامية والحرورية بعد عمرو بن عبيد الله الاقطع صاحب ملصيه ، وعل بن يحيى الارمني ١ صاحب الثعور الشامية اشد اعداء علي الروم من مازنار الخادم ٢ . وكانت وفاة مازنار احاد في ارض النصرانية غازيا في حين الاسرم تحت الحصن المعروف بكوكب محمل الى خرسو فدفن بباب الجهاد وذلك للشص من رجب سنة ثمان وسبعين ومائتين ٣ . ويقول المسعودي ٤ " واخبرني بعض الروم - من كان قد اسلم وحسن اسلامه - ان الروم صورت عشرة انفس في بعض كنائسها من ارض الباز والتجدة والمكايد في النصرانية والحياة من المسلمين منهم الرجل الذي بعث به معاوية حين احتل على البيروني فاسره من القسطنطينية فاقاد منه بالحدوب ورواه الى القسطنطينية وعبد الله البساس ، وعمرو بن عبيد الله ، وعلي بن يحيى الارمني ، والعرب بن بكار ، واحمد بن ابي قصبعة ، وقرمان السلطاني صاحب مدينة ادرين ٥ . وكان بشرى ابيالعه وكانت وفاته في سنة تسع واربعين ومائتين ، وحين حارب اخذ قرمان ومازنار الخادم في موكبه والرجار حوله وابو القاسم بن عبد الباقي ٦ . هؤلاء هم أشهر قادة المسلمين في العصر العباسي الذين كان لهم البلاء الحسن في بلاد الروم واعتروا بنجاحاتهم المسلمين والنصارى على السواء وخلدوا ذكروهم بحفظ صورهم في كنائسهم ومعابدهم .

ومن هؤلاء القادة المشهورين في زمن العباسيين " لاوى العكنى بابي حرب غلام زرافه صاحب صرايس الشام ٧ . وعبد الله بن وزير صاحب مدينة جبله من ساحل

١- الخبرى الجملة الثانية ج ٦ القسم الثاني ص ٦٢ / ٢ - خطط الشام ج ٥ ص ٢٢ / ٣ - كانت وفاة عمرو بن عبيد الله الاقطع وعلي بن يحيى الارمني في سنة واحدة وذلك في سنة ٢٤٩ في خلافة المستعين مروج ج ٤ ص ١٥١ / ٤ - مروج ج ٤ ص ١٥١ / ٥ - نفس المصنوع ج ٤ ص ١٥٢ / ٦ - نفس المصدر ج ١ ص ١٠٢ .



حصن بقول المسعودي عنه " ولم يبق في هذا الوقت — وهو سنة اثنتين وثلاثمائة —  
انظر منه في البحر الرومي ولا ائمن منه وليس في بركته من اصحاب المراكب من الحربية  
والعمالة الا وهو منقاد الى قوله ويقول له بالنصر والحق مع ما هو عليه من الدبابة  
والجهاد القديم فيه " ١ .

ومما تلاحظ في هؤلاء القادة الذين عددتهم انهم لم يكونوا مختصين بقيادة  
البحر فحسب بل كانوا تارة يغزون في البحر واخرى في البر حسب اقتضاء الامر  
والظروف وذلك لان الاسطول البحر والجيش البر كانا يعملان معا في غزو بلاد  
الروم . وكانت ادارة امجد البرية وابيورد عائدة في اساسها لمرجع واحد وهو الخليفة  
الذي يوجههم حسب رغباته ومسالخ بلاده . هذا لا يمنع من وجود رؤساء بحريين  
نقلوا في الملاحه وعرفوا احوال البحار واختاروا باجرا السفر وارسائها امثال عبد  
الله بن وزير الذي ذكره المسعودي .

ومن اشهر قواد الاسطول في الاندلس ابن رماحس ٢ الذي كان في زمن  
عبد الرحمن الناصر ٣٠ — ٣٥٠ هـ .

اما في زمن الفاطميين فكان ابن الثبان رئيس المراكب بقول المقرئ عنه  
" وكان له قدر وابهة في الابهام الامرية وغيرها " ٣ .

وفي زمن الايوبيين كان حسام الدين لؤلؤ الحاجب " متولي الاسطول بديار  
مصر وكان مظفرا فيه شجاعا كريما " ٤ ثم يعقوب الحلبي الذي اغرق بطسته كي  
لا يستولي عليها الصليبيون ٥ .

ومن قواد المالبيك اذكر ابن حسون الذي كان زمن السلطان بيبرس والذي  
سار بالشواني لفتح قبرس ٦ والقائد حسين الذي كان في زمن قانصوى النور  
واشتهر في محاربة البرتغاليين شهرة عظيمة ٧ .

وفي زمن المرابطين كان محمد بن ميمون من اشهر قواد الاسطول في زمن  
تاشفين ( ٥٢٧ — ٥٤١ ) هـ ٨ .

---

١ — مروج ج ١ ص ١٠٧ / ٢ — المقدمة ص ٢١١ وحساسة العرب ص ١٥١ / ٣ — الخطط  
ج ٢ ص ١١٤ / ٤ — الكامل ج ١١ ص ١١٩ / ٥ — سيرة صلاح الدين ص ١٤٩ / ٦ — الخطط  
ج ٢ ص ١١٤ / ٧ — بدائع الزهور ج ٤ ص ١٠٩ / ٨ — المبرج ٦ ص ٢٣١ .



اما في زمن الموحدين فقد نبغ القائد احمد الصقلي الذي يقول ابن خلدون " عنه ان " اصله من جزيرة جريا اسره النصارى من سراحليها وربي عندهم واستخلصه - صاحب صقلية واستكفاه ثم هلك وولي ابنه فاسخذه ببعض الثروات وخشي على نفسه ولحق بتون وفضل على السيد بها من بني عبد المؤمن واباؤ الى مراكز فتلقاه الخليفة يوسف بن عبد المؤمن بالمبرة والكرامه واحزل الدولة وقتله امر اساطيله فجلى في جهاد ام النصرانية وكانت له آثار وابار ومقامات مذكورة في دولة الموحدين . وانتشرت اساطيل المسلمين على عتده في الكثرة والاستجادة الى ما لم تبلغه من قبل ولا بعد في ما عهدناه " ١

وكان جحنون الرنداحي على قيادة الاساطيل بالمغرب في دولة الموحدين " ثم ورثها عنه بنوه الى ان زاحمه الغرقي بمناكب رياسته فقبوا من حبه فقتلهم من نزل بمالقه على ابر الاحمر ومنهم من نزل ببجاية على ابي حنبل ولهم في الدولتين آثار تشهد برياستهم " ٢

وكان القادة كثيرين في الدول التي عدتها وانما اکتفت بمشاهيرهم فقط وادا اردت ان تتحقق شئ هؤلاء القادة يتبع ان الذکر فقره من كدم ابر خلدون بعدد فيها بعض الأشخاص الذين توانوا على قيادة اسطون الموحدين زمن المنصور وابنه الناصر يقول " وبعت المنصور ( ٥٨٠ - ٥٩٥ ) هـ اسطوله مرارا مع ابن العلا ابر جامع ثم مع يحيى بن الشيخ ابراهيم الهزرجي فامتنعوا عليهم وقتلوا منهم خلقا وقوى امره وذلك سنة ثلاث وثمانين ثم لما هلك المنصور بعث الناصر ( ٥٩٥ - ٦١١ ) هـ اسطوله مع عمه السيد ابي العلا والسيدي ابي سعيد بر ابي حنبل فنازلوه وانخل من اخوه تاشفين بالناس ٥٠٠ ثم ولي الناصر عليها عمه السيد ابا زيد وجعل ابن طاع الله على قيادة البحر " ٣

في هذا الشريطين لك ان الكثيرين تناوبوا على قيادة البحر في مدة قصيرة . هؤلاء القادة الذين عدتهم هم احمر من توالوا على الاسطون العربي وهناك غيرهم سباني الكلام عنهم عند ذكر عمليات الاسطول الحربية .

١- المقدمة ص ٢١٣ وحقائق الاخبار ج ١ ص ١٧ والتعدين ج ١ ص ١٩٨ / ٢ - العبر ص ٧

٢- العبر ج ٧ ص ١٨٧



### الفصل الثالث

#### صفات الريان او الرئيس - والفائد

لا شك ان كثيرين ممن اشتغلوا برأسه الاسطول العربي كانوا ملاحين تعلموا  
فن الملاحة من تجاربهم الكثيرة التي عاينوها في اعمالهم البحرية ، وقد فرقنا سابقا  
في كلامنا عن قيادة الاسطول بين القائد والرئيس وقلنا ان الرئيس هو المدير لتسيير  
الاسطول وحركاته ، ولا شك ان قسما كبيرا في الغلبة والثوق في المعارف البحرية  
تتوقف على مهارة الرئيس في حركات الاسطول وحسن توجيهه اثناء المعركة . وتتوقف  
ايضا على مثانة السفن وتعام معداتها . فاذا كان تسيير الجنود وحشد همهم خلال  
القتال يتوقف على عمل القائد ومهارته فان ادارة التوتية وحركات الدواني وتعام الات  
الاسطول تتوقف على معرفة الرئيس واتقائه لحد البحر والملاحة . ونجد هذه الفكرة  
عند David Hannay الذي يقول " ان سر ادارة الحرب في البحر والظفر  
في المعركة لها علة شديدة بقوة المراكب وثقوت سلاحها . وهذان العاملان وهما  
قوة المراكب وثقوت سلاحها يتوقفان على عامل آخر يمكن ان يفسر سحبا ، ولكنه بعد  
دور علم الحركات الحربية وجد ان العامل الثالث لا يقل اهمية عن اي من هذين  
العاملين السابقين الا وهو : الحركات المتعددة التي يتخذها الرئيس اثناء القتال  
في المكان المناسب له . او ما يسمى بعلم الحركات الحربية اثناء المعركة <sup>١</sup> Tactics  
وساذكر بعد الصفات التي يجب ان يتحلى بها الرئيس او المعلم - كما يسميه  
ابن ماجه " مقتبسا اياها من ملاح عانى من الملاحة واتقنها وهو رئيس علم البحر  
اسد البحر احمد بن ماجه . فانه يقسم المعلمين الى ثلاثة اصناف فيقول " اعلم ان  
المعالم على ثلاثة اصناف فمنهم معلم يروى ويجي مرة سالما ومرة غير سالم يحسن  
جوابا ويخطي جوابا فذلك هو الادون من المعالم . والصنف الثاني هو المعلم  
المشهور بين الناس بالمعرفة السنية ، حادقا ماهرا في مكان يسافر اليه قد جره  
ولم يكن مشهور بعد موته . والصنف الثالث المعلم الذي لا فوقه صنف من اصناف  
المعالم الخابرين ، وهو مشهور باحد الدلالة السنية والحوصلة الكبيرة ولم يخف عليه  
شي من مشكلات البحر ويصنف تصانيف ينتفع بها في حياته ، وينتفع بها الناس بعد  
ماتته بشكره الصديق والعارف ويذمه الحسود والمخالف . . . ٢



بعد ان عرفنا اقسام المعلمين بحسب راي ابن ماجد لنظم الى رايه في علم اصول البحر يقول " فانه علم نفيس ولا يتم الا بتمام العمر ومن لا يدرك كله لا يترك كله . وينبغي ان لا يتكبر فيه الانسان كما قال المصنف في حواشيه شعرا :

وينبغي البعد من الحيلاء      عند كمال العلم والنها

وينبغي لعارف هذا العلم ان يسر السيل ويجتهد فيه غاية الاجتهاد ويسأل عن اهله ومن حزيه حتى يحصل مراده لانه علم عقلي وكثره السؤاا فيه ترقية لباقيه فيعلم ما لا يعلمه فنتم به رياسته لان من ادعى الرياسة بغير كمال اسبابها وادواتها فقد اخطا كما قيل

رياسات الرجال بغير علم	ولا تقوى الآله هي الخساسة
وكرر رياسته من غير علم	اذن من القعود على الكساسة
واشرف منزلا واعر عسرا	وخير رياسته ترك الرياسة

فان الخطا فيه فحل داء لتلف الارواح والاموال وهو اصعب شيء بعد خدمة الملوك . وسائر العلوم خضوعها لفظي بملك المراجعة وهذا لم يملك والعلم فحل لم يعطيك بعضه حتى تعطيه ذلك . وقال علي الله عليه وسلم يا ابن آفك آدم ان العلم والادب تمن نفسك لما تزداد فيه تزداد في شغك . وقال علي رضي الله عنه قيمة كل امرئ ما يحسنه " ١ .

ثم يصف لنا ابن ماجد الصفات التي يجب ان يتحلى بها المعلم عند ضلال التورس فيقول " واعلم ايها السائل ان عند الفتحة بكثر الكرم فما عليك منهم واعتمد على تهابك وارجع الى ما في كتابي هذا فان حاتم بن المجرى والقياس والوصف والسياسة والفراصة فقل بما عندك ولا تعجل بالنحو . وان نقرر من السياسة والفراصة والمجرا والقياس احدا منهم فاحجب عنان اللسان حتى تستوى نهاية المعرفة . والبر لم يعترف الا من البر فافره وما اختلف الصنوع على شيء الا وكشفته . فان جميع من ركب البحر مالههم صبر على المماراة وكثرة الكلام عند الفتحات وربما في سكوتك يتفقون على معرفة البر فيزول خطؤا وان احكموا لك القيار والمجرا والفراصة والسياسة وكنت معاود فكن لهم بجميع الاماكن والفتحات فان سكوتك عند الفتحات لم يكون الا اذا كنت سرورة



او اختلف عند الوصف او المجاز او القياس او شككت في بعض الاشارات فذلك الحين  
السكوت اولا من الكلام لان كلام غير لم تلتفت النار اليه وانت لو تكلمت بكلمة -  
واحدة لزمت بها دور جميع النار لانك اعلاهم مرتبة كقول الشاعر :

العيب في الجاهل المعمور مغمورا      وعيب في الشرف المشهور مشهور

وقال الطغرائي :

ويا حبيرا على الاسرار متلعسا      اصمت في الصمت منجاء من الذلل

فكر عند التفتات رزير العقل فان اكثر النجا في كثرة المنطق حصرها في هذه  
الصنعة وخطاها في الضيق اكثر من خطاها في الفعل " ا " وقول ايضا " وكن حازما  
قويا في قوت بين الطبيعة ولا تصحب من لا يتابعها فيما يعينك فلم تجد لك في الشدايد  
شريفا الا الاسرار وكن شجاعا دريا قليلا الدقة كثير الهمم كثير الصبر والاحتمال  
تقيا نفيا ولا تغلب احدا لاحد وتامل جميع الالات خموصا في السكان في كل حين  
وساه وتامل بحسب النبا المستقيين ، بعمل التعب الذي انت فيه غانه من ولا تنام الا  
بقدر ما يدمع عن السنة والنهر وعندما ترقد لا تغلب المسكن وحده وحارب النوم الحرب  
الكلي فان الخبر ابقى وان طال الزمان به - - - - - والشر اخبت ما ودعت من زاد  
كما قبل في ذلك شعرا :

خفوا في ظلام الليل كي تتقدموا      ومن سهر الليل الطويل تقدما  
ولا ترى خلا في السفينة وتعلمها الى وقت آخر الا عند الضرورة انشد ما انت فيها  
وجود الموسم واختصر اسحة واحسب حساب الحازمين المعارفين الخير والسر كما قال  
الشاعر في ذلك شعرا :

فما كل من يعزى بشيء بناله      ولا كل من يستعمل الشكر يشكرا  
وقال حازم من العرب شعرا حسنا :

سلوا الحسن فالخطب الذي تحسبونه      بسيما فقد تلفونه متعسرا

والحذر الحذر اذا استنار ، عدوك في السفينة فانه لم يستشيرك الا عند فساد  
الامر مقصوده يشركك في الشر . والمعلم الكلمة عليه سابقة فهدب الراى واصمت واوجب



واجب جوابا لا يمتد في العواقب ولا يلزم به . وينبغي انه اذا ركبت البحر -  
 نظم انظاره فان في السفينة صيف من اصاب الباري عز وجل فلا تفعل عن ذكره  
 فانه شديد العقاب . وانه لغفور رحيم لانه يمهلي ولا يهمل فلا يعرثك بالله الغرور  
 واتر ما بعينك وانه جميع الركاب من كثرة المال في البحر ينتع ، وما ينتع منه  
 الا الشر والبغى والعداوات . \*

ثم يذكر ابن ماجه الامور الاساسية التي يجب على المعلم معرفتها فيقول  
 " اعلم ايها الطالب ان لركوب البحر اسباب شيرة فافهمها فاولها معرفة المنازل -  
 والاخفاف والدبر والمناجات والجاهات والقبائل والامارات وحلوس الشمس والقمر والارياح  
 ومواسمها ومواسم البحر والاسفينة وما يحتاج اليه وما يضرها وما يرفعها وما يضطر  
 اليه في ركوبها وينبغي تعلم المطالع والاستقابات وجلسة القبائل وترتيبها ومنازل النجوم  
 ومغاريها وعولها ورسبها وبعدها وممرها . ان كان معلما ماضيا . وينبغي ان تعرف  
 جميع البرور وندهجاتها واماراتها كالطير والحيات والحيتان والموازي والارياح .  
 وتعتبر امواء ومد البحر وجزره في كل عرقه يكمل جميع الالة ويتفقد في احسان -  
 السفينة والاتها ورجالها ولا يشحنها غير العادة ولا يطعم في مركب لا يصح فيه ولا  
 مركبا بغير اعتداد ولا في موسم صير ويحترز عن الاخطار في مثل هذه ورجال وغيره .  
 وينبغي للمعلم ان يسود استبر من النواحي يفوق بين العجلة والمركب عارفا عالما -  
 بالاشياء فاما فتاكا لين في قوله عادلا لا يظلم احدا لاحد مقيم على الطاعة تربه متق  
 لله تعالى لا يغضب التجار على حقوق الا على شيء وقع عليه القول او جرت عليه  
 العادة . يحذر الاحتفال عالى الهمة سيارا مقبولا بين الناس لا يسمى فيها لا يصلح  
 له ادبيا لبيا والا فليس هو معلم بالقاعدة . \*

ثم يذكر ابن ماجه واجبات المعلم قبل سفره وماذا يجب ان يقوم به من الاعمال  
 من تفقد احوال السفينة وادواتها فيقول " فاعلم وفق الله اذا عرفت جميع ذلك  
 وارتدت العمل به تامل في السفينة وهي فوق الارض واكتب جميع خللها . وقليل في  
 زماننا من يفعل ذلك في الناس وانما القول على اهل الكمال لير القول على مفسد  
 يبيع نفسه وغرضه بايسر شيء من الطمع . واذا ركبت فيها انصب عودا وفيه خوقة درا



او حريرا ونظن لتعريف الوبي به من اي جن . وجلس الحق في مكانها وتلقى كل التقدير  
اول في نصب الحق لان من المراكب ما يكون في نحرته خلل فيعدى بها من مجراك  
فاستدراك الامر باوله . وتأمل الجاه باللبين وحده في مكان يوافق المكان الذي حكمت  
عليه بالحقه بالنهار حتى لا يكون بالنهار محير وبالليل مجر، ويعتدل الطريق لحكم -  
جميع ذلك اول سفرنا فما تنفع الندامة آخر السفر " ١

بعد ان يذكر ابن ماجه الصفات العديدة للمعلم بالقي عليه نصيحة الخيرة  
فيها مسحة من اعتقاده بالقدر مستمدة من العقيدة التي يؤمن بها فيقول :  
" فان قصرت في شيء من ذلك فلا تلوم الا نفسك فان دركك اعظم من درك جميع  
من ركب البحر فان فعلت جميع ما امرت به واخضعت فاننا الملم حيا وميتا . واما القضاء  
والقدر فهو غالب لانه من الله تعالى وقد قعدوا ذلك بقيدان جميع ما يفتش بدم عليه  
الانسان الا القضاء والقدر ولا حيلة له به بل يتلقاه الدعاء فيعتلجان الى يوم القيامة .  
فاكثروا من الدعاء لانه مهلك منه احد . وقال سبحانه وتعالى ( اذهبني استجب لكم )  
وثلاثة من الهمم لم يحرم ثوابها : من الهم السعاء لا يحسن الاجابة ومن الهم الاستغفار  
لم يحرم المغفرة ومن الهم الشكر لم يحرم الزيادة . ولا تتركوا حرب البحر وهذه  
الحصن الحصين " ٢ ثم يذكر ادعية وبعض آيات من القرآن الكريم تنفع في دفع البلاء  
وافرا الشدة والكرب تدلنا على معتقده الراسخ وفكره الدخيلة من ترب الامور لمشيئة  
الله بعد القيام بالواجب .

ان هذه الصفات التي يذكرها ابن ماجه تنصب على المعلم في المراكب التجارية  
وهي تنبر الفرس لنا من الاصول التي كان يتبعها اب ريو ورجان الاسطون في -  
اسفارهم والعدد التي يتخذونها في ترحالهم وغزواتهم . ومما اختلف نوع السفر في  
البحر ومما تعددت غاياته سواء كانت تجارية ام حربية فالاصول والفوائد المعروفة  
تبقى متبعة عند الجميع ويستخدمها المعلم في مرتبه والرئيس في اسعوله ٣  
اما صفات الفائد او المقدم وواجباته فتجلى لنا من عبارة الفلفشندن التي  
كان الخلفاء الفاصيون يرغبون ان يتحلل بها ويقو بتنفيذها من يقدمونه على اساطيلهم



أما صفات القائد أو المقدم وواجباته فتعجلي لنا من عبارة القلقشندي التي كان الخلفاء  
 الفاطميون يرغبون أن يتعجلي بها ويقوم بها من يقدمونه علي أساطيلهم يقول "وقدم علي الساطم  
 والمراكب العربية وأعمالها ورجال البحر من فتخاره لذلك من أمائل الأمراء المشهورين بالعدة  
 والنجدة والبطارة والمهارة والخبرة بمسكة البحر والقتال فيه ومرتبه بالتفصيل وملازمة السيف و  
 الارضاء من السلوط بحيث يتأمل خازنها ليكون ما حمل عليها من ميرة وعدة قريبا منها فان ناز  
 نازلت ففرا من نفور الساحل فاملاؤه بالفيل من يره وبالسفائن من بحره واستخدم لخط ما فيها  
 من بن الأزواد والأسلحة والعدد والنفط ودهن البلسان والعيال والفرادات وغيرها من الآلات من  
 توفى بأمانه ومعرفة وقدم اليهم بالعونة علي ما يفرحونه من العواري واسترجاعه بعد الضي  
 عنه واستظهر بذلك استظهارا بحمد موقعه لك ويعرف به رعين رأيك وسديد مذهبك " ١  
 هذه لمحة موجزة عن صفات الرئيس والقائد التي كان يستحسن أن يتعلف بها كل من  
 نال هذه الرتبة وعاز هذا المنصب الرفيع في خدمة الأسطول .  
 ولنتفعل الآن للكلام عن <sup>أدائه</sup> تعمله الأسطول .



## البا - الخامس ادارة الأسطول

### مقدمة

لم تكن ادارة الأسطول في المعهود العربية الأولى تنظم عن غرض الخليفة . اذ ان جميع اعمال الدولة كانت تدور حول غرضية الخليفة . فهو قطب الرحى والعمال والولاك حوله هم المنفذون لأحكامه وأوامره . ففي العصر الأموي كانت ادارة الأسطول في الشام ومصر تابعة لماحب النفود القاسية كما يقول ابن خردادبة " والمدبر لجميع امور المراكب القاسية والمصرية صاحب النفود القاسية " ١ . ولما كانت اعمال الأسطول متعبة ومساعدة لأعمال الجيش البري لذلك كانت ادارته علي الأغلب تابعة لماحب السيف . فرتئيس الجند هو المتصرف علي الأسطول المحلي وهو المدبر لشؤونه في مملكتي الأندلس وإفريقية كل كما يقول ابن خلدون ٢

اما نفقات الأسطول وأجور بحريته فكانت تابعة لهيئة المال فكان وكيل بيت المال زمن الفاطميين هو المفوض في بناء المراكب وأجراء ما يجب عمله بالنهاية عن الخليفة يقول القلقشندي " ويقوض اليه ( صاحب وكالة بيت المال ) عن الخليفة جميع ما يري بهه من كل صنف يملك ... وانشاء ما يري انشاء من الهناء والمراكب وغير ذلك مما يحتاج اليه في التصرف عن الخليفة " ٣ ولم تستقل ادارة الأسطول ويصبح لها جهازا خاصا له ادارته وماليته واعماله المختصة به الا في زمن الأيوبيين كما سنري .

وقد قسمت الكلام في ادارة الأسطول الي سبعة فصول ادكلم في  
الفصل الأول عن ديلون الأسطول زمن الأيوبيين .

الفصل الثاني عن تجمع مراكب الأسطول قبل الفزو .

الفصل الثالث عن عدد مراكب الأسطول في مختلف الدول العربية .

الفصل الرابع عن أجور البحرية .

الفصل الخامس عن تحصين السواحل في مختلف الأديوار العربية .

الفصل السادس عن وداع الأسطول عند ذهابه للفزو وعند عودته منه .

من خلال هذه المباحث المتنوعة نصل لنا فكرة عامة عن ادارة الأسطول لذ اننا سنري



في هذه الفصول واردات الأسطول في زمن من الأتھان ونوي أيضا ما يعرف علي بناء الأسطول في والبحرية وتعتبر الموانئ ومصونها وما يقدمه الخلفاء والسلاطين من الأموال والغلج لرجال الأسطول... كل ذلك مصلتنا ذكره عامة عن الإدارة في الزمن القديم .

ولنبعد الآن بالكلام عن ديوان الأسطول .

### الفصل الأول

#### ديوان الأسطول زمن الأيوبيين

قبل البحث عن امر الديوان يجب ان نتعرف الي مكانه ومن الطبيعي ان يكون قريباً من مراكز دور الصناعة لعدة الاسباب بين ادارة الأسطول وانشاء المراكب التي يتوقف علي وفرتها ومتانتها قوة الأسطول . فالمصريين يحدونا ان مكان ديوان الأسطول كان في داخل دار الصناعة بمصر يقول " وقال الزمن الطويل الخدمة في ديوان الجهاد ويقال له ديوان الصاوي وكان محله بصناعة

الأنباء بمصر " ١ ويقول أيضا عند كلامه عن صناعة مصر ومنظرها مايلي " وكان بهذه

الصناعة ديوان الصاوي " ٢

اما رئيس هذا الديوان فقد كان الملك المعادل اخو السلطان صلاح الدين الأيوبي ولاء اياه لخدمة به واعتماده عليه لعلنه بأهمية الأسطول ومكانته في حفظ الدولة للإسلامية لاسيما في زمن كان المسلمين يفترون به وامل على البلاد الإسلامية بمراكبهم واساطيلهم فكان من اللازم على السلطان صلاح الدين ان يوكل امر لرجل حازم يقن بأمانته واخلاصه ليقف في وجه اولئك القوم الطليعين في البحر كما كان هو بنفسه آخذ امر معاربتهم في البحر فقام الملك المعادل بخدمة هذا الديوان حين القيام وولي عليه مولى الدين عبد الله بن علي بن عكر — ليقوم بالأعمال وينفذ اوامره واوامر اخيه السلطان وقد رفع الملك المعادل اجود البحرية وعمل الأسطول عما كانت عليه ليقوموا بالخدمة عن القيام يقول القريزي في ذلك " وسلم هذا الديوان لأخيه الملك المعادل ابي بكر محمد بن ايوب فاقام في معارفته وعاملته مولى الدين عبد الله بن علي بن عكر وتقرر ديوان الأسطول الذي ينتقل في رجاله نصف وربع دينار بعد ما كان نصف وزمن دينار / ٢



ولم تكن أعمال هذا الديوان مقتصرة في أدلة المراكب العربية فقط بل كانت تتناول أمر إدارة المراكب الدهوانية وما يتعلق بها من الأعمال . يقول القلقشندي الخدمه في ديوان الجهاد يقال له ديوان العماثر وكان عمله بالصناعة يمرر وديه إنشاء المراكب للأحطول وعمل الفلال السلطانية والأحطاب وغيرها ومنه ينفق على رؤساء المراكب ورجالها ٣٧٤٠٠٠ . ويقول المقريزي " ديوان العماثر . للأحطول والمراكب العاملة للفلات السلطانية والأحطاب وغيرها . " ١

#### أما أعمال المراكب الدهوانية فهي كثيرة

بعضها يرسم الخليفة للنزول فيها يوم فتح الخليج ٢ وقد ذكرنا عن ذلك عند ذكر المصاريف . وبعضها لنزهة الخلفاء وأهله ٣ .

وبعضها يرسم ولاية الأعمال المميزة يقول المقريزي " فهي تبنى لهم وينفق في رؤسائها ورجالها أينما كانوا من مال هذا الديوان وتقيم مع أحدهم مدة مقامه فإذا صرف عاد فيه وخرج المتولي الجديد في العناري المرسى بالصناعة ولا يخرج إلا بتوقيع بإطلاقه والانفاق فيه . وللشارفين بالأعمال عناريات دون هذه ٤٠٠٠٠

وبعضها يرسم الفلال والماصات السلطانية يقول المقريزي " وكان في الساحل بطريق مصر من القاهرة في السامعين المنسوبة الي ملك مرام الدين حللها ثوبتان معلوئتان بهنا معبقتان كتمهة في المراكب كالجبلين اللطيفين ولهما مستخدمون حام ومعارف وعامل بجامكنة جيدة عمل بذلك المراكب العبانة المؤهلة له من موظف الأتبان بالبلاد الساحلية وغيرها مما يدخل اليه في أيام النيل ولها رؤساء وأمرها جار في ديوان العماثر والصناعة . والانفاق منها بالعوديات السلطانية للاصطبلات المذكورة وغيرها من الأواشي الدهوانية " ٥

#### واردات الديوان

وكان لهذا الديوان واردات خاصة منها لرجال الأحطول ونواحي المراكب المحيطة

٤ - صبح الأعتر . ج ٣ ص ٤٩٦ ١ - الخط ج ١ ص ٤٨٢

٢ - الخط ج ١ ص ٤٨٢ / ٣ - نفس المصدر ج ١ ص ٤٧١ / ٤ - نفس المصدر ج ١ ص ٤٨٢

٥ - نفس المصدر ج ١ ص ٤٤٥ .



الديوانية وموظفي الديوان ولمختلف انواع الدفقات من الأتقاء والمعدات وغيرها . وهذه الواردات هي

اولا بعض المقامات التي خصت واردة لها لهذا الديوان بعدد ما المقرري بقوله " ونحن وعين لهذا الديوان اليوم باعمالها والحرص الجيوشي في الهومن الثوني والفري وهو من البر الثوني يهين . والأصيرية . والمنية ومن البر الفري ناحية مفا ووسم والباسين خارج القاهرة ... وناحية اغناي ولبندي <sup>١٨</sup>

ثانيا الحراج . وهي في الوجه القبلي من الديار المصرية يقول المقرري " وعين له انما الحراج وهو اشجار من سنط لا تحصى كثرة في المهنساوية وخط ديشين والأشمنين والاسيوطية والأخميمية والقوصية لم تزل بهذه النواحي ولا يقطع منها الا ما تدعوا الحاجة اليه وكان فيها ما تهاجم قيمة العود الواحد منه مائة دينار " ٢ ويقول ابن ماضي ان لهذه الحراج رسم علي من يعاودها من النواحي يقال له " مرة السنط " وهو مقابل ما ياخذونه من الأخشاب برسم عمائرهم . وقيل هذه الحراج يدفع احرة كل مائة حمل <sup>١٩</sup> دينار واحد والمشرط علي المستخدم حين في تقديم الأشجار ان لا يقطعا عينا من خشب العمل الصالح لصاثر الأطول وانما يقطعون الأطوار والشمم وما ينتفع به في الوقود ويسمي حلب النار . وعادة الديوان ان يهاجم التجار علي هذا الحطب ما يبلغه عن كل مائة حمل أربعة دنانير من الأشمنين والاسيوط وأخميم وقوص ويكتب للمستخدمين بذلك فاذا وصلت مراكبهم اعتبر ما فيها زما كان فيها من خشب العمل استهلكه للديوان وما كان من حلب النار فويل ما في الرسالة المسيرة تحريم فان كان فيها زيادة عما تضمنته اخذت ولا يكتب لها فيه وربما استخرج منه هومن الزاء معه بنسبة ما كان اشترى من مستخدمي الديوان ٣

ثالثا وارد ارباع الكبار يقول ابن ماضي عنها " هذه مراكب تمر من هذه الحراج المقدم ذكرها . فاذا وصلت الي ساحل مصر قومت او نودي عليها فحما بلغت اليه من القمن طوب صاحبها بعد الربع من القيمة ضريبة استمرت وحالة استمرت " ٤ ثم بطلت هذه الضريبة فيها بعد ثانيا لواء معاملة المستخدمين علي ارباب المراكب .

رابعا المراكب الملوحة يقول ابن ماضي عنها " هذه مراكب جارية في ملك الديوان يخدمون البحر لعدة مملوكة بآجرة مفهومة فاذا احتاجت الي عمارة اعد لهم عن مدة العطلة بآجرة

١ - الخياط ج ٢ ص ١٩٤ / ٢ - نفس المصدر ج ٢ ص ١٩٤ / ٣ - قوانين ص ١٧ - ١٨

٤ - نفس المصدر ص ١٨ .



تظهرها من مدة العمل وستعها فترة عشر عشر ١٠٠٠٠  
 خاصا ما يستادي من اهل الذمة . فقد كان هناك ضرائب ومكوس خاصة علي تجار اهل الذمة  
 خصت لدهوان الأطول وكانت ومن ابن مسامي كما يلي " الذي يستادي من اهل الذمة الآن  
 نصف ما كان يستادي منهم من قبل علي حكم المعاملة لاحكم الضريبة . والمواضع التي يستادي  
 فيها مصر والاشكندرية واغصم . واما بقية الأعمال فلا يبي فيها للدهوان " ٢ . واما  
 الضريبة التي تؤخذ من تجار الروم فهي الخمس ويحدده ابن مسامي بقوله " الخمس عبارة عنها  
 من المستاذن من تجار الروم والواردين علي الثغر بمقتضى ماصولوا عليه وربما يستخرج عن  
 ما قيمته مائة دينار ما ينفون عن خمسة وثمانين دينارا وربما انط عن المئتين دينارا ويسمي  
 كلاهما خصا . ومن اجناس الروم من يستادي منهم العشر الا انه لما كان الخمس اكبر كانت  
 النسبة اليه اشهر ولذلك ضرائب مستقرة وهواء مستقرة واطراح مألوفة وطرائق فيها بين  
 المستخدمين فيه معروفة ٣٠٠٠

سادا الزكاة يقول المقريزي عنها " تم افرد لدهوان الأطول مع ما ذكر الزكاة  
 التي كانت تجبي مصر وبلغت في سنة زيادة علي خمسين الف دينار " ٤  
 ما بها خصت اثمان بعض مواد من الطهيمة لدهوان الأطول كالنطرون والصب . يقول المقريزي  
 عن النطرون " وعين له ايضا النطرون وكان قد بلغ ضمانه ثمانية الف دينار " ٥ ويقول  
 ابن مسامي عنه " النطرون يوجد في معدنين بالديار المصرية احدهما في البر الغربي ظاهر  
 ناحية يقال لها الطرانة بهنه ويوجد وبيننا نهار وهو صنفان احمر وخضر والآخر بالقنوسية  
 ولهم يلحد في الجودة بالاول وهو مخطو مدود لسهل الي ان يتصرف فيه غير مستخدمي الدهوان  
 والنفقة على كل قنصه فنطار منه درهمان . ويبلغ ثمن القنطار لموضع الحاجة اليه ستمين درهما  
 واكثر من ذلك والعلادة المستقرة فيه الآن انه مضي انفق الدهوان علي المستخدمين من اجرة  
 حولا عشرة آلاف قنطار التزموا حمل خمسة عشر الف قنطار والزيادة فيه نصف قنطار وتؤخذ  
 خلوا المستخدمين بالتزام ذلك والذي تدعو الحاجة اليه في كل سنة من صفه ولا يكون الف  
 قنطار ويلزم الضمان تلمه من ناحية الطرانة ليهلم الدهوان من نفس وزنه وخطر غرقه .  
 وهذا المعني وان كان فيه حيلة للدهوان فهو يؤول الي تأخير الاقساط عند الضمان لأن من  
 عاديهم انهم مضي لم يقضوا نظرونا لم يلزمهم عنه ثمن فهم اهدا يؤخرون فبض جميع مالهم

١ - نفخه ثوانين ص ١٨ والنظا يقول المقريزي " والفرد له المراكب الدهوانية " ص ١٩٤ / ٢ - قوانين  
 ص ١٩ / ٣ - نفس المصدر ص ٢٢ / ٤ - نفخه ثوانين ص ٢٢ والنظا ص ١٩٤ / ٥ - نفس المصدر ج ٢  
 ص ١٩٤



فيه أو أكثره ليطوا ما يحتاجون به ولا يفرون من صنعه ما يتباعونه فلما من العرمان  
لعجز النواب عن ضبط الوادي وحفظه منهم فيحصلون علي فاعلا الضمنا وكسر مال الدهوان .  
وليس للضمنا من المعيشين في الغزل ما يتباع شي منه وإنما المبحنون واضباب القناوير  
يحتاجون اليه ولا يبطونه إلا عندهم فتلجهم الضورة الي ابعثاعه منهم بالمر المقدم ذكره  
علي ما يتفق من غير زيادة فيه . وهذا الباب معروف ماله أو أكثره في نفقات الفزاة  
وقواد الأسطول . ١

أما السب فهو كما يقول ابن مسني عنه : حبر يتعاج اليه في اغواء كبرة اهيا  
الصبح وللوم فيه من الرغبة ما يحذونه من الفاقة وهو عندهم مما لا بد منه ولا مندوحة  
عنه . ومعادته ببحراء وحيد يمر وعادة الدهوان ان يتفق في تحصيل كل قنطار منه  
باللبيث ثلاثين درهما وربما كان دون ذلك . وجهها بدلا للمرب من معدنه الي ساحل قوص  
والي ساحل اخميم وسيوطا والى الهنسة ان كان فباعه من واحات ويحمل من اي ساحل كان  
عليه الي الاسكندرية ايام جري الماء في خايحها ولا يمتد للمستخدمين فيه الا بما يطلع  
بأنه اعتبار في منجوبها متحرها . هذا الذي توجهه العولاء للدهوان لظا يؤخذ في غيرها .  
فينتقل أو يهيج به السوفيين ومن خرج عن اعتماد ذلك من اصحاب الديوان فقد تعرض  
للدرأ وتعرض للخطر . وهو ينتون باللبيث وبيع بالبحروي . وآخر ما تقر به به من  
على نهار الروم اثنى عشر الف قنطار وسيم زاد عن ذلك كان باحتياط المستخدمين فيه مع  
خفا ولابو العتار . فاما سعره فقد كان تردد من اربعة دنانير عن القنطار التي خمسة دنانير  
الي ستة دنانير وما بين ذلك ومنها استظهر فيه بزيادة يهولها العطار عن رغبة كان ذلك  
من اجتهاد المستخدمين . فاما ما يباع بسعر على اللبادين والحمرين والمبايعين فمقدرة  
ثمانون قنطارا بالبحروي السنة وسعر سبعة دنانير ونصف وليس لأحد ان يشتريه من العرمان  
ويورد به لمتو به غير الدهوان . ومعنى وجد شي منه مع احد استهلك حسا للمادة . وتقليطا  
في العقوبة ولم تجوز المادة بحمل شي منه الي دمياط ودنيس . واما حمله الي الاسكندرية  
به ومنه نوع يسمى الكوار يبحر من واحات ويمتد به المستخدمين في حوالها كل  
قنطار مدينار وقرطابين وبمضي ذلك معمولا الي المعجر علي ما سلف الحديث فيه . ٢  
هذه هي اهم واردات ديوان الأسطول في العصر الأيوبي . اقول اهم وليس جميع



وارادته لان ابن ماضي بعد ان يحدد هذه الواردات يقول " ولذلك ضرائب لحاجة بنا الي ذكرها الآن لأن استعصامها لا يمكن والأثمان بها لا يحدد " ١ والحقيقة ان هذه الواردات عظيمة القدر والمقدار تدل علي علم النفقة التي تبذل علي الأسطول وما يتبعه من الأمور ومع ذلك فكثيرا ما يقع ديوان الأسطول بمصر بسدده بالأسفانة بمال يستعده من بيت مال الدولة يقول القلقشندي " وإذا لم يرفع ارتفاعه بما يحتاج اليه استدعي له من بيت المال بما يكره " ٢ وكذلك الطبريزي يقول " وإذا لم يرفع ارتفاعه بما يحتاج اليه استدعي له من بيت المال ما يحد ذلك " ٣ ولذلك فقد صدق ابن ماضي في تعريف الأسطول بقوله " الأسطول وهو جهة اتقاف وربما حل منه ما يستخرج وينفق " ٤ ولذلك فقد عرفه بلفظ حاسب يقدر النفقة والوارد على القيام قدره . فهو من جهة النفقة يستغنى مال الدولة الا انه مقابل ذلك يعمها ويعد عن مواجلها غارة الأعداء .

ويتجلي لنا معروف الأسطول وما تنفق عليه الدولة من الأموال اذا بينا عدد المراكب المنتشرة في كل دور من الأدوار العربية والأجود التي يتناولها البحارة ووزراء الأسطول .

### الفصل الثاني

#### تجمع مراكب الأسطول قبل الفزو

كانت مراكب الأسطول العربي قبل الفزو تتجمع من مختلف أنحاء المملكة في مكان معين ثم تسير من ذاك المكان الي الجهة التي تريدونها يقول ابن خردادبه " ومقدار ما يفتروا في الفزاة من مراكب الفزوة القائمة ما يتجمع اليها من مراكب الشام ومصر من الثمانين الي المائة والفزاة اذا عزموا عليها في البحر كوتب اصحاب مصر والشام في العمل علي ذلك والقاهب له يجمع بجزيرة قبرص " ٥

فمراكب الشام ومصر اذن عند الفزو تتجمع في جزيرة قبرص ثم تسير من هناك الي الجهة المعينة . وكذلك الحالة في الأندلس فقد كانت المراكب زمن الخليفة الناصر عند الرحمن الثالث تتجمع من مختلف أنحاء المملكة قبل الفزو ثم يوجهها الخليفة الي الهدف للفتح والغوص يقول ابن خلدون " وكانت اساطيلها ( الأندلس ) مجمعة من مائة الف مراكب من كل بلد تتخذ فيه الفن اسطول " ٦ وكثيرا ما كانت تتجمع المراكب في دانية او في العربية يقول ابن عبد المنعم

١ - قوانين ص ١٩ / ٢ - صحيح الأعني ج ٢ ص ٤٩٩ / ٣ - الخطاط ج ١ ص ٤٨٣ / ٤ - قوانين ص ١٥

٥ - المسالك ص ٢٥٥ وخط الشام ج ٥ ص ٢٩ والتعدين ج ١ ص ١٩٢ / ٦ - المقدمة ص ٢١١ .



" دانية مدينة يترقي الأندلس على البحر عامرة حسنة ٠٠٠ ومنها كان يخرج الأسطول الى  
 الفزو ومنها ينشأ أكثره ٠٠٠ " ١ ويقول باقوت عن المريه " ولها يكون ترميب الأسطول  
 الذي للمسلمين ومنها يخرج الى غزو الأفرنج " ٢ .  
 اما في زمن الفاطميين فكانت المراكب تتجمع في دنيضا ثم تخرج منها للمكان المقصود  
 يقول المقريزي " وينحدر الأسطول الى ضيق دنيضا ومن هناك يخرج الى بحر الملح فيكون له  
 بهلاد العدو ضيق عظيم وسهولة قوية " ٣ .  
 وفي زمن المالكي لما عزم السلطان ميمون علي فوج قبرس استدعي المراكب من جميع  
 القصور واجتمعت في ممر يقول المقريزي " استدعي بشواني القصور الى ممر فبلغت زيادة علي  
 اربعين فعامة سوي المراكب والاراء فانها كانت عدة كثيرة . ذلك في شوال سنة سبع وسعين  
 وستمائة . ثم سارت تربد قبرس " ٤ . اما في زمن الناصر محمد بن قلاوون لما سارت المراكب  
 لفتح قبرس تجتمعت اول في طرابلس لانها اقرب للجزيرة المصودة . وكان مركز حركات الأسطول  
 هو منها . طرابلس فيفتنون منه ثم يعودون اليه يقول المقريزي " وساروا الي منها . طرابلس  
 ثم ساروا ومعهم عدة من طرابلس فاعرفوا من الغد علي جزيرة اواد من اعمال قبرس " ٥ .  
 وقادوا اهلها وقتلوا اكثرهم وملكوا ٠٠٠ واحتلوا علي ما فيها وهبوا اموارها وعادوا الي  
 طرابلس " ٥ . ويقول صالح بن يحيى في ذلك " واجتمعوا المراكب كلها في طرابلس وهم ست  
 عمالات وعمر المربة كبار ٠٠٠ فكانوا اربعين فعامة " ٦ .  
 هذه هي اهم المدن التي يجتمع فيها الأسطول العربي ويتوجه منها جهة معينة للفزو  
 فيشكل فيها كدلة واحدة قوية ثم يسير لأفاد ما امر بعمله .  
 ولنتفعل الآن لذكر عدد مراكب الأسطول .

### الفصل الثالث

#### عدد مراكب الأسطول في مختلف الدول العربية

ان في عرض عدد مراكب الأسطول في الأعر العربية لمختلف الدول التي طاعت في الأعمال  
 البحرية لصورة لما كان ينفذه الخلفاء والسلاطين علي الأنباطيل . فكترة المراكب تدل علي  
 عناية الدولة واهتمامها بسلام الأسطول كما ان وفرة عددها دليل علي كثرة النفقة عليها  
 وازدهار معروفها ولتري الآن عدد مراكب الاسطول في كل دولة من الدول العربية

١ - الروس من ٢٦ / ٢ - معجم البلدان ج ٧ ص ٢٦٧ / ٣ - الخط ج ٢ ص ١٩٣ / ٤ - نفس المصدر

ج ٢ ص ١٩٤ / ٥ - نفس المصدر ج ٢ ص ١٩٥ / ٦ - تاريخ بيروت ص ٢٢٢ .



لا شك ان عدد مراكب الأسطول لم يكن ثابتا في دولة من الدول خلال السنين المتعددة التي حكمت فيها وانما كان عدد هذه المراكب يزيد وينقص حسب قوة الدولة وضعفها . فعند قوة الدولة وحيويتها ينشط الأسطول ويقوي ويزيد عدد مراكبه وجنده وفي ايام انحلال الدولة وضعفها يهمل امر الأسطول وتنتفست المراكب ويهدد معظمها . وفي الأقبالا العالية التي اوردتها عن لسان المؤرخين لعدد مراكب الأسطول في مختلف الدول العربية التي حكمت في العصور الوسطى مقياس لقوة الأسطول وعظمته من جهة . وضعفه وانعدله من جهة اخرى . وقد سألت في تعداد الأخبار والروايات عن عدد مراكب الأسطول العنصر التاريخي الزمني لهذه الدول التي لها علاقة بتلك الحوادث .

ففي زمن معاوية المؤسس الكبير للأسطول العربي كان عدد مراكبه التي غزا فيها سنة ٨٢٢ هـ لجزيرة قبرص خمسمائة مركب يقول البلاذري نفزام معاوية سنة ٢٣ في خمس مائة مركب ففتح قبرص عنوة ١ . وآخرا ما وصل اليه اسطول الأمويين زمن الخليفة معاوية هو ١٧٠٠ سفينة كان يفترو فيها الردم المائة والفاية ٢ وهذا عدد كبير فدل ان نجد مثله في بداية العصر العربي العالية يدلها علي مهلة اهتمام معاوية بالأسطول وعظمة القوة البحرية في زمنه .

وليس لدي نص عن عدد مراكب الأسطول في زمن العباسيين واكن كان عدد السفن التي ينقل الناس والذخائر في نهر دجلة في بغداد في اوائل القرن الرابع فلابين الفا ٣ وهو عدد عظيم يدل علي علم الحركة التجارية في تلك المدينة في القرن الرابع هجري .

اما في الأندلس وافريقية فيقول ابن خلدون مايلي " وانتهى اسطول الأندلس ايام عبد الرحمن الناصر ( ٣٠٠ - ٣٥٠ ) هـ الي مائتي مركب او نحوها . واسطول افريقية كذلك مثله او قريبا منه " ٤ اما في الأيام الأخيرة فقد نقر عدد مراكب الأسطول في الأندلس وافريقية يقول ابن خلدون في " انطشان الأساطيل في مصر والشام وبقي في الأندلس وافريقية وبقيت دولة المغرب منقصة بها وظل ذلك شأنهم الي آخر دولتهم وكان عدد اساطيلهم في العدوتين ( اوديا وافريقية ) علي ما رواه ابن خلدون ستة اسطول هي " ٥

امافي مصر فكان عدد المراكب زمن احمد بن طولون ( ٦٥٤ - ٦٧٠ ) هـ مائة مركب حربية حوي ما يضاف اليها من الملاميات والعمائم والمشاريات والسفنايك وقوارب الخدمة ٦ . اما في زمن الفاطميين فلم يكن عدد المراكب ثابتا واعظم ما وصل اليه الأسطول في زمنهم ايام الخليفة المعز لدين الله ( ٣٤١ - ٣٦٥ ) هـ مائة قطعة . يقول المقريزي " وذكر ابن أبي طي

١ - فتوح البلدان ص ١٦٠ / ٢ - النظم الإسلامية ص ٢٤٨ ومعاوية ص ٦٨ / ٣ - الحضارة الإسلامية ج ٤

ص ٢٣٥ / ٤ - الخدمة ص ٢١١ / ٥ - المدن ج ١ ص ١٩٨ / ٦ - الخط ج ٢ ص ١٨٠ .



ات المعز لدين انشأ صناعة مركب لم ير مثلاً في البحر علي مدينة " ١ ولما صنعت الدولة نفس عدد مراكب الأسطول وأصبح قريبا من مئة مركب يمددهم الدلفندي بقوله " وكان أسطولهم يومئذ يزيد علي خمسة وسبعين شينها وعشر مسطعات وعشر حمالات وعشرة المراكب متواصلة بالصناعة لا تنقطع وكان لهم أيضا أسطول بمغذاب يدلفي به الكارم فيما بين عيذاب وسواكن وما حولها غولا علي مراكب الكارم من قوم كانوا بجزائر الدلم هناك يعترضون المركب فيجمعهم الأسطول منهم وكان عدة هذا الأسطول خمسة مراكب ثم حارت الي ثلاث وكان والي قوس هو المتولي لأمر هذا الأسطول وربما تولاه أمير من الباب ويحمل اليه من خزائن السلاح ما يكتفيه " ٢ . وعند انقراض الدولة الفاطمية كان عدد مراكب أسطولهم لا يزيد عن عشرة غواني فيها عشرة آلاف مقاتل يقول المقريزي " ورايت بخط الأحمدي بن مسامي أن عدة الجيوش بمصر في أيام رزك بن الصالح طلائع بن رزك كانت أربعين ألف فارس وستة وثلاثين ألف راجل وزاد غيره وعشرة غواني بحرية فيها عشرة آلاف مقاتل . وهذا عند انقراض الدولة الفاطمية " ٣

أما زمن المالكي فكان عدد المراكب زمن السلطان بيبرس (٦٥٨ - ٦٧٦) هـ أربعين قطعة يقول المقريزي " وقد تصني له بذلك أن بعد أسطولا مكونا من أربعين قطعة حربية سيده الي جزيرة قبرص سنة ٦٦٩ هـ " ٤ ثم زاد عدد المراكب في سلطنة الأتوق خليل بن فلاوون (٦٩١ - ٦٩٣) هـ الي ستين مركبا يقول سرور " فاهتم الأتوق خليل بن فلاوون علي أمر اعتلائه سلطنة مصر ... بإنشاء أسطول قوي ولما كملت عدده الستين مركبا أمر بتجهيزها بالآلات العربية والرحال " ٥ وفي زمن المالكي البرجية ازداد عدد مراكب الأسطول فكان عددها أثناء سلطنة السلطان برساي (٨٢٥ - ٨٤٢ هـ) كثيرا يقول ابن تقي بردي " أن عدد مراكب الغزاة المصريين والفاطميين زادت علي مائة قطعة وقيل مائتان وقيل أكثر وقيل أقل ما بين أربعة وثمانين ووزاري وغير ذلك " ٦ أما عدد أسطول الموحدين في زمن الملك الناصر محمد بن مقبوب (٥٩٥ - ٦١١) هـ فقد كان ثلاثمائة جن يقول ابن عبد المنعم عن أسامها مايلي " وكان الأسطول ثلاثمائة جن منها سبعون غرابا وفلاوون طريفة وخمسون مركبا كبارا وشاؤها قوارب متنوعة " ٧

هذا هو عدد المراكب في الأدوار المختلفة للدول العربية التي اعتضدت بالملاحة ويجب أن يلاحظ أن كثرة المراكب وحدها غير كافية للدل علي أهمية الأسطول . إذ أن أنواع هذه المراكب

١ - الخط ج ١ ص ٤٨٣ و ج ٤ ص ١٩٢ و ج ٢ ص ١٩٥ والعدد ج ١ ص ١٩٦ / ٢ - صبح الأعشي ج ٣ ص ٥٣٣ والمقريزي ج ١ ص ٤٨٣ / ٣ - الخط ج ١ ص ٩٤ / ٤ - نفس المصدر ج ١ ص ٢١٧ / ٥ - نفس المصدر ج ١ ص ٤٨٣ / ٦ - نفس المصدر ج ٢ ص ٤٨٣ / ٧ - بيبرس ص ١٤٤ .



التي يعالف منها الأسطول امر أساسي في قوة الأسطول فالزوارق والقوارب والسنايك والعتاريات وما أشبه ذلك من أنواع المراكب النهرية هي التي أصبحت من المراكب العربية الأخرى كالشون والأغربة والطرايع وأمثالها من مراكب الحرب والقتال لذلك فإن كثرت من النصوص السابقة تعدد عدد المراكب وتذكر أنواعها . لأن لنوع المركب أهمية كبيرة في الدلالة على قوة الأسطول وأهميته ووفرة مصروده .

ولنتفعل الآن للكلام عن مقدار ما تأخذه البحرية من الأجود .

### الفصل الرابع

#### أجود البحرية

إن الأجود التي يتناولها غزاة الأسطول لم تقصر في كثير من الأحوال على الراتب الشهري الذي يتلقاه الخلفاء للجنود كما هي العادة المألوفة في العطاء وإنما هناك إطلاعات وإكرامات وخلق وغنائم كان رجال الأسطول يأخذونها عند ذهابهم للغزو ورجوعهم منه وفيها يلي مذكر نفقات جند الأسطول ورجاله عند مجيئهم بعض الممالك .

لقد كانت نفقة الأسطول في العصر الأموي عند الغزو تبلغ مائة ألف دينار يقول ابن خردادبه " ومقدار النفقة على المراكب إذا غزت من مصر والشام نحو مائة ألف دينار " ١ هذا قول عام لا نستطيع من خلاله تقدير اجرة الغزاة البحرينيين وإنما هي فكرة عامة عن مقدار نفقة الأسطول عند غزوه في زمن الأمويين .

أما في زمن الخلافة العباسية فكان الاهتمام موجه للزوارق النهرية فكانت دار الخلافة تنفق لأرزان الملاحين في الطيارات والسمرجات والعراقات وما إليها خمسمائة دينار في كل شهر ٢ أما مقدار النفقة على الأساطيل فليس هناك تعويلاً يدل على ذلك .

أما في زمن الخلافة الفاطمية فكانت أجود البحرية تختلف بالنسبة إلى رتبة رجال الأسطول يقول القلقشندي " وكانت جريدة قوادهم تزيد على خمسة آلاف مقاتل مدونة . وجوامكهم في كل شهر من عشرين ديناراً إلى خمسة عشر ديناراً إلى عشرة إلى ثمانية إلى دينارين " ٣

أذن كان أعلى أجود البحرية شهرياً عشرين ديناراً وأدناها دينارين ويقول الطبريزي "ولهم إطلاعات تعرف بابواب الغزاة بما فيها من الثروات " ٤ وكان الخليفة يقول نفقة الغزاة بنفسه بحضور الوزير . فإذا أراد النفقة فيها تعيين من عدة مصطلحية المراكب السائرة ... فيقدم إلى

١ - المسالك ص ٢٥٥ / ٢ - الحضارة الإسلامية ج ٢ ص ٣٦٦ نقلاً عن كتاب الوزاء ص ١٩ /

٣ - صبح الأعشى ج ٢ ص ٥٣١ / ٤ - المطالع ج ٢ ص ١١٢ .



النفباء باخار الرجال وفيهم من كان يجمع مصر والقاهرة وفيهم من هو خارج عنها فيجتمعون وكانت لهم المشاورة والبراميات في مدة ايام سفرهم وهم معروفون عند عشرين عريفا يقال لهم النفباء باخار الرجال وفيهم من كان يجمع مصر والقاهرة وفيهم من هو خارج عنها فيجتمعون وكانت لهم المشاورة والبراميات في مدة ايام سفرهم وهم معروفون عند عشرين عريفا يقال لهم النفباء واحدم نقيب ولا يكره احد علي السفر فاذا اجتمعوا اعلم النفباء المقدم فاعلم بذلك الوزير فطالع الوزر في الذليفة بالخال فقرر يوما للنفقة فحضر الوزير بالاستدعاء من ديوان الأنطاء علي المادة فجلس الخليفة علي مدينته في مجلسه ويجلس الوزير في مكانه ويحضر ماخها فديوان الجيش وهما المستوفي والكاتب. والمستوفي هو اميرهما فيجلس من داخل عقبه المجلس وهذه رتبة له يقيم بها ويجلس بجانبه من وراء العتبة كاتب هو اميرهم فيجلس في قاعة الدار علي حصر مفروشة وغوط هذا المستوفي ان يكون عدلا ومن اعيان الكتاب. ويسمي اليوم في زمننا ناظر الجيش. واما كاتب الجيش فانه كان في غالب الامر يهوديا. وللمجلس الذي فيه الخليفة والوزير اطلاع نصب عليها الدرهم ويحضر الوزانون يبيت المال لذلك. فاذا تهيأ الأنفاق ادخل الفزاة مائة مائة فيلقون في اخريات من هو واقف في الخدمة من جانب واحد نقابة نقابة. وتكون الملوك اسماؤهم د ربت في اودان لا جندعائهم بين يدي الخليفة. فيستدعي مستوفي الجيش من تلك الأودان المنطق عليهم واحدا واحدا. فاذا خرج اسمه عبر من ذلك الجانب الذي هو فيه الي الجانب الآخر فاذا تكلمت عشرة وزن الوزانون لهم النفقة وكانت مقدرة لكل واحد خمسة دنانير بخلاف صرف سعة وفلاوين درهما يدينار فيسلمها لهم النقيب ويكتب باسمه ويبدد ونضي النفقة هكذا الي آخرها " و كانت العادة ومن القاطنين انه اذا غنم الأسطول غنما فكانت الفتيمة لرجال عدي ما يملكه الخليفة لنفسه من السبي من رجال ونساء واطفال وسلاح وما عدي ذلك يكون للفزاة. يقول المقرئ في " والعادة انه اذا غنم الأسطول ما عسي ان يفتن لا يتعرض السلطان منه الي شيء البتة الا ما كان من الأسري والسلاح فانه للسلطان وما عداها من المال والقباب ونحوها فانه لفزاة الأسطول لا يشاركهم فيه اخذ ... وقدم الأسطول مرة بالك وخمسائة اسير وكانت المادة ان الأسري ينزل بهم في المناخ وضاف الرجال الي من فيه من الأسري ويضي بالنساء والاطفال الي القصر بعد ما يعطي منهم الوزير طائفة ويفرق ما بقي من النساء علي الجهات والأقارب فيستخدمونهم ويبرهنون حتي يتقن الصنائع ويدفع الصغار من الأسري الي الأستاذين فيبرهنهم ويعلمون الكتابة والرماية ويقال لهم العرابي وفيهم من صار اميرا من صبيان خاص الخليفة ومن الأسري من كان يستراب به



فيقل ومن كان منهم شيئا لا ينفع به ضربت عنقه والذي في يثر كانت في غرائب مصر تعرف بهثر  
 المناحة . ولم يعرف قط عن الدولة الفاطمية انها فادت اسيرا من الفلوج بحال ولا بأسر به مثله  
 وكان المنفق في الأسطول كل سنة خارجا عن العدد والآلات " ١ . اهـ  
 اما في زمن الممالك فكان القزاة يعطون النفس من الغنائم للسلطان ويأخذون البقية يقول المقريزي  
 " واخرجوا من الغنائم النفس للسلطان واقتسموا ما بقي منها وكان معهم ما عشان وثمانون اسيرا فر  
 السلطان بذلك حروبا كبيرا " ٢

اما في زمن الأيوبيين فقد زادت اجود البحرية عما كانت عليه قبل . زادها الملك العادل  
 اخي السلطان صلاح الدين يقول المقريزي " وتقدر دهبان الأسطول الذي ينفق في رجاله نصف وربع  
 دينار بعد ما كان نصف ومن دينار " ٣ . ولانك ان هذه الزيادة التي زادها الملك العادل لم تصلح  
 الي ما كانت عليه زمن قوة الدولة الفاطمية لأننا رأينا سابقا ان اقل راتب في اجود البحرية  
 كان دينارين ولا أكثرها عشرين دينارا . ولكن يظهر ان هذه الرواتب كانت ترتفع وتنخفض بحسب قوة  
 الدولة ووفرة مالهها فاذا كانت الدولة غنية زادت رواتب موظفيها ولكن عند فقرها وانعزالها تنخفض  
 اجود الموظفين ومن جعلهم رجال الأسطول فهدونا المقريزي ان رجال الأسطول في آخر الدولة الأيوبية  
 كانت حالهم كما يلي " ولا يعرف لهم الا قليل من الخبز ونحوه وربما اقاموا الأيام بفقر  
 عيش كما يفعل بالأسري من العدو " ٤

هذا هو معروف الدول العربية علي جند الأسطول وهذا ما كانت تكلفه البحرية علي الخلفاء  
 والسلاطين وهو معروف كبير لا سيما اذا اخذنا اليه ما كان بهذا من مال لصنع المراكب وتسليحها  
 ولنتقل الآن للكلام عن تحصين سواحل البلاد العربية .

### الفصل الخامس

#### تحصين السواحل في مختلف الأدوار العربية

نريد من الكلام عن تحصين السواحل ما قام به الخلفاء والسلاطين في الممالك المتعددة التي  
 نشأت حول حوض البحر المتوسط من الأملاجات والحصينات في القنود والمدن الساحلية من بناء السواحل  
 والقلاع والأبراج وحدد المقاومين للدفاع امام هجمات الأعداء المختلفين من روم وصليبيين  
 وكانت هذه الأعمال الأملاحية تكلف الدولة اموالا كبيرة وتستنزف قط كبير من ثروتها ولكنها كانت

١ - الخلاصة ج ٢ ص ١٩٣ - ١٩٤ / ٢ - نفس المصدر ج ٢ ص ١٩٥ / ٣ - نفس المصدر ج ٢ ص ١٩٤

٤ - نفس المصدر ج ٢ ص ١٩٤ .



ضرورة لحماية السواحل وحفظ المملكة . وقد ساعد أعمال كل دولة علي حدة متبعها العنسل القاري في ذكر هذه الدول وأبدأ أولا بمرور ما قام به الخلفاء الراشدين والأمويين من الأعمال .

### تصين السواحل زمن الراشدين والأمويين

ان تصين المدن والبلاد المطبوحة هو من أهم الظواهر عند العرب المسلمين منذ خروجهم من بلاد موطنهم في المدينة لفتح البلاد واخضاع السالك . وقد جروا في تصين المدن الساحلية والسواحل البحرية علي هذه القاعدة منذ أوائل عصر الخلفاء الراشدين فكانوا علاوة من تصين المدن السهلة يفتنونها بالمقاتلين ويترجون فيها من أبطال المسلمين ما يساعدهم علي اخضاعها من جديد اذا ما نفض أهلها الصمد او تغربوا لأمر من الأمور يقول البلاذري " وحدني أبو طاهر الشامي عن محمد بن الوضين قال وكان المسلمون كلما فتحوا مدينة ظاهرة او عند ساحل رغبوا فيها قدر من يحتاج لها اليه من المسلمين فان حدث في شيء منها حدث من قبل العدو سربوا اليها الأمداد " ١

واكبر غصبة تظهر عند المؤرخين في عصر الخلفاء الراشدين وأوائل العصر الأموي تقوم بتصين السواحل النامية وبناء الحصون والمدن فيها وعنها بالمقاتلة والأزودة هي غصبة معاوية بن أبي سفيان الذي خدم عاملا علي بلاد الشام زمن الخلفيين عمر وعثمان وأسس الخلافة الأموية التي امتدت ما بين سنة ( ٤١ - ١٣٢ ) هـ فكان من الطبيعي ان يحمي ملكه من جهة الساحل من غارات الهزارة الذين ما كانوا يتأخرون عن غزو بلاده من جهتي الشمال والبحر لذلك سأذكر سلسلة أعماله المجيدة في تصين السواحل البحرية لتبين عظم أعماله وحبوبه ملكه في الناحية البحرية اتمام كان عاملا وخليفة يقول البلاذري ( " وحدني أبو طاهر النعني عن ابيائه قالوا اذ فتح أبو عبيدة اللاذنية وجبله وانطربوس علي يد عبادة بن العامت وكان يوكل بها حفظة الي انفلاق البحر . فلما كانت سنة معاوية السواحل وتصينه اياها بعنها وحسبها واضي امرها علي ما اضي عليه امر السواحل " ٢

للمعاوية اذن حسن مدينة اللاذنية وجبله وانطربوس وعنها بالمقاتلة كما حسن غيرها من مدن الساحل واكثر ما يكون تصين المدن الساحلية علي امر غارة القوم من جهة البحر الذين كانوا يجتاحون السواحل ويخربون المدن وينهبون أهلها فيقوم الخلفاء او عمال الدولة بمرد هجماتهم وتصميم ما خرب من المدن واصلاح اسوارها او ترميم حصونها او اتمام حصون جديدة فيها . وهذا ما حدث سنة ١٢ هـ يقول ابن الأثير " ثم ان الروم غلبوا علي بعض هذه السواحل ( القامية ) في اخر



خلافة هطليق عمر وأول خلافة عثمان فقدم معاوية فدفعها ثم لمحدها ومها وشعنها بالمقاتلة واعطاهم  
القطاع " ١ . ولما كان الخليفة عمر بن الخطاب يفتي البحر والركوب فيه عهد الى تحسين سواحل  
بلادهم ليمنع هجمات العدو عليها فكتب لمعاوية بن ابي سفيان بما يلي " وكتب اليه في مرة  
معهونها وترتيب المقاتلة فيها وإقامة العرس على مناظرها وانفاذ المواعيد لها ولم ياذن له في  
غزو البحر " ٢ . وجرى الخليفة عثمان على هذا ما قاله م به الفاروق من تحسين السواحل . الا  
انه سمح لمعاوية بالغزو بالبحر يقول البلاذري " فلما استخلف عثمان بن عفان رضي الله عنه كتب  
الى معاوية بأمره بتحصين السواحل وعصنها واقطاع من ينزله اياها القطاع ففعل . . . فبأن مدونة  
لم يزل يبعثهم حتى اذن له في الغزو بحرا وأمره ان يبعد في السواحل اذا غزى او اغزا جيونا  
-وى من فيها من الرقب وان يقطع الرقب ارضين ومعلمين ماجلا عنه اهله من السنازل ويهني المساجد  
ويكبر ما كان ابتنى منها قبل خلافته . قال الرضين ثم ان القاسم بعد ان نقلوا الى السواحل من كل  
ناحية " ٣ . ومن اعمال معاوية في الشام ايام الخليفة عثمان بناء حصن سفيان قرب أطرالس  
يقول البلاذري " فلما استخلف عثمان وولي معاوية الشام وجه معاوية سفيان بن مجيب الأودي الى  
أطرالس . . . فبنى في مرج على اميال منها حصنا سمي حن سفيان . . . قالوا وكان معاوية يوجه في  
كل عام الى أطرالس جماعه كهيئة من الجند يعصنها بهم ويوليها حاملا فاذا انطلق البحر فقل  
وفي العامل في جمعية منهم بسيرة " ٤ . وقد حن معاوية جبلة وانطربوس ومرفية وبلنحاس  
وعصنهم بالمقاتلة يقول البلاذري " وحدوني ابو طرس الدمشقي قال حدوني سعيد بن عبد العزيز  
وسعيد بن سليمان الحمصي قال . . . فانشأ معاوية بن ابي سفيان جبلة وكانت حصنا للروم جلوا عنه  
عند فوج المسلمين مصر وشعنها وحدوني سفيان بن محمد البهراني عن اشياخه قالوا بنى معاوية لجبلة  
حصنا خارجا من الحن الرومي القديم . . . وحدوني سفيان بن محمد قال حدوني ابي واعياخنا قالوا  
فبح عبادة والمسلمون معه انطربوس وكان حصنا ثم جلا عنه اهله فبنى معاوية انطربوس ومصرها  
واقطع بها القطاع وكذلك فعل بمرفية وبلنحاس " ٥ . واصلاح معاوية مدينتي عكا ومود قبل نهائيه  
لغزو قبرس يقول البلاذري " وحدوني محمد بن سعيد عن الوادي واخبرني هشام بن الليث الصوري  
عن مطايح من اهل الشام قالوا دم معاوية عكا عند ركوبه منها الي قبرس دم مود " ٦ .  
هذه هي اهم اعمال معاوية الاملاحية في ساحل الشام وهي تدل على حيوية الدولة ونشاطها  
في ايامه . ثم خدمت هذه الجذوة المتأجبة بعد وفاته ولم يحصلها الا الخليفة عبد الملك (٦٥-٨٦)  
الذي انتد الدولة الأموية من الاضمحلال باعماله السجدة التي نال الاعمال البحرية منها بعض الشيء

١ - الكامل ج ٢ ص ١٨١ وفوج البلدان ص ١٣٣ / ٢ - فوج البلدان ص ١٣٤ / ٣ - نفس المصدر ص ١٣٤-١٣٥  
٤ - فوج البلدان ص ١٣٣ والكامل ج ٢ ص ١٨١ / ٥ - فوج البلدان ص ١٤٠ والكامل ج ٢ ص ١٤٢  
٦ - فوج البلدان ص ١٣٤



منها ترميم حصن طرابلس ١ وتجديد مدينتي عكا وصور بعد ان كانتا قد خربتا ٢  
ثم جرى بعض الخلفاء الأمويين علي سنة من قلدتهم وقاموا ببعض الإصلاحات في السواحل من هذه  
الأعمال اذكر منها • تحصين مدينة اللاذقية زمن الخليفة عمر بن عبد العزيز (٩٩ - ١٠١) هـ عقب  
اغارة الروم عليها يقول البلاذري " وكانت الروم اغارت في البحر علي ساحل اللاذقية فهدموا مدينتها  
وسبوا أهلها وذلك في خلافة عمر بن عبد العزيز سنة ١٠٠ فامر عمر ببناؤها وحصنها ووجه الي الملاحمة  
في لدا • من أمر من المسلمين فلم يتم ذلك حتي توفي عمر في سنة ١٠١ فامم المدينة وحصنها  
يزيد بن عبد الملك • وحدوني رجل من أهل اللاذقية قال لم يمت عمر بن عبد العزيز حتي حوز  
مدينة اللاذقية وفرغ منها والذي أحدث يزيد بن عبد الملك فيها مومة وزيادة في الحصنة ٣  
هذه هي أهم أعمال الأمويين الإصلاحية في ساحل بلاد الشام • واختتم الكلام عنهم بمقابلة  
البلاذري القابلة قال • وحدوني محمد بن سيم الأنطاكي قال حدوني محمد معاوية بن عمرو عن أبي إسحاق  
الفساوي قال كانت بنو أمية تفرق الروم بأهل الشام والجزيرة صالحة وغافية ما يلي نفوذ الشام  
والجزيرة وتقيم المراكب للغزو وتربب الحفظة في السواحل ويحكون الأغصان والتفريط خلال العزم  
والتهبط ٤ • اذن كانت الغلاظة الأتوية تعني بحفظ سواحلها وحصنها بالرجال والمراكب عندما يكون  
عليها خليفة قويا ساهرا علي مصالحها الدولة وحماية نفوذها من هجمات الأعداء • ومقابلة المفسرين  
أما زمن حكم الخلفاء العباسيين فان طار تحصين المدن الساحلية بهمل وكثيرا ما يخرب بعض الحصينات  
التي قام بها الدلائل العباسيون واستمرت الحالة علي ذلك حتي جاء بنو العباس •

#### تصين السواحل زمن العباسيين

وقد قام الخلفاء العباسيون بأعمال جليلة وحمة عظيمة في تحصين سواحل الشام وصور وحصنها  
بالرجال والمراكب والثقة عليها بما لا يقل عما عمل سابقهم من الأمويين يقول البلاذري " فلما  
ولي أبو جعفر المنصور تتبع حصون السواحل وحصنها وقصرها وحصنها وبني ما احتاج الي البناء منها  
وفعل مثل ذلك بمدن القنود ثم لما استغفل المهدي استغتم ما كان بقي من المدن والحصون وزاد في  
كثرتها • قال معاوية بن عمرو ولد رابعا من اجتهد أمير المؤمنين هارون في القنود ونفاذ بغيره  
في الجهاد أمرا عظيما أقام من الصناعة ما لم يتم قبله وقسم الأموال في القنود والسواحل وأشبع  
الروم ولصمم ٥ • ولد حسن المعتصم مينا • دسباط وسور وصنع له بابان من حديد فلما  
جاء الروم لحار المدينة خربوا هذه الحصينات واخذوا منها ما استطاعوا حمله يقول الطاهري

١- فتوح البلدان ص ١٣٣ / ٢- نفس المصدر ص ١٣٣ / ٣- نفس المصدر ص ١٣٩ / ٤- نفس المصدر ص ١٣٩  
والفهم الإسلامية ص ٢٤٨ / ٥- فتوح البلدان ص ١٣٠ •



" .. ولا سور وبابان حديد كأي المعصم أمر بعمله فخرهوا عامه واحرقوا ما فيه من المجانيق والمرادات واخذوا بابيه الحديد فعملوها ثم توجهوا الي بلادهم " ١ وأمر المعصم ببناء حصن بساحل انطاكية يقول الهلاذري " وبني محمد بن يوسف المروزي المعروف بابي صيد حصنا بساحل انطاكية بعد غارة الروم علي ساحلها في خلافة المعصم بالله " ٢ ٣

وقد قام المتوكل ( ٣٣٢ - ٣٤٧ ) هـ بسلسلة من الأعمال من بينها افرانه في الخفاف وبرهن بها علي نظامه وحيوية الدولة في زمنه يقول الهلاذري " وأمر المتوكل علي الله بتعريب المراكب في جميع السواحل وان تعين بالمقاتلة وذلك في سنة ٣٤٧ هـ " ٢ ولم تكن أعمال الخليفة المتوكل في الساحل النامي فحسب بل كان له أعمال مديدة أيضا بساحل مصر فقد أمر ببناء حصن دمياط يقول المقريزي " فأمر المتوكل ببناء حصن دمياط فاستدعى في بنائه يوم الاثنين لعدت خلون من شهر رمضان سنة تسع وثلاثين ( ٣٣٩ ) هـ " ٤ وذلك علي اثر هجوم الروم علي المدينة في سنة ٣٣٨ وكذلك أمر ببناء حصن في مدينة الفرما واخر في مدينة نينس يقول المقريزي " وبني بها ( الفرما ) المتوكل علي الله حصنا علي البحر تولي ببناءه عنبه بن اسحاق أمير مصر في سنة تسع وثلاثين وما اثنين عند ما بني حصن دمياط وحصن نينس وانفق فيها مالا عظيما " ٥

هذه هي اهم أعمال الخلفاء العباسيين فيها يتعلق بتحصين السواحل ومعظم هذه الأعمال جرت في العصر العباسي الأول زمن قوة الخلافة العباسية ثم اخذت الخلافة العباسية تنقسم الي دول وممالك مستقلة اخذت كل دولة تعمل مستقلة لنفسها في تحصين سواحلها ٥

ولتري ما قام به الطولونيون في تحصين ساحل مصر .

تحصين السواحل زمن الطولونيين

ان حيوية الدولة الطولونية في تحصين ساحل مصر وتجلي لنا من قصة بناء احمد بن طولون مؤسس الدولة الطولونية ( ٩٥٤ - ٩٧٠ ) هـ لحصن الجزيرة . فقد رأينا سابقا ان تحصين السواحل اكثر ما يكون علي اثر هجمات الروم البيزنطيين علي المدن الساحلية والصب بها اما بناء حصن الجزيرة فكان سببه توتر العلاقات ما بين ابن طولون والموفق اخو الخليفة العباسي المستد علي الله ( ٩٥٩ - ٩٧٩ ) هـ فقد ارسل الخليفة واليا علي مصر موسى بن بشار المرادي بدلا عن ابن طولون فاستعد الأخير للمعركة وبني حصن الجزيرة في جزيرة في الروضة سنة ٩٦٢ هـ ليعزز فيه حربه وماله ٦ ويذكر المقريزي فيها آخر لبناء الحصن في قوله القالي " وكان ما حمل اخذ من طولون علي بناء الحصن ان

١ - المعبر البصلة الثالثة ج ١١ ص ٣٣٨ / ٢ - فتوح البلدان ص ١٧٤ / ٣ - نفس المصدر ص ١٧٠

٤ - الخط ج ١ ص ٢١٤ / ٥ - نفس المصدر ج ١ ص ٢١١ / ٦ - نفس المصدر ج ٢ ص ١٧٨ .



الموفق اراد ان يفتل قلبه فمرت نعله من بيت حطية لا يخله الا ثقاه وفتحها الموفق اليه فقال له الرسول من قدر علي اخذ هذه النعل من الموضع الذي تعودته اليس هو بقادر علي اخذ روحه . فوالله ايها الأمير لقد قام عليه اخذ هذه النعل بخصين الف دينار فعند ذلك امر ببناء الحصن " ١ " فقد بنى ابن طولون بالخطر الذي يداهه بعد ما بين الموفق له مقدوره وكهاده في الدين عليه وقام بجد في بناء حصن يمنع فيه اهله ونفسه . ويعتد الميرزي ذا النشاط الذي بذله ابن طولون والهمة التي اظهرها . والمال الذي قدمه لعماله ورجاله بقوله التالي .

" هذا وابن طولون بجد في بناء الحصن علي الجزيرة وقد ازم قواده وبقاه امر الحصن وقروه عليهم فلما قام كل واحد بما لزمه من ذلك وكف نفسه فيه . وكان يعطاهم بنفسه في كل يوم ... ومن ككرة ما بذل في هذا العمل قدلار ان كل طوبة منه وثقت عليه بدرهم صحيح ... وما رأي الناس شيئا كان اعظم من عظيم الجد في بناء هذا الحصن ومباكرة الصانع له في الأشجار حتي فوغوا منه فانهم كانوا يخرجون اليه من منازلهم في كل ككرة من ثلثاء انفسهم من غير استعفات لككرة ما سخا به من بذل المال ... وهب لاصناع مالا جزيلا وتوكل لهم جميع ما كان ملقه معهم وبلغ معروف هذا الحصن ثمانين الف دينار ذهبا " ٢ " وقد خرب هذا الحصن فيما بعد بقول الفيلسفي في كيفية خرابه مايلي " وكان بها ( جزيرة الوضة ) حصن قد عليه سور وابراج ... ثم استهدم بقدر بعد ذلك بتأثير النيل في ابراجه ومرور الزمان عليه . ثم بني الصالح نجم الدين ايوب دامة مكانه في سنة ثمان وقلابين وسعفاة وبنيت حتي جعلها المزم ايوب التركماني الى ملوك الترة وعمر من ثلثها مدرسة المعزية بجمعية القروب واخذ الناس مكانها املاكا وهي هلي ذلك الي زماننا ولم يبق بها الا بعض ابراج اتخذها الناس املاكا وعمرها عليها بيوتا . فلما ملك الظاهر بيبرس هم باعادتها فلم يفتل له ذلك وبنيت علي حالها " ٣

هذه هي قصة حصن الجزيرة وهي تمثل لنا اهم ما قام به الطولونيون في تحصين انفسهم من الغاشية البحرية . لبحوا ملكهم لامن غارة عدو خلفه خارجي بل من العباسيين اسياهم الذين كادوا ولوهم حكم مصر فانقلوا عنهم وانتقوا لخدمهم وحكموا مستقلين لانفسهم ومن الدول التي كان لها اثر في تحصين سواحل البلاد . الخلافة الفاطمية .

١ - الخط ج ٢ ص ١٨٠ / ٢ - نظر المقدر ج ٢ ص ١٨٠ / ٣ - صحيح الأعشي ج ٣ ص ٣٣٩ .



### تحصين السواحل زمن الفاطميين

لم يحتمل الفاطميون إلى تحصين سواحل البلاد التي حكموها لأن أطولهم كان قويا يذب غارة الأعداء عنهم فكانوا هم على الأغلب مهاجمين فاتحين لبلاد أعدائهم . واعتقلوا في بناء الأساطيل عوضا عن تحصين السواحل . إلا أنه عند مطلع حكمهم في إفريقية قبل اعتداد باسم وقوة شوكتهم واستيلائهم على مصر أسى المهدي ( ٢٩٦ - ٣٢٢ ) هـ باني مجد الفاطميين الأول مدينة علي ساحل البحر دعاها باسمه المهدي . وحتمها بسور وأبواب من حديد قال أبو الفداء عند ذكرها " اختار المهدي موضع المهدي علي ساحل البحر وهو جزيرة معصلة بالبحر كهية ك معصلة يزيد فيها دار ملكه وجعل لها سورا محكما وأبوابا عظيمة وزن كل مصراع مائة دينار وكان ابتداء بنائها يوم السبت في هذه السنة ( ٣٠٣ ) لغمر خلون من ذي القعدة . ولما تم بناؤها قال المهدي الآن امتنت علي الفاطمية بحمايتها " ١

وبالرغم من قوة الفاطميين البحرية وعظمة أطولهم فانهم لم يهتموا شأن السواحل وحراستها فقد كان الخلفاء الفاطميين عندما يرسلون العمال إلى النفود يزدونهم بالهياكل العالية " وأهم للسور طرا من اهتمامك بعمارة أبراجه وأبدانه ومستندم حراجه وأعدائه وترحب عليه الوفود في الليالي المظلمة وتتميز عن مثاله المطامع الميسورة والأهدى المتسنة وواصل من عمارته ما يتلوه في الليل قبل انقراحه ويضيد مبدأ الفارة علي ادراجها فالليل بالفضل يستدعي كثرة الاهتمام وربما لم تصب فيه الرمي ولم ينجح الغرام " ٢ وظل الفاطميون يحافظون علي حماية سواحلهم وعنايتهم بالأسطول إلى أواخر عهدهم عند ما ضعفت الدولة وانهايتها الفضي والمنازعات ولما كانت وزارة غاود ونزل الفريج ساحل مصر " أمر غاود بتحويل مصر وتحويل مراكب الأسطول فحوت ونهبها المهدد فيما نهوا " ٣ ولم تستعد الأعمال البحرية نشاطها إلا عند قيام السلطان صلاح الدين الأيوبي

### تحصين السواحل زمن الأيوبيين

أشار الأيوبيون لتحصين سواحل بلادهم نظرا لعدة ولادة الطليبين في الأغارة عليها فجهزوا السواحل بجميع وسائل الدفاع التي يتمكنوا بها من حماية هذه السواحل . فقد كان في عكا برج يدعى برج الدارباب يقول ابن شداد عنه " برج الدارباب وهو برج في وسط البحر مبني علي الصخر علي باب ميناء يحرس به الميناء ومتي عبره المراكب أمن غاشاة العدو " ٤ وكان في دمياط برج

١ - المختصر ج ٢ ص ٤٨ / ٢ - أصبح الأعني ج ١٠ ص ٤٤٥ / ٣ - الخط ج ٢ ص ١٩٤ / ٤ - سيرة صلاح الدين ص ١٠٠



بمعية المقرئ يقول " بوج دمياط فانه كان برجاً مرتفعاً فيه سلاسل من حديد غلاظ تمتد على النهر لمنع المراكب الواصلة في البحر الملح من الدخول الى ديار مصر في النهر " ١ وقد اعتنى السلطان صلاح الدين زمن وزارته على مصر ببرج دمياط بعد ان اغار الصليبين على المدينة سنة ٥١٥ يقول المقرئ " وفي سنة سبع وسبعين وخمسة ربيت المقاتلة على الهرجون وهدت مراكب الى السلسلة ليقاوم عليها ويدافع عن الدخول من بين الهرجون ودمت تحت جود المدينة ودمت ولده واتخذت السلسلة التي بين الهرجون فسلخت النخلة على ذلك الف الف دينار ٣٠٠ وفي سنة ثمان وثمانين وخمسة امر السلطان بقطع اشجار البساتين دمياط وحفر خندقها وعمل جسر عند سلسلة البرج " ٢ وفي سنة ٦١٥ حاصر الصليبيون دمياط والعوا على برجها حتى استولوا عليها فبنى الكامل جسراً لمنع مراكب الصليبين من عبور النهر والدخول لأرض مصر يقول المقرئ " واتخذ الفرنج والعوا في القتال حتى استولوا على برج السلسلة وقطعوا السلسلة المتصلة به لتجوز مراكبهم في بحر النيل ويمكنوا من الهدد فنصب الملك الكامل بدل السلسلة جسراً عليها لمنع الفرنج من عبور النيل فقاتلت الفرنج عليه قتالاً شديداً الى ان قتلوه وكان قد اتفق على البرج والجسر ما ينفذ على سبعين الف دينار " ٣ عندها لجأ الملك الكامل الى آخر وسيلة لعرقلة مسير مراكب الفرنج في النهر فعمد الى مراكب كبار وملاها وخربها وغرقها في النيل فصنعت مراكب العدو من السلوك فيه ٤ ويمكن بهذه الوسيلة من ايذاء الصليبين من التقدم ولو الى حين .

شكراً كان يشكو ... ليس اليهوديين في منع العدو عن التقدم في بلادنا ويهدلون في سهل عرقلة مساعده كل غالي ورخيص وينفقون من الأموال الكبيرة في تحصين عوائلهم وبناء الحصون عليها . وكان الأيوبيون يبنون جنداً في السواحل لغرضها وحمايتها من ان تطرقها مراكب الفرنج كما فعل الملك المنصور بن ابي صلاح الدين في تحصين جند في ساحل بيروت . واوقف لهم المال لانقاذ عليهم قال صالح بن يحيى " وكان الملك المنصور تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن ايوب صاحب خماة قد اوقف وفقاً على جماعة خيالة ورجالاً لرسم الجهاد في سهل الله تعالى واشرف عليهم بان يكون في القرب المين الى لاسين . فلما استولوا الصليبيون في بيروت بعد الفتح الأخير استقر إقامة المجاهدين المذكورين بها لدراسة من دمشق ٥٠٠٠ . وقد اكمل السالك عمل الأيوبيين في تحصين السواحل والدفاع عن البلاد امام غارة الأعداء الآتين من البحر .

١- الغلا ج ١ ص ٢١٥ والكامل ج ١٢ ص ١٢٢ / ٢- الخط ج ١ ص ٢١٥ / ٣- نفس المصدر ج ١ ص ٢١٦

٤- الكامل ج ١٢ ص ١٢٢ / ٥- تاريخ بيروت ص ٤٢ .



## تصميم السواحل ومن الممالك

ولا تختلف أعمال سلاطين الممالك في وسائل الدفاع عن السواحل عما تقدمهم من الخلفاء والملوك فقد حزو من تقدمهم في عمارة الأبراج والأبراج الأتوار وأعداد الرجال والذخيرة في السواحل لمنع غارة الأعداء المفاجئين ومن ذلك ما قام به السلطان برفوق في بيروت يقول صالح بن يحيى " وفي أيام السلطان الملك الظاهر برفوق عمر البرج الكبير لبيروت على قاعدة برج من أبراج القلعة الخراب فقررنا به المعاهد المذكورين " ١٠١ وقد قام نواب الممالك في الشام بمدة تحصينات في ميناء بيروت من ذلك ما قام به الأمير بهدما يقول صالح بن يحيى " ولما جدد الأمير بهدما نائب الشام سور بيروت على جانب البحر جل أوله من عند المنارة التي لنا على البرج وأصلها إلى تحت البرج الضيق المدين ... ويعرف برج المملوكية " ١٠٢ وقد أرسل يلبق العزم الأمير بهدما لبيروت لعمارة المراكب من حرسها فضحت عساكر الشام ببيروت لتعني المراكب المنشاء حديثا من هجوم مراكب القبرسين عليها وأحراقها يقول صالح بن يحيى " وحضر عسكر الشام مجرد فأنزلوه بها بين البحر والمراكب حزنا من مراكب صاحب فبرر لولا بخروا حين غفلة ونهروا ما يحصل من المراكب " ١٠٣ هكذا كان سلاطين الممالك يعملون جهدهم في حماية سواحل المملكة التي يعكفون

## تصميم سواحل إفريقية والأندلس

وقد كان حكام المغرب في إفريقية والأندلس يقومون بأعمال - قبل أهمية الحكام بالمشهد في تصميم سواحلهم لاسيما المدن والموانئ الواقعة على الشاطئ ولذا قل أن نجد في كتب الرحلات التي تصف تلك المدن الداخلية ذكر هذه المدن دون أن نجد وهذا لمكانت أسوارها وحفاتها أبراجها ومن موقعها الذي يساعد في الدفاع أمام هجمات الأعداء المفاجئين - ولا يمكنني تعداد جميع هذه المدن الساحلية المحصنة بل أتي على ذكر بعضها من لبيل التفصيل فقط .  
من المدن المحصنة في إفريقية مدينة

### أزيللي

يقول ابن حوقل في وصفها " أزيللي مدينة عليها سور متعلقة على رأس جرف خارج من البحر المحيط إلى أرض المغرب ... وسورها من حجارة وبعضها على البحر المحيط " ١  
موسى الدجاج

يقول ابن حوقل في وصفها مايلي " وهي مدينة عليها سور منيع على نحر البحر وفي ظهره



يقطعها الرب بن حوقل بقوله " بمنزلة مدينة عليها سور مضيق على منور الجوارح في شدة نورها وجمالها  
ولها أبواب عدة وبعضها على جبل قد احاط به السور " واخيرا اذكر

يقول ابن جرير عنها " وهي مدينة خربة لها سور عظيم حصين " ٢

أما في الأندلس فقد ذكرت سابقا حصة بعض مراكبي دور الصناعة الصينية على البحر  
والآن أذكر بعض المدن الساحلية المحصنة لنرى هوية الخلافة الأموية في الأندلس وعملها في  
تحصين نفوذها على سواحل البحر .

طرلوة ومي في سفح جبل ولها سور حصين ... وقصة طرلوة علي مخرة عظيمة مسلة الأعلى ...  
والمدينة في غربي القصة وجوفها وعلي المدينة سور من بناء بني اسمة علي رسم اولي قدم  
ولها اربعة ابواب واهواها كلها ملبسة بالحديد ٤

مالقة مدينة على شاطئ البحر عليها سور من طينطة وحصنة والبحر في جانبها ... وقصبتها في  
شرفي مدينتها عليها سور من وحي في غاية الجمالة والمنة ٥ ٥

المرية يقول ابن عبد الصنع في وصفها : المرية مدينة حديثة امر بمناشها أمير المؤمنين الناصر لدين الله عبد الرحمن بن محمد سنة ٢٤٤ ... وكان المصور لما قدموا المرية وتلقوا بها أهل الأندلس والصدوة فافئدها العرب مرأى وابتنت بها محارس وكان الناس يتعجبونها ويراهلون فيها وهي اليوم

اشهر مراسي الأندلس .. توضع عليها سور حصين يمنع بناء امير المؤمنين عبد الرحمن وعلي ورضا  
المعروف بالمصلي سور تراب بناء اخيران العامري ١٠٠٠ ويقول القلندي في ذكرها " المعينة وهي  
مدينة مسورة علي حافة بحر الزقاق ١٠٠٠ وقعتها منيعة شامة قال في مسالك الأبحار والمعينة  
لا وثقت مدن الأولى - من جهة الغرب تعرب بالعرب الداخلي لها سور مطوق من العدو بالسار  
والعراس ولا عمارة فيها " ٢

هذه هي اهم التعصبات التي قام بها حكام الدول المحل العربية في مختلف ادوارها وامكنها  
وقد اضطروا اليها اضطرارا ليمدوا همتهم الأعداء عن مواطن بلدهم ويحموا ممالكهم وفنودهم من  
خطر الأجنيح او العراب. وهذه التعصبات دليل واضح على عناية الحلفاء والمواطنين بشأن الأمور

١ - سورة الأعراف ج ١ ص ٧٩ / ٢ - نفس المخطوط ج ١ ص ٧٧ / ٣ - نفس المخطوط ج ١ ص ٧٨ / ٤ - سورة الأعراف ج ١ ص ١٢٤ / ٥ - نفس المخطوط ص ١٧٧ / ٦ - نفس المخطوط ص ١٨٣ / ٧ - صحيح الأعمش ج ٥ ص ٢١٧ .



البحرية واعتمادهم بحفظ المواصلات وتحصينها . ولم تحصل هذه العصينات الا في زمن قوة الدولة و  
حيويتها على ايدي الأقوياء من الخلفاء والسلاطين . اما في ايام ضعف الدولة فكان معظم تلك  
الأعمال الأصلاحية يتوقف حتى انه يخرب ما قام به الخلفاء المسلمين . وكانت هذه العصينات  
وكلف الخلفاء والسلاطين الأموال الكبيرة يصرفونها على البناء وما يقدمونه للجند الذين يكلفون  
بحفظ تلك الأمكنة الحصينة والزود عنها والأعمال السابقة التي عدتها كلها امثلة ونماذج لما  
كان يعرف في هذا السبيل .  
ولنتفعل لوصف ما كان يجري عند وداع الأسطول وعوده من الفزو .

### الفصل السادس

#### وداع الأسطول عند ذهابه للفزو وعوده منه

ان ازهي ما يمثل عظمة الأسطول ووفرة ممتلكاته في الأعصر العربية هي الاحتفالات التي كانت  
تجري يوم ذهاب الأسطول للفزو وإياديه منه وما كان الخلفاء يصرفونه على الجند ويوزعونه  
على العسكر ويمنحونه للوفاد . في مثل تلك المناسبات كانت الدولة بكاملها من الخليفة او السلطان  
الى اقل الناس واحترام شأنها يحتفلون في تطهير رجال الأسطول الفزاة الفاتحين والأبطال المغامرين  
ويحتفون في وداعهم واستقبالهم . وكان يحصل من المراسيم والافتخار ما يمتن ريشه بلسان اهل  
عمره الذين شاهدوا بام عينهم تلك الاحتفالات ومفوضات أجمل وصف ويهتفون اجلي تبيان . ولقد كان  
المعريزي من المعجبين في حلبة اولئك الذين تصدوا لذلك المناسبات البحرية ولكن التوفيق  
معظم الروايات التي يذكرها تفقد بالاختلاف الفاطمية وفي سلطنة المالكية . ولا شك ان بنية العمال  
لاسما الأندلس والمغرب كان يجري فيها من الاحتفالات والمناسبات للأساطيل بما لا يقل عما  
كان يحدث في زمن الفاطميين والمالكية ولكن النقص الذي يمتن يدي دليلة في هذا الشأن لذلك  
اكفني بذكر ما كان يحدث في زمن الفاطميين والمالكية ليكون لدينا صورة يمكن ان نشتمل من  
خلالها ما كان يجري في بنية المالكية في منتهى

وقد ابني لنا ابو الفداء الفداء وصف احتفال جري في بغداد لرسول ملك الروم سنة ٤٠٥ هـ كان  
للمراكب فيه أجمل الأثر في نزولها في دجلة واعتراكها بهذا العيد الكبير وهي في أجمل زينتها

---

١ - يقول البرقوقي عن الأندلسين " ومن سننهم التي ضاها عليها وحدث عاداتهم بها ان يحتفلوا  
بالأسطول عند رجوعه لما فرأ من حرب فتقوم الأساطيل بالعاب وحركات برأى من عظماء الدولة ومسمع  
كانهم في حرب مع الأعداء " حاضرة العرب ص ١١٠ وهو لا يذكر المصدر الذي اخذ عنه .



وكونها يقول عند ذكر هذا الخبر " قدم رسول ملك الروم الى بغداد فلما استحضروا عبي لهم  
الصكر وصنفت الدار بالأسلحة وانواع الزينة وكأهت نجلة الصكر المصفوف حينئذ مائة الف وسبعين  
الفا مائتين راكب وواف . ووقف الزلمان العبريه بالزينة والمناطق المحلاة ووقف الخدام النسيان  
كذلك وكانوا سبعة آلاف خادم امهين وثلاثة آلاف اسود ووقف العجايب كذلك وهم حينئذ سبعة مائة حاجب  
والقيت المراكب والزمار في دجلة بأعظم زينة " ١٠ ثم يكمل الرواية التي هي شبه بالخيال  
منها الى العبدية تدل عما وصل اليه العرف في العصر المباسي . . . . .

اما احتفال الفاطميين يوم وداع الأسطول فيقول القليشدي عنه " ناذا اراد الخليفة تهيئها  
( الأساطيل ) للفرس جلس للنفقة بنفسه حتى يكملها ثم يخرج مع الوزير الى ساحل الدجلة بالمقام  
يجلس في منشرة كانت يجامع باب البحر والوزير معه للمواظبة ويأتي القواد بالمراكب الى تحت  
المنشورة وهي مزينة بالأسلحة والمنجنقات واللعب منصوبة في بعضها فتسير بالمجازيف ذهابا وعددا  
كما يفعل حالة القتال . ثم يحضر الى مائتين يدي الخليفة المقدم والرايس فيوصيها ويدعو لهم  
بالسلام وتنتشر المراكب الى دمياط وتخرج الى البحر الملح فيكون لها في هذه المدو الصيت  
والسمعة " ٢٠ اما القليشدي فيقول ( ان توديع الأسطول يجري من منشرة القصر وتوديعه للمراكب  
البرية التي تذهب لبلاد الشام يكون من منشرة باب الفتوح يقول عن منشرة باب الفتوح مايلي :  
" وكان للخلفاء القدامين منشرة خارج باب الفتوح ... وكلفت هذه المنشرة مدة يجلس الخليفة  
فيها عند عرض العساكر ووداعها اذا سارت في البحر الى البلاد النامية " ٣٠

اما منشرة القصر التي يجري منها وداع الأسطول فيقول القليشدي عنها " منشرة القصر . . . .  
وكانت هذه المنشرة معدة لنزول الخليفة بها عند تجهيز الأسطول الى غزو الفرنج فتصور رؤساء  
المراكب بالتواني وهي مزينة بأنواع العدد والسطح يلعبون بها في النيل ... وقال من الطوير فاذا  
تكملت النفقة وتجهزت المراكب وتجهأت للفرس ركب الخليفة والوزير الى ساحل القصر وكان هناك على  
شاطئ البحر بالجامع منشرة يجلس فيها الخليفة يرسم وداعه يعني الأسطول ولغائه اذا عاد فاذا جلس  
هو والوزير للوداع جاءت القواد من مصر الى هناك للحركات في البحر بين يديه وهي مزينة بأسلحة  
ولهبها وفيها المنجنقات تلعب فتنتشر وتطلع بالمجازيف كما يفعل في لقاء العدو بالبحر الملح  
ويحضر بين يدي الخليفة المقدم والرئيس فيوصيها ويدعو للجماعة بالنصرة والسلامة ويعطي المقدم مائة  
دينار والرئيس عشرين دينارا وتنتشر الى دمياط وتخرج الى البحر الملح فيكون لها ببلاد العدو



سيت وهيبة ... " ١ . وكان الخلفاء الفاطميون ينفقون على فواد رؤساء الأسطول وجنده قبل إرسالهم للفتوح . ففي زمن الخليفة الفاطمي الأمر بإحكام الله ( ٤٩٥ - ٥٢٤ ) هـ وردت الأخبار بمقالة الصليبيين بالأعمال الفلسطينية والثغور الساحلية فأراد الخليفة الأمر تجهيز الصاكر والأشبايل، وتجهيزها للقضاء على البقية الباقية من الفرنج فقبول المقريني في ذكر النفقة على هذا الجيش وللأسطول الذي أرسله الأمر ما يلي " وابتدئ بالنفقة في الفرسان بين يدي الخليفة في قاعة الذهب وأحضر للمؤونة الوزانين وضاديق المال وأفرغت الأكياس على البساط واستمر الحال بعد ذلك في الدار المأمونية ( وزير الأمر هو المأمون ) وتورد الراي فحين يتقدم فتدفع الاتفاق على حمام الملك الهاني . وأحضر مقدم الأساطيل الثانية رؤساء الأساطيل الأولى توجهت في الفتوح وخلع عليه وأمر بان تنزل إلى المساعدين بمصر والجزيرة وينفق في أربعين شينياً ويكمل نفقاتها وعددها ويكون القوجه بها سبعة الصاكر وانفق في عشرين من الأسراء للقوجه سبعة فكمالت النفقة في الفارس والرجال وفي الأمراء السائرين وفي الأنهار والمؤننين والفراء وتندب من العناب عدة وجعل لكل منهم خدمة ... " ٢ .

ثم ان الخليفة الأمر خلع على مقدم الأسطول وأبحرت المراكب للجهاد بقول المقريني " وركب الخليفة ( الأمر ) وتوجه إلى الجامع بالمعس وجلس بالمنظرة واستدعى مقدم الأسطول وخلع عليه وانحدرت الأساطيل مشعونة بالرجال والعدو " ٣ . ويقول المقريني ان الخليفة الأمر ظهر من المنظرة بوداح المسكر فلما راوه خروا إلى الأرض ساجدين قال " ففتحت طاقات المنظرة فلما شاهد المسكر الخليفة قبلوا الأرض فاعطى اليهم بالقوجه فصاروا حميمين " ٤ . وقد جرت العادة ان الخليفة الفاطمي بعد ان يتم النفقة على رجال الأساطيل يمنح وزيره مائة تدعى " غداء الوزير " يكمل بها ذلك الاحتفال ويصف المقريني تلك المائدة بقوله " فبهكتة فيعمل إلى الوزير من اللحم مائة يقال لها غداء الوزير وهي سبع ميجنقات أو ساط أحداها بلحم الدجاج ونسحق بمسحولة بصناعة محكمة والبقية شواء وهي مكمورة بالأرزاء .... " ٥

هكذا كانت تجري الاحتفالات عند وداع الأسطول وهي احتفالات رائعة تذكرنا بما تقوم به

الدول الحديثة من المآدب على شرف رجال بحريتها وما يلقون به من تكريم رجالهم عند ذهابهم للقيام بمهمة جليلة .

أما في زمن الصليبيين فلم تكن احتفال السلاطين تختلف كثيراً عن أعمال الخلفاء هو الفاطميون وداع الأسطول . وسأذكر احتفالاً جوي في سلطنة الملك الأشرف صلاح الدين خليل بن قلاوون ( ٦٨٩ - ٦٩٢ هـ )

١ - الخط ج ١ ص ٤٨٠ وج ٢ ص ١٩٢ والعدد ج ١ ص ١٩٦ / ٢ - الخط ج ١ ص ٢٨١ / ٢ - نفس المصدر ج ١

٣ - ٤ - نفس المصدر ج ١ ص ٢٨٢ / ٤ - نفس المصدر ج ٢ ص ١٩٢ .



لغوي ما كانت تقوم به العامة من الأعمال والاستعدادات للاشتراك بهذا الاحتفال ومناحه  
يقول المقريزي " وفي سنة اثنين وتسعين تقدم السلطان الملك الأشرف صلاح الدين  
خليل بن قلاوون الي الوزير الماحب شمس الدين محمد بن السمعوس بمعهلوز امر الشواني فنزل الي  
الصناعة واستدعي الرئيس وهيا جميع ما تحتاج اليه الشواني حتي كملت عدتها نحو سبعين شونه  
بعنها بالعدد والآت الحرب ورتب بها عدة من المعاليك السلطانية والبسم السلاح فأقبل الناس  
لمشاهدتهم من كل اوب قبل وركب السلطان بثلاثة ايام وصنعوا لهم نعورا من حطب واخصاص الفس  
عليه تعالى النيل خارج مدينة مصر وبالروضة واكتفوا الساعات التي قدام الدور والندابي بالماسني  
درهم كل زريبة فما دونها بحيث لم يبق بيت بالقاهرة ومصر الا وخرج اهله او بعضهم للولوية  
ذلك فعار حسا عظيميا وركب السلطان من قلعة الجبس بكرة والناس قد ملأوا ما بين المنياسر الي  
بستان الغناب الي بولاق ووقف السلطان ونائبه الأمير بيدر وبعية الأمراء قدام دار النحاس  
ومنع العجائب من التعود لطرد العامة . فبرزت الشواني واحدة بعد واحدة وقد عمل في كل شونه  
هرج وقلعة تعاصر والقتال عليها ملح والنظا يرمي عليها وعدة من النعابيس في احوال العيلة  
في الثوب وما منهم الا من اظهر في شونقه عند معجبا وصناعة غريبة يقوم بها علي ساحبه  
وتقدم ابن موسي الزاعي وهو في مركب نبيلية فترا قوله تعالى ( بسم الله محراها ومركبها ان  
ربي لغفور رحيم ) ثم تلاها بقراءة قوله تعالى ( قل اللهم مالك الملك توتي الملك من تشاء )  
الي آخر الآية ثذا والشواني تتواطل بحاربة بعنها لم يبق الي ان اذن لعدة القلم فمضي  
السلطان بمسكركه عائدا الي القلعة . فأقام الناس بقية يومهم وذلك الليلة علي ما هم عليه من  
الاجو في اجتماعهم وكان شيطا يجل وضده . وانفق فيه مال لا يعد بعيت بلفت اجرة المركب في  
هذا اليوم ستمائة درهم فما دونها فكان الرجل الواحد يؤخذ منه اجرة ركوبه في المركب <sup>نحو</sup> درهم  
وجعل لعدة من النوادية اجرة مراكبهم عن سنة في هذا اليوم . وكان الخبز يباع اونا هنو وطلا  
بدرهم فلكثرة اجتماع الناس بمصر بيع سبعة ارطال بدرهم . فبك خبر الشواني الي بلاد الفرنج  
فبعثوا رسلهم بالهدايا يطلبون الصلح " ١ .

ولم تكن جميع هذه الاحتفالات التي يقوم بها الملايين في وداغ اسلولهم مودة كالعلي  
مرت سابقا فربما يحدث ما يكرر الجمهور ويعكر مضاء السلطان ومثل ذلك حدث في سلطنة الناصر  
محمد بن قلاوون جهزت الشواني ... وزينت الشواني احسن زينة فخرج معظم الناس لوزينتها واقاموا  
يومين بليلتها علي الساحل بالبرين وكان جففا عظيميا الي الناية وبلغت اجرة المركب الصغير



ما ع درهم لأجل الفرجة . ثم ركب السلطان بمكة يوم السبت ثاني عشر المعرم ومعه الأمير  
سلار النائب والأمير بهيرس الجاغتكير وسائر الأمراء والعسكر في العرايق إلى الروضة وخرجت  
الثواني واحدة بعد واحدة فلبت منها ثلاثة وخرجت الرابعة وفيها الأمير اقوش القاري من  
مينا الصناعة حتى توسط البحر فلعبت بها الريح إلى أن مالت وانقلبت فصار أعلاها أسفلها  
فتداركها الناس ودفعوا ما تدروا عليه من العدد والسلاح وسلمت الرجال فلم يقدم منهم سوى  
اقوش وحده فذبحه الناس ونفذوا الأمراء إلى القلعة بالسلطان وجهاز ثوبه عوضا عن التي عرفت  
وبساروا إلى مينا طرابلس . وهكذا انتهى هذا الاحتفال بالفضل والكر .

وكان الاحتفال بمرجوع الأسطول ظاهرا من الغزو لا بطل أهمية وعظمة عن يوم وداه  
بصف صالح من يحيى القاهرة يوم عودة الأسطول من فتح قبرس والجزيرة ومع الفخوة ملكها أسيرا  
بقوله " وكان دخولهم إلى القاهرة في العصر الأول من شوال سنة سبع وعشرين وثمانمائة  
( ١٤٢٦ ) م وكانت القاهرة قد زينت لسماع بشارة النصر واستمرت الزينة إلى وقت دخولهم  
فتمازيت الزينة وفتاحت النار فيها فكانت زينة لا رثيت مثلها في علي مذكروا المتقدمون في  
الجزيرة . وكنت نهار دخولهم بملك قبرس واقفا في سود الخيل بمصر يرسم الفرجة عليه ودايمهم  
قد رفعوا جند مصر وعسكرها مقيمين من صف الدهليز إلى باب القلعة ونفذ دخلوا بالملك بين  
الضيق وقد ركبه علي بخل عالي والنهب والأسرا فساد قدامه . وكان أعلاه عشرين محمولة  
قدامه منكبة السنبق عند كحل فرس حامله والرمح علي كفت حامله وكان ذلك اليوم بمصر يوما  
مشهودا ما عهد بمثله ... " ٢ بمثل ذلك كان يستقبل الفخوة القاصدين ويمثل هذه القضية في  
الذليلا كان يدخل ملوك الفرنج أسرى لبلط سلاطين مصر . فحين اليوم من الأسر .

وكان سلاطين السالكين يخلعون علي رجال الأسطول الخلع الثمينة جزاء علي جهادهم و  
مكافأة لبطولتهم وظهرهم فقد أكرم السلطان برساي أولئك القاصدين لجزيرة قبرس المتقدم ذكرهم  
بما يلي يقول ابن تغري بردي " فأول من بدأ بهم السلطان وخلع عليهم أمراء الألوف بمصر  
والشام وخلع علي كل واحد منهم أطلس معمر وفيه له قوسا بمقام ذهب وهم الأمير ابنال  
البحري أمير مجلس والأمير تغري بردي المحمودي الناصري رأس نوبة النوب والأمير قرامراد خبا  
الصناني والظاهر برقوق أمير جانداز والأمير حسين بن أحمد المدعو تغري بردي أحد مقدمي  
الألوف بدمشق ثم أمراء البلاط الطباغانات والصنات من أمراء مصر والشام علي كل واحد قوسان



لوفاني حرير كفا أحمر وأخضر ومنقجي بطون نذكر على قدر مراتبهم وكذلك كل مقدم مركب من الخاصية والأجناد وغيرهم فكان هذا اليوم يوما عظيما جنيلا لم يفتح مثله في سلاسل الأعمار اعز الله تعالى فيه دين الأملام وأيده وخذل فيه الكفر وبهده " ١  
أما ما <sup>حصل</sup> كمال من الأنعام لعالم من يحي الذي اعتكف بفتح قبرس فيخبرنا عنه بنفسه فيقول " ووقفت مع الأمراء الذين كانوا في قبرس للسلطان فانعم علي كل منهم بحسبه . وكان انعامه علي ما شئت دينار ذهب وقلعة . وانعم علي أيضا الأمير أركامس الظاهري وهو دوا دار كبير وانزلني عنده في بيته ودرب لي كل يوم ساملا بكرة والمعر . وليلة الفجر اعطاني حبة عربية ولباء سيجاب من ملايكة " ٢

هكذا كان السلاطين واتباعهم من رجال الحكم يحدون على الفداء بالجهاديين من رجال الأسطول ويديمونهم عالة من يقدروا جهودهم ويملأونهم . وهذا ما كان يدفعهم علي الاستمرار في خدمة الأسطول والعمل فيه .

وكان سلاطين المالكية يتابعون أخبار الأسطول عند إرساله للغزو فإذا سمعوا بظفره ونجاحه قاموا بالأنفراج ودن الكوسات كما يقول ابن أيار في أخبار سنة ٩١٤ هـ قال " جاءت الأخبار بأن العسكر الذي توجه إلى نحو بلاد الهند محبة الأمير حسين قد انصرف على الفرج الذين كانوا يقيمون في البحر وغنم منهم العسكر ثنائيم كثيرة فسر السلطان بهذا الخبر وأمر بدن الكوسات فدفعت قلعة أيام متوالية " ٣

هذه لعدة موجزة عن أخبار الخلفاء والسلاطين في وداخ الأمانيل واستبدالها . وفيها نفحة من نفحات الماضي التي تذكرنا بعظمة الأسطول في الأيام الفاهرة . وبعدة عناية بعض الخلفاء ورجال الحكم الذين حكموا البلاد العربية وحسن ادارتهم للتون البحرية .



## الباب السادس

### عمليات الاسطول العربية

في هذا الباب الاخير ساذكر ما قام به العرب من الغزوات في البحر في مختلف العصور العربية منذ زمن النبي الكريم حتى اواخر عهد المماليك متبعا اهم الحوادث البحرية بكل عصر من العصور وعند مختلف الدول العربية التي اعتنت بالاصاطيل وفزت بها . وسارتب هذه الحوادث والغزوات في كل دولة بفصل مستقل لوحده متبعا - التسلسل الزمني في ذكر تلك الحوادث .

### الفصل الاول

#### غزوات الاسطول في زمن الخلفاء الراشدين

مضى زمن النبي دون ان يكون للعرب اسطول بحري وغزوات في البحار ، بل اكتفى الرسول الكريم بتوطيد حكم العرب في جزيرتهم دون ان يغزو بهم خارجها . وهكذا انقضى زمن الخليفة الاول ابو بكر الصديق الذي اخمد ثورة اهل الردة وقضى على عصيانهم واعاد نفوذ الاسلام في الجزيرة العربية .

واول الغزوات البحرية حدثت في زمن الخليفة الثاني عمر الباروق على يد عامله على البحرين العلاء بن الحضرمي . ولم تكن هذه الغزوة البحرية الاولى براى الخليفة نفسه بل كانت حماسة ونشاطا من العلاء بن الحضرمي \* الذي احب ان يؤثر في الاعاجم اثرا يعز الله به الاسلام على يديه فتدب اهل البحرين الى فارس فبادروا الى ذلك وفرقهم اجنادا على احدها الجارود بن المعلق رضي الله عنه ، وعلى الثاني سوار بن همام (ر) وعلى الثالث خلبد بن المنذر بن ساوى (ر) وجعل خلبدا على عامة الناس \* اذن كان القائد العام لهذه الحملة البحرية خلبدا بن المنذر الذي هرب باثني عشر الفا من المسلمين من البحرين الى اصطخر من ارض فارس فالتقوا بجمع اهل فارس وعليهم الهرير واغلوا في تلك البلاد وبعثوا عن الشاطي\* فحال الفرس بين المسلمين وسفلتهم وقطعوا خط الرجعة عنهم وحصروهم في تلك البلاد الصعبة عند ذلك قام القائد العام خلبد في الناس وقال \* اما بعد فان الله تعالى اذا قضى امرا جرت المقادير على ما يشاء وان هؤلاء القوم لم يزدوا بما صنعوا على ان دعوكم الى خربهم ، وانما جئتم



لحاربتهم ، والسفن والارض بعد الان لمن غلب ، فاستعينوا بالصبر والحلّة وانها  
لكبيرة الا على الخاشعين \* ١ فتشجع القوم وهبوا للدفاع عن ارواحهم فانتقلوا قتالا  
شديدا مع اعدائهم في موضع يدعى طاوس فقتل من اهل فارس مقتلة عظيمة وخرج -  
المسلمون يريدون البصرة اذ غرقت سفنهم ولم يجدوا في الرجوع الى البحر سبيلا .  
ولكن اهل فارس اخذوا عليهم الطوق وضعوه من التقدم نحو البصرة فمكسروا في  
مكائهم ، وارسلوا الى الخليفة ابن الخطاب يستجدون به . وصل الخبر الى عمر -  
الفاروق فنارت ثائرته واشتد غضبه على العلاء وكتب اليه بعزله وتوعد ، وامره بانقل  
الاشياء عليه وابغض الوجوه اليه بتأمر سعد بن ابي وقاص عليه ، وكان بينهما تباين  
وتباعد . و اشار عليه باللاحاق بسعد بمن معه من الرجال . وكتب الى العراق يستفد  
الناس بانقاذ اخوانهم المحصورين في ارض فارس . وارسل الى الكوفة لسعد بن ابي  
وقاص يحثه على ارسال النجدة لبلاد فارس ، ويحث الى البصرة الى عتبة بن غزوان  
بأمره بان يندب الناس لينصروا المحصورين من اهل البحرين \* فندب عتبة رضي الله  
عنه الناس واخبره بكتاب عمر رضي الله عنه فانتدب عاصم بن عمرو وعرفجه بن هرثمة -  
وحذيل بن محسن ومجراة بن ثور ، ونهار بن الحارث . . . . والاحنف بن قيس وسعد  
ابن ابي العرجاء وعبد الرحمن بن سهل وصعصع بن معاوية رضي الله تعالى عنهم \* ٢  
سارت ابطال المسلمين وقادتهم من البصرة في اثني عشر الفا على البغال  
والخيل ، وعليهم ابو سيرة ابن ابي رهم ، فساحل بهم حتى التقوا بخليد واصحابه  
في المكان المحصورين فيه . وقد استصرخ اهل اصطخر اهل فارس كلهم فأتوهم من  
كل وجه وكورة والتقى الجمعان وكانت الغلبة للمسلمين وفتح الله عليهم وعادوا مظهر  
ظافرين محملين بالفنائم والاموال الى البصرة وعاد اهل البحرين الى منازلهم ٣ .  
هكذا انتهت اولى الغزوات البحرية بفرق فن المسلمين وعودة الجيش سالما  
بعد امداد الخليفة عمر له وانقاده من مخالف الحصار والموت .  
ولم تكن هذه الغزوة هي الوحيدة التي قامت في زمن الخليفة عمر بن الخطاب

---

١- للخطوط ج ٢ ص ١٨٩ / ٢- الكامل ج ٢ ص ٢٢٨ والتمدن ج ١ ص ١٩٣  
والعراق الجديد ص ٤٥ / ٣- الكامل ج ٢ ص ٢٢٧ والخطوط ج ٢ ص ١٨٩  
والنظم الاسلامية ص ٢٤٦ .



في ناحية الخليج الفارسي ان البلاذري يقول " اخبرنا علي بن محمد بن عبد الله بن ابي يوسف سيف قال ولي عمر بن الخطاب رضي الله عنه عثمان بن ابي العاصي الثقفي البحريني وعلمن سنة ١٥ فوجه اخاه الحكم الى البحرين وضى الى عمان فاقطع جيشا الى تانه فلما رجع الجيوش كتب الى عمر بعلمه ذلك فكتب اليه عمر يا اخا ثقيف حملت دودا على عود واني احلف بالله ان لو اصبوا لاختدت من قومك مثلهم " ١ . ما سبق نجد ان هذه الغزوات البحرية التي قامت في زمن الخليفة الثاني لم تكن هرايه بل كان عماله في البحرين او عمان يقومون بها دون استشارته ان المشورة من ابن الخطاب شدة خوفه على المسلمين من الغزو في البحر . يقول المقريزي " وكان عمر رضي الله عنه لا ياذن لاحد في ركوب البحر غازيا كراهة للتغريب بجنده واقتداء برسول الله (ص) وخليفته ابي بكر " ٢ حتى انه لم يكن يسمح لعماله في الولايات ان يتخذوا مواطن اقامتهم في مكان مفصول عن مركز الخلافة بهاء . فلما فتح عمرو بن العاص مصر واجلى الروم عنها سنة ٢٠ هـ اراد ان يتخذ الاسكندرية حاضرة البلاد عاصمة لولايتيه الجديدة ، فارسل يستاذن عمر بن الخطاب بذلك . فسأل الخليفة رسول عمرو " هل يحول بيني وبين المسلمين ما " ؟ قال " نعم يا امير المسلمين اذا جرى النيل " فكتب الى عمرو " اني لاحب ان تنزل بالمسلمين منزلا يحول الماء بيني وبينهم في شتاء ولا صيف فلا تجعلوا بيني وبينكم ما متى اردت ان اركب اليكم راحلتي حتى اقدم اليكم قدمت " و اشار عليه بانتخاذ مدينة اخرى غير الاسكندرية ٣ .

وبعد ان فتحت الشام الح معاوية بن ابي سفيان وكان يومئذ على جند دمشق والاردن على الخليفة عمر ان بغدو في البحر ، وهون له الامر فقال له ان قرية من قرى مصر لسمع اهلها نباح كلابهم ( الروم ) وصباح دجاجهم " ٤ واستشاره في غزوهم حتى كاد ان ياخذ بقلب عمر فاحب البارقي ان يستوثق من الامر فكتب الى عمر ابن العاص وهو على مصر انصلي البحر وراكبه فان نفسي تنازعني اليه وانا اشتهي خلافها فكتب اليه " يا امير المؤمنين اني رايت البحر خلقا كبيرا بركبه خلق صغير -

١- فتوح البلدان ص ٤٢٨ / ٢ - الخطط ج ٢ ص ١٨٩ / ٣ - النظم الاسلاميه ص ٢٤٦ / ٤ - الخطط ج ٢ ص ١١٠ .



ليس الا السماء والماء ان ركد حزن القلوب وان زل ازاع العقول بزداد فيه اليقين قلة  
والشك كثرة ، هم فيه كدود على عود ، ان مال غرق وان نجا برق \* فلما جاءه كتاب  
عمرو كتب الى معاوية \* لا والذي بعث محمدا بالحق لاحمل فيه مسلما ابدا . انا قد  
سمعنا ان بحر الشام يشرف على اطول نبي في الارض يستأذن الله تعالى في كل يوم  
وليلة ان يفيض على الارض فيفرقها . فكيف احمل الجنود في هذا البحر الكافر المستصعب  
وتالله لمسلم واحد احب الي ما حوته الروم . فاباك ان تعرض لي وقد تقدمت اليك ،  
وقد علمت مالقي العلا مني ولم اتقدم اليه في مثل ذلك \* ١ . ويقال ان عمر بن  
الخطاب كان يقول \* لا يسألني الله عز وجل عن ركوب المسلمين البحر ابدا \* ٢ وروى  
ابنه عبد الله انه قال \* لولا اية في كتاب الله تعالى لعلوت راكب البحر بالدرة \* ٣  
هكذا انقضت خلافة الفاروق وجاء بعده عثمان بن عفان ، فتفلس معاوية بن ابي  
سفيان الصعداء وارسل يستأذن الخليفة عثمان في الغزو في البحر فمانع اولا واخره  
كثيرا ثم قبل مكرها بسبب الحاج معاوية يقول البلاذري \* وحدثني ابو حنيس عن سعيد  
ابن عبد العزيز قال ادركت الناس وهم يتحدثون ان معاوية كتب الى عمر بن الخطاب  
بعد موت اخيه يزيد بصف له حال السواحل . فكتب اليه في مرمتها وترتيب العقائلة  
فيها واقامة الحرس على مناظرها واتخاذ المواقيد لها ولم يأذن له في غزو البحر ،  
وان معاوية لم يزل بعثمان حتى اذن له في غزو البحر وامره ام يحد في السواحل  
اذا غزا او اغزو جيوشا سوى من فيها من الرتب وان يقطع الرتب ارضين ويعطيهما ماجلا  
عنه اهله من المنازل ... ٤ ويقول المقرئ ان الخليفة عثمان قال لمعاوية \*  
تنتخب الناس ولا تفرق بينهم خبرهم لمن اختار الغزو طائعا فاحمله واعنه تفعل \* ٥  
وهكذا قبل الخليفة عثمان بترك معاوية بغزو في البحر على ان يعد العدة  
الكافية للامر والا يجبر الناس على النزول في البحر . وترك الغزو فيه اختاريا لمن  
يريد فشرط عليه ان يستصحب معه زوجته . وقد استعمل معاوية على البحر عبد الله  
ابن قيس الحاسي خليفة بني قزاره ، فغزى خمسين غزوة ما بين صائفة وشاتبة في البحر

١- الخطط ج ٢ ص ١١٠ والتمدن ج ١ ص ١٩٤ وحساسة العرب ص ٢٦ / ٢- الخطط  
ج ٢ ص ١١٠ / ٣- نفس المصدر ج ٢ ص ١١٠ / ٤- فتح البلدان ص ١٣٤  
٥- الخطط ج ٢ ص ١١٠ .



والبر ولم يغرق فيه احد ولم ينجس ١ .

وفي اواخر ايام عثمان ابن عفان سنة ٣٤ هـ سنة ٦٥٥ م حدثت غزوة الصواري ٢ التي اشترك بها الاله اسطول معاوية بقيادة بسر بن ارطاة واسطول مصر بقيادة عبد الله بن سعد بن ابي سرح مع الاسطول البيزنطي الذي كان بقيادة امبراطور بيزنطة نفسه قسطنطين بن هرقل *Constantine II* ويقول الطبري ان الريح خرجوا باسطول مؤلف من خمسمائة مركب لياخذوا بثأرهم لما نالهم من المسلمين في افريقية ٣ فتصدى لهم الاسطول الاسلامي المؤلف من مئتي مركب وهي مجموع مراكب الشام ومصر التي كانت غالبا تعمل مشتركة معا في الحروب البحرية . وحاولوا ان يقضوا على نفوذ الاسطول البيزنطي الذي كان لا ينفك يهاجم سواحل الشام ومصر ويوقع بها من التخريب والنهب ٤ التقى الجمعان في ذات الصواري على شاطئ *Lycian* قرب مدينة *Phoenix* ٥

في اسبانيا الصغرى . ولما علم عبد الله بن سعد بن ابي سرح بكثرة مراكب الاعداء وقوتهم - وكان اذ ذاك امير القوم - فقام بالناس خطيبا يستشبرهم بما يعمل فسالهم ثلاثا من الراي فلم يجبه احد وكان يميلهم قليلا لترجع اليهم افئدتهم ، الى ان قام رجل من اهل المدينة كان متطوعا معه وقال " ايها الامير ان الله جل ثناؤه يقول كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين " ٦ . تشجع القوم وقويت قلوب المسلمين . عندها امر عبد الله الناس بالركوب فركبوا وانما في كل مركب نصف شحنته اذ انه خشي النصف الاخر الى البر مع بسر بن ارطاة واصطف الفريقان للقتال يقول الطبري في وصف تلك المعركة " قال بن عمر حدثني عيسى بن طلحة عن عبد الله بن ابي سفيان عن ابيه عن مالك بن اوس بن الحدثان . قال كنت معهم فالتقينا في البحر فنظرنا الى مراكب مارابنا مثلها قط ، وكانت الريح علينا فارسينا ساعة وارسوا قريبا منا وسكنت الريح منا فقلنا : الا من بيننا وبينكم . قالوا ذلك لكم ولنا منكم . ثم قلنا ان اجبتم فالساحل حتى يموت الاعجل منا ومنكم ، ولئن شئتم فالبهر . قال فنفخوا نخرة واحدة وقالوا الماء . فدنونا منهم فربطنا السفن بعضها

١- الخطط ج ٢ ص ١١٠ / ٢- الطبري الجمل-الاولى ج ٥ ص ٢٨٦٥ / ٣- نفس المصدر ص ٢٨٦٧ / ٤- *Cambredage Vol II P352* / ٥- تاريخ العرب ص ٢٠٠ / ٦- الخطط ج ١ ص ١١١ .



الى بعض حتى كنا يضرب بعضنا بعضا على سفننا وسفنهم فقاتلنا اشد القتال ، ووثبت  
الرجال على الرجال بضربون بالسبوف على السفن ويتواجهون بالخلاجر حتى رجعت الدماء  
الى الساحل تضربها الامواج . وطلاحت الامواج جثث الرجال ركاما . قال ابن عمر  
فحدثني هشام بن سعد عن زين بن اسلم عن ابيه عن حضر ذلك اليوم قال رأت  
الساحل حيث تضرب الريح المعى وان عليه لمثل الضرب العظيم من جثث الرجال وان  
الدم الغالب على الماء ، ولقد قتل يومئذ من المسلمين بشر كثير وقتل من الكفار مالا  
يحصى ، وصبروا يومئذ صبرا لم يصبروا في موطن قط ، ثم انزل الله نصره على اهل  
الاسلام وانهم القسطنطين مدبرا ، فما انكشف الا لما اصابه من القتل والجراح ولقد  
اصابه يومئذ جراحات مكث منها حينما جرحا \* ١

تلك كانت معركة ذات الصواري التي تقاتل فيها المسلمون والروم واقتتلوا بها  
وجها لوجه حتى صبغوا لون ماء البحر بدم القتلى والجرحى . اولئك الذين كان  
المرء يحمل جثثهم ويلقيها في الساحل . تلك هي الصورة الرائعة المروعة التي بصورها  
الطبرى لتلك المعركة . وقد كانت السفن قديما تقترن بالسلاسل والحبال عند اللقاء  
يقول المقرئى \* فقرن مركب عبد الله يومئذ وهو الامير بمركب من مراكب العدو بجتر  
مركب عبد الله اليهم فقام طاقم بن يزيد القطيفي وكان مع عبد الله بن سعد في  
المركب فصرب السلسلة بسيفه فقطعها . فقال عبد الله امراته بذلتيسية ابنة حمزة  
ابن بشرج وكانت مع عبد الله يومئذ . وكان النار يغزون بنسائهم في المركب . من  
رايت اشد قتالا ؟ قالت علقمة صاحب السلسلة . وكان عبد الله قد خطب بسيسية  
الى ابيها فقال له ابن علقمة قد خطبها وله علي فيها راي ، فان تركها افضل ،  
فكلم عبد الله علقمة فتركها فتزوجها عبد الله بن سعد ثم ملك عنها عبد الله فتزوجها  
بعده علقمة بن يزيد \* ٢ اذن كان لنساء العرب حتى في المعارك البرية نصيب  
وانر في تشجيع القوم وحضهم على الاستماتة في القتال والدفاع عن بلادهم وانفسهم .  
ولم تكن نساء العرب يذهبن مع ازواجهن في الحروب البرية فقط بل كن يرافقنهم في  
الحروب البرية ايضا . وفي قول المقرئى المتقدم خبر دليل على ذلك .



وبعد ان تشتت جميع الروم هرب امبرا ورهم الى صقلية فقتله اهل تلك الجزيرة في الحمام لانه على زعمهم اهلك النصرانية واننى رجالها ١ الا ان المسلمين لم -  
يستطيعوا متابعة الروم واحراز النصر النهائي في الاستيلاء على القسطنطينية \* بل اقام  
عبد الله ذات السوارى اياما بعد هزيمة القوم ثم اقبل راجعا ٢ اما سبب رجوعه  
فيمكننا ان نعزوه الى شدة خسائر المسلمين وتعيبهم بالرغم من تغلبهم على عدوهم .  
الا ان الطبرى يروى لنا ان محمد بن ابي حذيفة ومحمد بن ابي بكر كانا يشغبان  
على عبد الله بن سعد ويحرضان الجند عليه ومظهريان معائبه ومعائب الخليفة عثمان  
ويشيران الجند صدهما . يقول الصبرى \* وجعل محمد بن ابي حذيفة يقول للرجل اما  
والله لقد تركنا خلفنا الجهاد حقا . فيقول الرجل وان جهاد ٢ فيقول عثمان بن عفان  
فعل كذا وكذا وفعل كذا وكذا حتى افسد الناس . فقدموا بلدهم . وقد افسدهم  
واظهروا من القول ما لم يكونوا ينطقون به . قال محمد بن عمر فحدثني معمر بن  
راشد عن الزهرى قال خرج محمد بن ابي حذيفة ومحمد بن ابي بكر عام خرج عبد  
الله بن سعد فاطهروا عيب عثمان وما خالف به ابا بكر ومعمر وان دم عثمان حلال ويقولان  
استعمل عبد الله بن سعد رجلا كان رسول الله صلعم اياه دمه ونزل قرآن بكفره  
واخرج رسول الله صلعم قوما وادخلهم . ونزع اصحاب رسول الله صلعم واستعمل -  
سعيد بن العاص وعبد الله بن عامر فبلغ ذلك عبد الله بن سعد فقال لا تركبا معنا  
فركبا في مركب مافيه احد من المسلمين ولقوا العدو وكانا انكل المسلمين قتالا ثقيل  
لحما في ذلك فقالا كيف نقاتل مع رجل لا ينبغي لنا ان نحكمه : عبد الله بن سعد  
واستعمله عثمان . عثمان فعل وفعل . فانسدا اهل تلك الغزاة وماها عثمان اشد  
العيب . فارسل عبد الله بن سعد اليهما ينهاهما اشد النهي وقال والله لولا  
انى لا ادرى ما يوافق امير المؤمنين لعاقبتكما وحبستكما \* ٣ .

هكذا رجع المسلمون ضائرين دون ان يتابعوا ظفرهم الى النهاية بسبب -  
الخلاف الداخلى الذى كان نائرا بينهم . وبالرغم من انهم لم يحصلوا على النتيجة  
المأمولة وهي الاستيلاء على القسطنطينية الا انهم ضربوا الاسطول الرومى الضربة -

١- الكامل ج ٣ ص ٤٦ / ٢- الطبرى الجملة الاولى ج ٥ ص ٢٨٧٠ / ٣- نفس المصدر



القاضية في بحر الروم وامروا لانفسهم السيطرة عليه . ويشبه حتي هذه المعركة بمعركة  
البرموك تلك المعركة التي فتحت للجيش العربي طريق الاستيلاء على بلاد الشام . كما  
ان معركة ذات الصواري امتدت للاسطول العربي سبيل السيطرة على شرق بحر الروم .  
وقد اختلف المؤرخون في سبب تسمية تلك المعركة بذات الصواري فالمعريزي يقول  
" قال ابو عمرو الكندي وانما سميت غزوة ذي الصواري لكثرة صواري المراكب واجتماعها"  
ويقول حتي دعيت بذلك نسبة الى المكان الذي نشبت به المعركة لانه كان غنيا بشجر  
السرو الذي يتخذ منه صواريا للمركب ٢ وهذا القول لا يخالف النصوص المتقدمة التي  
اوردها الطبري والتي يذكر فيها ذات الصواري كاسم علم لمكان معين .  
رجع المسلمون ظافرين بعد هذه المعركة ولانعين رايات النصر تخفق في ذي  
صواري المراكب . اما الروم فقد تشتتوا شذر مذر ورجعوا مدحورين خائبين لاهلهم  
على شيء وما منهم الا الغريق والجريح مغلفين وراءهم كثيرا من مراكبهم المملوءة  
بذخائرهم واموالهم واسلحتهم . وبعد مقتل الخليفة عثمان واستيلاء الامام علي <sup>عليه</sup> المنصب  
الخلافه توقف امر الاسطول من جراء المنازعات الداخلية على الحكم الى ان استقر الامر  
لمعاوية في الشام فنظم امر الاسطول وقام باعمال بحرية هامة .

## الفصل الثاني

### غزوات الاسطول في زمن الامويين

لعله يعجب القارئ عند سماع انتشار الاسطول العربي الحديث على الاسطول  
البيزنطي القديم العهد بامور الملاحة في معركة ذات الصواري السابقة الذكر . اذ  
انه من المعروف ان العرب ليست امة بحرية ولم تعاني صناعة الملاحة الا ما كان من  
بحر عرب الجنوب الذين كانوا يعملون في التجارة البحرية . الا ان دحر الاسطول  
البيزنطي بالرغم من تفوق عدده وعدده من قبل العرب الحديث العهد بامور الاساطيل  
امر يدعو الى التساؤل ! فما السبب في هذا التفوق العظيم الذي احززه العرب ؟  
وكيف استطاعت امة كالامة العربية التي طاشت في بطن البادية الوف السنين ان تكون  
امة بحرية بهذه السرعة الزائدة ؟



لا شك ان نشاط العربي وذكاءه وتعوده على شطف العيش وقسوته له اهمية كبيرة في الموضوع ولكن اذا تعمنا في البحث والدراس اكثر من ذلك نجد ان العرب بجانب استيلائهم على ساحل بلاد الشام في الفتوحات العربية الاولى قد اخضعوا الاقوام التي كانت تسكن هذا الساحل وادخلوهم تحت حكمهم وانبجلبوهم لخدمتهم ومساعدتهم في اعمالهم البحرية والاعمارية وغيرها من الاعمال يقول Von Krenner ان العرب وجدوا في اجل سورية اشهر ملاحي العالم وهم الفينيقيون المعروفون في القديم بجراتهم في الرحلات البحرية ١ ولا شك ان سكان السواحل قد اشتركوا مع العرب في غزواتهم البحرية ومساعدتهم في بناء الاسطول وتشبيده . الا انهم لم يكونوا مخلصين دائما للعرب في اعمالهم اذ انهم كثيرا ماكانوا يندرون بالخلفاء ويحرقون مراكب الاسطول كما راينا ذلك عند ذكر صناعة القوس وكما سنرى ذلك فيما بعد . وقد علل ابر خلدون عدم ركوب العرب للبحر في اول زمن الخلفاء الراشدين بقوله التالي " والسبب في ذلك ان العرب كانوا لهداوتهم لم يكونوا اول الامر مهرة في ثقافته وركوبه والروم والافرنجة لممارستهم احواله ومرباهم في التغلب على اعداءه مزونا عليه واحكموا الدرية بثقافته فلما استقر الملك للعرب وشمخ سلطانهم وصارت ام العجم خولا لهم وتحت ايدىهم ، وتقرب كل ذي صنعة اليهم بمبلغ صناعته واستخدموا من النوانية في حاجاتهم البحرية اما ، وتكررت ممارستهم للبحر وثقافته استحدثوا بصرا بها فشرخوا الى الجهاد فيه وانشوا السفن فيه والشوان وشحنوا الاساطيل بالرجال والسلاح وامطوها المعساكر والمقاتلة لمن وراء البحر من ام الكفر واختصوا بذلك من مالكم وشغورهم ماكان اقرب لهذا البحر وعلى صفاته مثل الشام وافريقية والمغرب والاندلس " ٢ ولنرى الان اهم الغزوات التي قام بها الامويون :

رتب الامويون غزواتهم في البحر صائفة وشائية كما هي الحالة في غزوات البر وكانوا يولكون هذه الدوائف والشواني الى جماعة من كبار نوادهم فيخزوا هؤلاء ثم يعودون . وهذه الغزوات هي اشبه بغارات غابتها النيب والسلب ثم الرجوع دون فتح وتوطيد حكم . وعلاوة عن المغامرات التي يأخذونها بشعرون اعداءهم بقوتهم



واستعدادهم للغزو ويظهرون حيويتهم في دوام استعدادهم للجهاد . وامثال هذا العبارات هي ما يذكرها ابن الاثير في حوادث سنة ٤٨ هـ فيقول " وغزوة مالك بن هبيرة السكوني البحر ، وغزوة عقبة بن عامر الجهني باهل مصر البحر وباهل المدينة " ١ وفي حوادث سنة ٤٩ يقول " فيها كانت غزوة يزيد بن شجرة الرهاوي في البحر فشتى باهل الشام ، وفيها كانت غزوة عقبة بن نافع في البحر فشتى باهل مصر " ٢ . وهناك نوع ثان من الغزوات البحرية كان الخلفاء الامويون يعدون لها العدة ويميزون بانفسهم لقيادتها او يرسلون احد ابنائهم او افراد عائلتهم ممن يعتمدون عليه للقيام بها . وهذه الحملات غابتها الفتح وتوعيت قدم الاسلام والعرب في تلك البلاد المفتوحة ، وكثيرا ما كان الجيش البري مشترك في العمل مع الاسطول البحري جنبا الى جنب ، في مثل هذه الفتح العظيمة كما حدث للمسلمين عند حصار القسطنطينية زمن معاوية سنة ٤٩ هـ ( ٦٦١ م ) فقد جهز هذا الخليفة الاموي جيشا كثيفا الى بلاد الروم وجعل سفبان بن عوف قائدا على هذا الجيش تحت امرة ابنه يزيد ، واصحبه بكثير من رجال العرب الكبار امثال ابن عباس ، وابن عمر ، وابن الزبير ، وابي ايوب الانصاري وعبد العزيز بن زرارة الكلبي وكثيرين غيرهم من مشاهير المسلمين . فحاصر هذا الجيش البري المسمى مدينة القسطنطينية من ناحية البر ، كما اتى الاسطول وحاصرها من ناحية البحر . يقول حتي فخر اسطول الروم لهذا اسطول العرب وكان الالتحام شديدا ما بين الاسطولين امام باب القسطنطينية ٣ ولكن هذه الحملة باءت بالفشل وذلك لفتك نيران الاغريق بسفن المسلمين ٤ وانسحاب ولي العهد يزيد بجيشه الى الشام بعد ان تركوا ابا ايوب الانصاري قتلا قرب اسوار القسطنطينية ٥

ومن امثال هذه الغزوات البحرية الهامة التي بدأت بعارة وانتهت بفتح عظيم هي غزو الاندلس التي حدثت في ايام الوليد بن عبد الملك سنة ٩٠ هـ ( ٧١١ م ) فقد ارسل والي افرقية موسى بن النضير يستأذن الخليفة بغزو بلاد الاندلس فكتب اليه " ان اختبرها بالسرايا ٥٠٠ فبعث رجلا من مواليه يقال له طريف في اربعة مائة رجل ومعهم مائة فارس . فسار في اربع سفائن . فخرى في جزيرة بالاندلس فسميت جزيرة طريف لنزوله فيها ، ثم اغار على الجزيرة الخمراء ناصب غنيمة كثيرة ورجع سالما في رمضان سنة

١- الكامل ج ٣ ص ١٩٦ / ٢- نفس المصدر ج ٢ ص ١٩٧ / ٣- تاريخ العرب ص ٢٠٢

٤- المقطف ج ٨ سنة ١٨٨١ وخطط الشام ج ٥ ص ٢٦ / ٥- الكامل ج ٢ ص ١٩٧



أحدى وتسعين ، فلما رأى الناس ذلك تسرعوا إلى الغزو ثم إن موسى دعا مولى له كان على مقدمات جيوشه يقال له طارق بن زياد فبعثه في سبعة آلاف من المسلمين أكثرهم البربر والعوالي وأقلمهم العرب فساروا في البحر وقصد إلى جبل صيف وهو متصل بالبر فتركه فسمي الجبل جبل طارق إلى اليوم . . . . . وكان حطول طارق فيه في رجب سنة اثنين وتسعين من الهجرة \* ١ وعلى يد ذاك الجبل العظيم طارق بن زياد قام فتح الاندلس ذلك القصر العظيم بموارد الواسعة وبناء العظيم الذي كان مرة متألقة في جبين البلاد العربية التي خضعت للمسلمين زمن حكم الأمويين .

ولم تكن المحاولة بفتح القسطنطينية التي جرت زمن الخليفة معاوية هي الوحيدة من نوعها بل قامت محاولات كثيرة فيما بعد أهمها محاولة سليمان بن عبد الملك بالاستيلاء على طاعنة الروم . قام هذا الحصار سنة ١٨ هـ ( ٧١٦ م ) بقيادة أخي الخليفة سليمان وهو مسلمة بن عبد الملك وكان هذا الصحرا دون ثلث أعنف حصار قام به العرب على هذه المدينة . حاصر العرب القسطنطينية من جهة البر والبحر واشتروا الأسطول الشامي مع الأسطول المصري جنبا لجنب في هذا الحصار . بناء الأسطول المصري بقيادة عمر بن حبيبة لمساعدة المسلمين وكان مزودا بأنواع النفط ٢ ولكن البلغاريين الذين استعان بهم الإمبراطور البيزنطي ليون Leo تكفوا من قهر المراكب المصرية . أغف إلى ذلك استعمال البيزنطيين للسلاسل لصد سفن المسلمين وتأثير النار اليونانية التي فتكت كثيرا بمراكب العرب ٣ ثم الخدعة التي قام بها اليون بحرق طعام الجيوش أو نقله إلى القسطنطينية والتي مرت على قائد الجيش العربي ٤ كل ذلك مع هجوم فصل الشتاء البارد الشديد وتفتي الممر في جند المسلمين سبب تقهقر العرب المسلمين من القسطنطينية ٥ بقول Theophanes وعند رجوع الأسطول العربي هبت عاصفة هوجاء اكملت عمل البيزنطيين فلم يبق للشاميين السورى سائلا من ١٨٠٠ مركب إلا خمسة مراكب فقط وبذلك تشتت الأسطول العربي ٥٦

وفي زمن هشام بن عبد الملك ( ١٠٥ - ١٢٥ هـ ) قام الجيش بن عبد الرحمن المرمي بغزو شط مهران في أرض الديلم من بلاد السند فقام حلينة لضعه وقد جمع



جموعاً من أهل الهند واستعد للحرب فصار إليه الجنيد في السفن والتقوا في بطيحة  
الشرقي ، فآخذ حليلة أسيراً وقد جنت سفينته فقتله الجنيد وفتح تلك المواقن ١  
وقد استعمل الوليد بن يزيد ( ١٢٥ - ١٢٦ هـ ) الأسود بن بلال المحاري على بحر  
السام فقدم عليه أعرايي من قومه ففرس له وأغزاه البحر فلما أصابت البدوى تلك الأهوال  
في البحر قال شعراً منه :

فلله رأي قاذني لسفينة	واخسر موار السرار بيمور
ترى متته سهلاً إذا الريح اقلعت	وإن عصفت فالسهل منه بيمور
فبا ابن بلال للضلال دعوتني	وما كان مثلي في الضلال يسير
لئن وقعت رجلاي في الأرض مرة	وحان لأصحاب السفين وكور
وسلمت من موج كان متونه	حر أريدت أركانه وثبير
لتعترفن اسمي لدى العرعر حلفة	وذلك أن كان الأباب يسير
وقد كان في حول الشربة مقعد	لديذ وعيش بالخدبث غريب ٢

هذا من جميل الشعر الذي يظهر خوف الأعرايي من ركوب البحر الذي لم بالنوا  
الركوب فيه . وأما بقول بهم صان الخلفاء وولاته للغزو فيه ويطمعهم بالمال والغنيمة  
والأعضاء . وليس هذا الأعرايي هو الوحيد الذي ذم ركوب البحر والخوف منه فلا ابن الرومي  
قصائد بديعة تصور أهوال البحر وخوفه منه منها قوله :

وأما بلا البحر خذني فانه	طواني على روع مع الريح واقب
ولو ناب عقلي لم ادخ ذكر بعصه	ولكنه من هوله غير تاسب
ولم لا ولو القبت فيه وصخرة	لواقبت منه القعر اول راسب
ولم اتعلم قط من ذي سباحة مو	ي الغور والمحموف غير مغالب
فأيسر اشفاقي من الماء انني	أمر به في الكوز من العجان سب
واخشى الردي منه على كل شارب	فكف بأمهه على كل راسب
أظن اذا هزته ريح ولا لآت	له الشمس امواجاً طوال الغوارب
كأنني أرى فيهن فرسان بهمة	يلبحون نحوي بالسيف القواضب ٣



وله قصائد أخرى في هذا المعنى تدل على شدة خوفه من البحر وحذره من  
الركوب فيه . إلا أن هذا الخوف لم يكن عند كل عربي ، بل كان عند بعض أفراد  
ومنهم ابن الرومي الذي عرف كيف ينمق قصائده في التهويل من خطر البحر والغرق  
فيه . ونجد نقيض هؤلاء أفراد مغامرين لهم جراءة حتى على اختطاف بطارقة الروم  
كالقصة التي يروونها المسموعة والتي جرت زمن الخليفة معاوية ، فقد ضرب بطريق  
من كبار بطارقة الروم أسيرا مسلما من غزاة البحر فاستعان هذا الأسير بمعاوية ، فأرسل  
الخليفة شخصا من مدينة صور تمكن من حطف البطريرك الذي ضرب الأسير المسلم  
وأتى به لمعاوية فجاء بالأسير المسلم وأتاه من البطريرك ثم أرجع البطريرك لبلاده سالما  
وكفصة الجماعة الذين يدعون بالممرورين الذين ركبوا بحر الضلالت من مدينة أشبونة  
في الأندلس ليحملوا ابن انتقام . يذكر قصتهم ابن عبد المنعم فيقول : " من ثمانية  
رجال كلهم أبناء هم اجتمعوا فابتنوا مركبا وادخلوا فيه من الماء والزاد ما يكفيهم لاشهر ،  
ثم دخلوا البحر في أول ظهيرة الريح الشريفة ، فبحروا بها نحو من إحدى عشر  
يوما فوصلوا إلى بحر غليظ العمق كدر الروائح كثير الترويض قليل الضوء فاهبطوا بالتلف -  
فردوا قلعهم في البدن الآخر ، وجروا في البحر في ناحية الجنوب اثني عشر يوما ،  
فخرجوا إلى جزيرة الغنم وفيها من الغنم ما يأخذونه ولا تحببه ، وهي أرحمة  
لأناس لها ولا راح ، فقصدوا الجزيرة ونزحوا فوجدوا عين ماء جارية عليها شجرة تين  
بر ، فآخذوا من تلك الغنم فذبحوها فوجدوا لحومها مرة لا يقدر أحد على أكلها ،  
فآخذوا من جنودها وساروا مع الجنوب اثني عشر يوما إلى أن لاحظت لهم جزيرة فنظروا  
فيها إلى عمار وحرت فقصدوا إليها ليروا ما فيها فما كان إلا غير بعد حتى أحبط  
بهم في زوارق ، فآخذوا وسلطوا إلى مدينة على صفة البحر فانزلوا بها في دار فراوا  
بها رجلا شقرا زعرا ، شعوره سبط وهم طوال القدود ولنمائهم جمال عجيب فاعتقلوا  
في بيت ثلاثة أيام ثم دحر عليهم في اليوم الرابع رجل يتكلم باللسان العربي فسألهم  
عن حالهم وفيهم جاءوا وأبى بلادهم ، فاجبروه بكل خبرهم فوجدتهم خيرا وأطعمهم أنه -  
ترجمان ، فلما كان في اليوم الثاني من ذلك اليوم أحسوا بين يدي الملك فسألهم  
عما سألهم منه الترجمان فاجبروه بما أخبروا به الترجمان أم ، وأنهم انتقموا البحر



لجروا ما فيه من العجائب ولبقوا على نهايته ، فلما علم الملك ذلك صحت وقال للترجمان اخبر القوم ان ابي امر قوما من عبيده بركوب هذا البحر وانهم جروا في عرصه شهرا الى ان انقطع عنهم الصوا وانصرفوا من غير فائدة تجدى ، ثم ردهم خيرا وعرفوا الى موضع حبسهم الى ان بدأ جرز البحر الغربية فعمر بهم زورق وعشبت حيوتهم وجرى بهم في البحر برهة من الدهر . قال القوم : قد رنا انه جرى بنا ثلاثة ايام بلبدليها حتى جئنا بنا الى البر فاخرجنا وكثفنا الى خلف وتركنا بالساحل الى ان تضاحى النهار وطلعت الشمس ونحز في مكان وسوء حال من شدة الكآبة حتى سمعنا نوحا واصوات ناس فصعدنا بهيكلتنا فاقبر القوم البيا وفوجدونا بتلك الحالة السيئة فعلوا اوثاقنا وسألونا : فاخبرناهم بخبرنا وثانوا برباب فقال لنا احدهم اتعلمون كم بينكم وبين بلدكم ؟ فقلنا لا فقال مبرقة سمعتم فقال زعيم القوم والسلي : فسمي المكان الى اليوم اسفي وهو المرسى الذي افسى المغرب \* هذه هي قدة الممرورين الذين سبقوا كبار الرحالين الذين حاولوا عبور بخر القاطعات والصلح الى البلاد التي وراءه . وان فشلوا في تحقيق الامنية التي سعى اليها الا انهم بارهقوا على رءسهم واقدامهم في خور البحر واكتشاف البلاد التي خلفه . وقد سجدوا بعظمهم هذا كولومب وماجلان وغيرهما من كبار المستكشفين الذين خاسوا البحار وهدموا انفسهم للبلاد للثقتب عن حقيقة كائفة في رؤوسهم . .

### الفصل الثالث

#### غزوات الاسطول في زمن العباسيين

عندما استلم العباسيون الحكم من الامويين نقلوا عاصمة الخلافة من دمشق الى بغداد ، فبعدت انظارهم عن بحر الروم لاعتدادهم عنه وقل الاهتمام بامر الاسطول في بحر الروم وقامت الحروب في البر بين العباسيين والبيزنطيين هور عن الحروب في البحر ، وانشقت المقاطعات في افريقية ومصر حتى والتم عن جسم الدولة العباسية واستلمت هذه المقاطعات تحت حكم الدولة العباسية اولا ، والدول المستقلة فيما بعد - امر محاربة الروم في البحر المتوسط وجزره ٢ ولذلك سنرى ان معظم الحروب البحرية التي قام بها العباسيون كانت في البحر الهندي والخليج الفارسي وليست في البحر الرومي كما الفناهني الدورين السابقين .



ففي زمن الخليفة العباسي الثاني المنصور ( ١٢٦ - ١٥٨ هـ ) تولى هشام ابن عمرو التغلبي السند ففتح ما استغلق ، وتوجه عمرو بن جمل في بوان الى نارند ففتحها وتوجه الى ناحية الهند فافتتح قشمبر فاصاب سبابا ورقبقا وفتح الملكان ودوغ الثغر واحكم اموره ١ .

ثم قام المهدي من بعد المنصور ( ١٥٨ - ١٦٩ هـ ) فوجه سنة ١٥٩ هـ عبد الملك بن شهاب المسمعي في البحر الى بلاد الهند ومرض معه الفين من اهل البصرة من جميع الاجناد واشخصهم معه واتخذ معه من المطوعة الذين كانوا يلزمون العرايطات الفا وخسمائة رجل ووجه معه قائدا من ابناء اهل الشام يقال له ابن الحباب المدحجي في سبعمائة من اهل الشام وخرج معه من ملوكة اهل البصرة باموالهم الف رجل فيهم فيما ذكر الربيع بن صبيح ، ومن الاسواريين والسبابية اربعة آلاف رجل فولى عبد الملك ابن شهاب المنذر بن محمد الجارودي الف الف الرجل المطوعة من اهل البصرة وولى ابنه نسان بن عبد الملك الف الف الرجل الدين من مرض البصرة ، وولى ابنه عبد الواحد ابن عبد الملك الف الف والخسمائة الرجل من مصوغة العرايطات ، والرد يزيد بن الحباب في اصحابه فخرجوا وكان المهدي وجه لتجهيزهم ابا القاسم محرز بن ابراهيم فمضوا بوجههم حتى اتوا مدينة بارند من بلاد الهند في سنة ١٦٠ هـ فهاهواها بعد قدومهم بيم واقاموا عليها يومين فنهضوا المنجنيز وناهضوها بجميع الالة وتحاشد الناس وحصن بمسهم بعدما بالقرآن والتذكير ففتحها الله عليهم مرة ودخلت مدينتهم من كل ناحية حتى الجوهم الى بدهم فاشغلوا فيها النيران والنفع فاحتروا منهم من احتروا وجاهد بعد المسلمين فقتلهم الله اجمعين . واستشهد من المسلمين بسعة وعشرون رجلا - واقامها الله عليهم ، وهاج البحر فلم يقدروا على ركوبه والانصراف فاقاموا الى ان يطيب فاصابهم في افواههم داء يقال له حمام قر فمات نحو من الف رجل منهم الربيع بن صبيح ثم انصرفوا لما امكنهم الانصراف حتى بلغوا ساحلا من فارس يقال له بحر حرمان فعصفت عليهم فيه الريح ليل فكسرت عامة مراكبهم فغرق منهم بعض ونجى بعض وقدوا معهم - بسبي من سبيهم فيهم بنت ملك بارند ٢ وبذلك انتهت هذه الغزوة المرفقة من الناحية الحربية والفاصلة من ان حيث النتيجة ان معظم المراكب والعسكر فقدت اما بما انتابها



من الغرق او بما اصبحت به من العزم ورجعت البقية الباقية سالمة .  
وفي سنة ١٥٩ هـ في زمن الميدين ايضا وقع حريق في السفن ببغداد عند  
قصر عيسى بن علي باحترق نال كثير واحتوت السفن بما فيها ١ وفي سنة ١٦٠ هـ غرق  
الغمر بن العباس الخثعمي بسر الشام ٢ .  
وفي زمن الصوكس ( ٢٣٢ - ٢٤٢ هـ ) نزل الروم على مياه سنة ٢٣٨ هـ وقتلوا  
بها معا كثيرا من المسلمين رجعوا الى الشام والافعال ومدوا الى تبس فاقاموا باشتومها  
ولان امير مصر بومثد عليه بن اسحاق مقيم في الشام في ذلك الحين امر الاسطول  
في مصر كما انه ركب المراكب في ماسل الشام وتحدثت بالقتال والجند ٤ . وقد  
ساعدت المراكب سنة ٢٤١ هـ الجيش الذي ذهب لحرب البجعة بقيادة محمد بن عبد  
الله الفقي اند عمل اليه الميرة في مصر قلم في جعة مراكب موفورة بالدقيق والزيت  
وانتمر والانهير والسويح واستدار بدف الميرة على تفوية جيشه وتمر البجويين وقتل ملكهم  
وفي سنة ٢٤١ هـ قوا النصارى في قارون الروم بحرا وكان على الامير الخليفة المتوكل  
وفي سنة ٢٤١ هـ حذفه المعتد ( ٢٧٩ - ٢٨٩ هـ ) احضر سنة ٢٨٧ هـ طرسوس  
فقبض عليهم منهم ثانيا وسبوا الذين شق من الخزنة وامر باحراق مراكب طرسوس وجميع  
ادنها وكان من جملتها نحر من خمسين مركبا قد بعه قد انش عليها من الاموان مالا يحصى  
ولا يحكى عمل مثلها ، فاحرق ذلك بالنار وبق في عدهم وجعل للروم ملحة عليهم .  
وكان احراقها باشارة دهبانه غلام بازمار لسيه فان في نفسه على امن طرسوس ٧ .  
وكثان للمنازعات بين العباسيين والفاطميين اذكر ماحدث من محاولات العبيديين  
في الاستيلاء على مصر زمن الخليفة المعتد ( ٢٦٥ - ٢٦٠ هـ ) وذلك ان ابا محمد  
عبيد الله العلوي الملقب بالمهدي ارسل سنة ٢٠٢ هـ جيشا من افريقية مع قائد من قواده  
بقال له حياصة الى الاسكندرية فحلب عليها وكان مسيره في البحر . ثم سار منها الى  
مصر فنزل بين مصر والاسكندرية فبلغ ذلك المعتد فارس مؤنسا للمسلمين في عسكر  
الى مصر لمحاربة حياصة وامده بالسرا والرجال فصار ايها فالتقى العمكران واقتتلوا اند

١- الطبرى الجمله الثالثة ج ٩ ص ٤٦٦ / ٢- نفس المصدر ج ٤ ص ٣ - الخطط ج ٢ ص ١٩  
٤- فتوح البلدان ج ١١٨ / ٥- نفس المصدر ج ٢٤٢ والكامل ج ٧ ص ١٧ / ٦- المقتطف ج ٨  
سنة ١٨٨٩ م ص ٢٠٦ / ٧- الكامل ج ٧ ص ١٧٢ .



قتال وسقط من الفريقين جمع كثير وجرح مثلهم ثم كان بينهم وقعة أخرى بنحوها ،  
ثم وقعة ثالثة ورابعة فانهم فيها المعاربة اصحاب العلوى وقتلوا واسروا فكان مبلغ القتلى  
سبعة الاف من الاسرى وهرب الباقون وعادوا الى الغرب . فلما وصلوا الى عبيد الله  
المهدي قتل حباسة جزا فسله ١ .

وفي سنة ٢٠١ هـ قام المهدي بمرحلة ثانية للاستيلاء على مصر فجهز جيشا كثيفا .  
مع ابنه ابي القاسم وسيرهم الى مصر فوصل الى الاسكندرية فخرج عامل المقتدر عنها  
ودخلها القائم ورجل الى مصر فدخل الجيزة وملك الاشمونيين وكثيرا من الصعيد وكتب  
الى اهل مكة يدعوهم الى الدخول في طاعته فلم يتقبلوا منه ووردت بذلك الاخبار الى  
بغداد فبعث المقتدر باند منسا الخادم وبعث في السير فوصل الى مصر وكان بينه  
وبين القائم عدة دفعات ، ووصل من افرقية ثمانون مركبا نعمة للقائم فارست بالاسكندرية  
وطيها سليمان الخادم ويعقوب الكتاني وكانا شجاعين . فامر المقتدر بالله ان يسير  
مراكبهم فصار خمسة وعشرون مركبا وفيهم النفط والعدد ومقدمها ابو البين  
فالتقت المراكب بالمراكب وانتقلوا على رشيد فغمر اصحاب مراكب المقتدر واحرقوا كثيرا من  
مراكب افرقية وخذت اكثر اهلها واسر منهم كثيرا ، وفي الاسر سليمان الخادم ويعقوب  
فقتل من الاسرى كثير واسلم كثير ، ومات سليمان بالحبس في مصر ووصل يعقوب الى  
بغداد وما عسكر التام فكان بينه وبين الموتى وقعات كثيرة وكان الشكر لموتى قلب  
حينئذ بالمعسكر ووقع الوفاة في عسكر القائم فمات منهم كثير من النار والخيول فعاد من  
سلم الى افرقية وتبسم عسكر مصر ٢ . هاتان المعركتان تدلان على تفوق الاسطول  
العباسي على اسطول الفاطميين بالرغم من وفرة مراكبهم وقلة مراكب العباسيين . وقد  
كان الشكر حليف بني العباس لسمارة البحارة الشاميين الذين كانوا يعملون بالاسطول  
العباسي . والى خبرة القائد مود الخادم الذي كان يعمل في الاسطول العباسي  
وهو يعتبر من كبار قوادهم . وفي نفس السنة ٢٠٢ هـ غزا القائد تمل في بحر الروم  
فغنم وسبي وعاد . وفي هذه السنة ايضا دخل جندي الهفواني بلاد الروم فنهسب  
وغرب واحرق وفتح وعاد فقرئت الكتب على الصابر ببغداد بذلك ٣ . وكانت هذه

١- الكامل ج ٨ ص ٢١ المختصر ج ٢ ص ٦٨ / ٢- الكامل ج ٨ ص ٢١ والمختصر ج ٢ ص ٦١

والخطاط ج ١ ص ١٧٤ / ٣- الكامل ج ٨ ص ٢٩ .



عادة الحلفاء العباسيين ان يعلنوا خبر انتصاراتهم للامة في المساجد وقد كانت  
البحرية في زمن المكتفي والقادر في اشد قوتها - اذ ان لا يميز بين " واستطاع  
العباسيون منذ اوائل القرن الرابع ان يحافظوا على حدودهم البحرية من اعتداء  
البيزنطيين وكانت اخبار الانتصارات تنقل <sup>من</sup> اقل الضيق بدمشق وفي عام ٢١٢ هـ ١٠٤  
اخذ فرمان الصليبي مدينة سالونيق ثانية من الدولة البيزنطية وهي مدينة كبيرة  
محصنة بأسوار وحصون وأبراج وأسروا من أهلها اثنين وعشرين الفا . ١

اد ان الامتيازات الداخلية مألوفة ان شئت في جسم الدولة العباسية واخذت  
الولايات تنور على الخزانة في بغداد وسمرقند والسنون . من افعال هذه الثورات  
الداخلية والتي لها عائد بالأمور البحرية ما حدث في من (الطلي ٢٢٢ - ٢٢٣ هـ)  
يقول ابن الأثير في حوادث سنة ٤٣١ هـ " سار يوسف بن وجيد صاحب عمان في مراكب  
كبيرة بريد البصرة وحارب البريدي فملك ابله ونوى قوة في بعة وقارب ان يملك البصرة  
فاشرف البريدي واحوته على الهلاك وكان له من يحرر بالزناد من البريدي هزيمة  
يوسف . فوجه الاحمار العظيم واخذ المتح زورقير فحلاهما سحفا يابسا ، ولم يعلم  
بذلك احد . وحدهما في الليل حتى قارب ابله وكانت مراكب ابن وجيد تشد بعضها  
الى بعض في الليل فتصير كالحصر . فلما انقضى الليل اشعل ذلك المتح النار في  
السفن الذي في الزورقين وارسلها مع الجزر والنار فبهما ، فاقبلا اسبح من الريح  
فوقما في تلك السفن والمراكب فاشتعلت وحترقت قلوبها واحترق من فيها ، ونهب الناس  
منها ما لا يحصى ، ومضى يوسف بن وجيد هاربا في الصحراء سنة اثنين وثلاثين وثلاثمائة  
واحسن البريدي الى ذلك العلاج " ٢

وفي سنة ٤٤١ هـ مات يوسف بن وجيد وهذا لاستيلاء على البصرة وسار من عمان  
في البحر والبر حتى وصل البصرة فحصرها ، فبلغ الخبر الى الوزير المهدي فسار من  
الاهواز مجدا في العساكر الى البصرة ، فدخلها قبل وصول يوسف اليها وشحنها بالرجال .  
وامده مع الدولة بالعساكر وما يحتل اليه ، وتنازل هو وابن وجيد اباما . ثم هزمه  
وظفر المهدي بمراكبه وما معه من سلاح ونحوه " ٣



وشكدا انشغل المسلمون في ايام الخلفاء العباسيين في محاربة بعضهم بعضا -  
والتصوا عن محاربة الروم والصليبيين وغيرهم من اعدائهم المباشرين لبلادهم . وكانت  
هذه الحروب التي تجرى فيما بينهم غابتها الاستيلاء على مقاطعة او مدينة واماقتوها  
لحكمهم كما جرى مثلا للامير اسمعيل صاحب البصرة سنة ٤١٥ هـ من طمعه بالاستيلاء  
على واسط وتجهيزه عسكريا في السفن وارتياده خائبا عنها .  
وامثال هذه الحوادث تدل على ضعف الدولة وانحلال اجزائها . الا ان الدولات  
التي قامت حول البحر المتوسط في سوريا ومصر وشمال افريقية والاندلس قد قامت مقام  
الحديقة العباسية التي ساحت في ارض حياتها وتفسد في داخلها . وساتكلم عن هذه  
هذه الدول التي نشأت عن الخلافة العباسية وانشأت قوة بحرية لنفسها .

#### الفصل الرابع

##### نزوات الاسطول في زمن الفاطميين

ان قيام الدولات المستقلة وانشقاقها عن الدولة العباسية وتأسيسها ملكا حول  
حوض البحر الرومي كان من نتائج سيطرته هذه الدولات على هذا البحر وجزره .  
وغزو بلاد الاعداء في قعر دارهم ، وفتح سبيلهم من ان تجوز هذا البحر دون استئذانهم  
يقول ابن خلدون : وكان المسلمون لعهد الدولة الاسلامية قد غلبوا على هذا البحر  
من جميع جوانبه وهضمت صولتهم وسلطانهم فيه ، فلم يكن لهم النصرانية قبل باسطيهم  
بشيء من جوانبه وامتنعوا ظهوره للفتح سائر ايامهم فكانت لهم القناعات المملوكة من الفتح  
والنشاط ، وملكوا سائر الجزائر المنقطع عن السواحل فيه مثل صيرة ومنورقة وبابسة  
وسردابيا وصفلبه وقصره ومالقة واقروبيس وقبرص واورشليم والاقلام الرومي والافرنج . . . .  
والمسلمون خلال ذلك كله قد تغلبوا على كثير من لجة هذا البحر وسارت اساطيلهم  
فيه دائية وذاهبة بالعساكر الاسلامية تجهيز البحر في الاساطيل من صقلية الى البر الكبير  
المقابل لبلاد من العدو الشمالية فتدور على بلاد الافرنج وتشتغل في مالكم ، كما وقع في  
ايام بني الحسين ملو حقلقة القاضى فندا بامير العبيديين وانحازت ام النصرانية .  
وسائر الرومانية لابعادونها اساطيلهم السطحية قد سارت على اسرها على فريسته



وقد ملأت الأكثر من بسط هذا البحر عدة وهددا واختلفت في طرقه سلما وحربا فلم  
تسمح للصراثة فيه الواح " ١ " . ويقول ميز " ولم يكن لأوربا سلطان على البحر  
الأبيض خلال القرن العاشر الميلادي فقد كان بحرا عربيا ، وكان لابد لمن يريد أن  
يقضي لنفسه فيه أمرا من أن يخطب ود العرب كما فعلت نابولي وفيته وأماللي " ٢  
تلك شهادة من العلامة بن خلدون عن قوة الاسطول العربي وسيطرته على البحر  
المتوسط ، لا سيما في زمن العبيديين . ورأى لميز عن عظمة اسطول العرب في القرن  
العاشر أي القرن الذي بدأ به الفاطميون حكمهم في شمال أفريقيا . ولترقى بصورة  
محسوسة أهم تلك الغزوات التي قام بها اسطول الفاطميين أيام حكمهم في المهدية  
ومصر .

إن معظم غزوات الفاطميين كانت موجهة لفتح جزر البحر المتوسط ولغز أوربا ومن  
هذه الغزوات اذكر مايلي :

أرسل المهدى سنة ٣٢٢ هـ اسطولا بأمره يعقوب بن اسحق لفتح جنوه واكتسح  
سردانيا واحرق مراكب العدو وفزا جنوب فرانسه ٣ . وفي السنة التالية سنة ٣٢٣ زمن  
القائم العلون اعاد الاسطول الفاطميون الكرة على مدينة جنوه وروا وقع باهل سردانية  
وهاد سالما ٤ .

وفي سنة ٣٤٤ هـ حصل خلاف بين عبد الرحمن الناصر الخليفة الاموي في  
الاندلس وبين المعز الخليفة الفاطمي . وكان سببه ان عبد الرحمن الناصر انشا مركبا  
كبيرا وسير فيه بضائع لتباع في بلاد المغرب وليعتار عنها بهجوار ومغنيات . فلقى المركب  
الاندلسي مركبا فيه رسول من صقلية أتيا بمكاتبات للمعز العلون وكانت صقلية بيد الفاطميين  
فقطع جماعة المركب الاندلسي على رسول المعز المغرب واخذوه بها معه . فبلغ ذلك  
المعز فجهز اسطولا الى الاندلس واستعمل عليه الحسن بن علي عامله على صقلية فوصل  
الى المربة واحرق جميع ما في مينائها من المراكب واخذ المركب الكبير السابق بعد هودته  
من الاسكندرية . وصعد جماعة اسطول المعز الى البر فقتلوا ونهبوا ورجعوا سالمين  
الى المهدية . ولما علم عبد الرحمن بذلك جهز اسطولا لبلاد افريقية فوصل اليها

١- المقدمة من ٢١٢ / ٢- الحضارة الاسلامية ج ٢ ص ٣٦٦ / ٣- المقتطف ج ٨ سنة  
١٨٨٩ من ٥٠٧ وتاريخ العرب من ٦١٨ / ٤- المقدمة من ٢٢٢ والمختصر ج ٢ ص ٢٨٣



نقصدهم عسكر المعز فرجهوا الى الاندلس بعد قتال جرى بينهم ١٠ .  
وعلى اثر ذلك قامت المهاجات الكتابية بعد هذا النزاع الحربي بين الخليفة  
عبد الرحمن الاموي وبين العزيز الذي خلف والده في هذا النزاع فكتب الخليفة  
الفاطمي العزيز كتابا يهجو فيه عبد الرحمن ويحجب عليه نزاعه للفاطميين . فارسل  
ذاك الخليفة الاموي جوابا على كتاب العزيز يقول فيه " هرفتنا فهجوتنا ولو هرفتنا  
لاجهنك " ٢ . وبذلك ينكر نسب الفاطميين الى السيد فاطمه ذاك النسب المشكوك  
في صحته . والذي كان موضع بحث وثقاف في تلك الايام .

وقد كان لاسطول الفاطميين في شرقي البحر الرومي اعمالا لا تقل عن اعماله  
في غربه فقد استولى الفاطميون على ساحب بلاد الشام وسقطت اكثر مواني الساحل  
بيدهم بقول حتي " وقد استولى اسطول الفاطميين القوي سنة ١٠٨٩ م على جميع  
مدن الشامي السوري فاخذ عسقلان وهما وصور حتى وصل الى بيل في الشمال " ٣  
ولما جاء الصليبيون لغزو بلاد سورية قام الفاطميون لصددهم ٤ وكان لاسطولهم  
اكبر الاثر بمساعدة المدن الساحلية بالعبدة والزخيرة يقول ابو الفداء في حوادث  
سنة ٥٠٢ . ملك الفرنج مدينة طرابلس بانهم ساروا اليها من كل جهة وحاصروها في  
البر والبحر وضابطوها من اول رمضان وكانت في يد نواب خليفة مصر العلوي وارسل  
اليها خليفة مصر اسطولا فردء الهواء ولم يقدر على الوصول الى مدينة طرابلس لبقصي  
الله امرا كان مفعولا وملكوها بالسيف ٥ وبعد اخذ طرابلس بشانية ايام تمكن  
اسطول الفاطميين من الوصول اليها ولكنه وصل متأخرا ، فارسل بساحل صور ولوقت  
الخلال في جهاتها في صور وصيدا وبيروت ٦

ولما دبر الصنف في جسم الدولة الفاطمية ضعف اسطولهم لان الاسطول كان  
يقوى ويضعف بحسب قوة الدولة وحيويتها داخليا . ومنذ ذلك الوقت نجد سيطرة  
الفرنج على شرق البحر الرومي وعلى مدن الساحل السوري والمصري . فاخذت مواني  
الشام تسقط واحدة تلو الاخرى ، وليس هناك اسطول قوي يحميها ويذب غارات الصليبيين

١- المختصر ج ٢ ص ١٠٠ / ٢- الشمالي ج ١ ص ٢٢٤ / ٣- تاريخ العرب ص ٢٢٥

٤- نفس المصدر ص ١٢٩ وخطط الشام ج ٥ ص ٤١ / ٥- المختصر ج ٢ ص ٢٢٤ / ٦- العبر



عنها . يقول ابن خلدون في ذلك " حتى اذا ادرك الدولة العبيدية الفضل والوهن وطرقها الاعتلال ، مد النصارى ايديهم الى جزائر البحر الشرقية مثل صقلية واقريطش ومالقة ، فملكوها ثم انحوا على سواحل الشام في تلك الفترة وملكوا طرابلس وعسقلان وعسور وعكا واستولوا على جميع الثغور بسواحل الشام وغلبوا على بيت المقدس ونوا عليها كتيبة لاسمار دهنهم وعبادتهم وغلبوا بني حزون على طرابلس ثم على قابس وصفاقس ووسحوا عليها الجزية ثم منكوا المهدية من ملوك المبيديين من يد اعقاب ملكين ابن زيري وكانت لهم في العانة الحاصلة الكثرة بهذا البحر وصعد شأن الاساطيل في دولة مصر والشام الى ان انقطع ولم يمتدأ بشي من امره لهذا العهد بعد ان كانت لهم به في الدية العبيدية شانه تجاوزت الحد كما هو معروف في اخبارهم فبطل رسم هذه الوجبة هالك وقبت بافريقية والمغرب فصارت مستغنية بها . . . . .

هكذا ظن ان اسطول الفاسيين وسما نجمه في الافاق لاخضعوا من جاورهم من ادم لحكمهم . ثم هوى ذاك النجم اللامع وخذ بريقه واصبح داك الاسطول الذي كان عند الفاسيين في اعمالهم الحربية . ولنرى ما قامت به الدولة الزيرية من الاعمال الحربية البحرية .

#### الفصل الخامس

##### غزوات الاسطول الهام الدولة الزيرية

حكمت الدولة الزيرية في تونس وشمال إفريقيا ما بين سنة ( ٢٦٢ - ٥٤٢ هـ ) وقد اهتمت بامر الاساطيل والغزو فيها في الجزر وفي بلاد اوريا . واشهر حاكم قام فيها بالغزو بالبحر هو يحيى بن تميم ( ٥٠١ - ٥٠٦ هـ ) قام بغزوات هامة مثل بها ريعار الدولة الزيرية ونشاطها واعلى ما بلغت من الشهرة في السنين التي حكمتها يقول ابن خلدون عنه " وكان قد صرف همه الى غزو النصارى والاساطيل البحرية ، فاستكثر منها واستبلغ في اقتنائها وردد البصير الى دار الحرب فيها حتى لقبته ام النصرانية بالجرى من وراء البحر من بلاد افريقية وجنوه وسردانية وكان له في ذلك آلدل ظاهرة غزيرة وهلك فجأة في قصره سنة تسع وخمسمائة . ٢ .



وبعد وفاته دخلت هذه الدولة في سلسلة من المنازعات بينها وبين جيرانها من الدولات الحاكمة في شمالي افريقية . وكانت هذه المنازعات دليلا على انحلال قوى الاسلام في البحر الرومي وفي الساحل الافريقي . اذ ان هذه الخصومات بين حكام المدن الافريقية جرّتهم الى الالتجاء الى الاعداء من الحكام النصارى في صقلية - وكانت قد وقعت في ابدن الفرنج - وطلب المعونة على اخوانهم من المسلمين مما حدا باولئك الاعداء الى تقوية الخلاف بينهم واثارة المنازعات وتعميق العداوات بين حكام المدن الافريقية ثم البطش بهم اخيرا والقضاء على حكمهم والسيطرة على اراضيهم . ومن ثمار هذا العداة بين حكام شمال افريقية ما وقع بين علي بن يحيى ( ٥٠٩ هـ - ٥١٥ هـ ) صاحب افريقية وبين رافع بن مكر الدنماني صاحب مدينة قابس . جهر الاول اسطولا في البحر للقضاء على حكم رافع من قابس وكان سبب ذلك مادبا تجاريا اذ ان رافع انشا مركبا بساحله ليحمل التجار في البحر ، فاعتصره علي وانف ان يكون هذا المورد لغیره وقال ( لا يكون لاحد من اهل افريقية ان ينافي في اجراء المراكب في البحر بالنصارى ) فخاب رافع من ان ينقضى عنه ذاك المورد الوافي فالتجأ الى رجاء صاحب صقلية واعتمد به وطلب مساعدته وكانت فرصة حسنة لرجاء يترقبها بفارغ الصبر فجهز اسطولا الى قابس واجتاز بالمدية نبري علي بن يحيى فوته ، فلبس علي من وقته راخى اسطوله في اثرة فوافى الجميع الى قابس فلما رأى قائد اسطول صقلية قوة اسطول علي بن يحيى وهم خروا صاحب قابس بلاشتراك مع الاسطول الصقلي - انسحب من المدينة مرتدا خائبا مما امله وحلمه من الاستيلاء على قابس فضيق اسطول علي ابن يحيى على المدينة ثم ارتد عنها الى المهدية دون ان يفتحها ٢ .

ومنذ ذاك الحين تأكد علي بن يحيى حذاء رجاء صاحب صقلية له بالرغم مما كان بينهما من الاتفاقات والهدوء وانجلت حقيقة رجاء تلك الحقيقة التي كان يداهن بها . فعذر علي بن يحيى من الافرنج وهب لتقوية اسطوله وتجديده واعداد العدة للقائه وكاتب المرابطين بمراكش للاتفاق معه على الدخول الى صقلية والقضاء على حكم الافرنج منها واعادتها للحرب . عندئذ شعر رجاء بالخسر وكف عما كان يتعمده ٣ .



وفي سنة ٥٤٢ هـ جرى في قاهر حادث كان له اسوأ التأثير على الدولة —  
 الزيرية وكان له صلة في القضاة عليها . ان رشيد صاحب قاهر توفي في هذه  
 السنة وخلف اولادا ومولى له اسمه يوسف فعمد هذا المولى الى محمد وهو اصغر  
 اولاد حاكم مدينة قاهر المتولي وولاه الحكم واخرى ولده الكبير معمر من الهلاد  
 ليستبد بنفسه في الحكم ولجيزيل تلك العقبة الكروند من وجهه وفي الحقيقة فانه حكم  
 على محمد لمصر سنة وقام باعمال دنيئة من التعرض الى حرم يده ومن جملتهم امرأة  
 من بني قرة فحبب اخوتها للثأر من يوسف وقصدوا مع معمر الذي سلب من حقه في  
 حكم الهلاد الى الحسن بن علي صاحب افرقية وشكوا اليه امر يوسف . فكانته الحسن  
 في ذلك ونهاه عما يفعله فلم يجبه وقال \* لئن لم يكف الحسن عني وا سلمت قاهر  
 الى صاحب صقلية \* ١ فجنز الحسن العسكر اليه ليؤديه فلما جمع يوسف بذلك ارسل  
 الى رجار الفرنجي صاحب صقلية وبذل له الطاعة وقال له \* اريد منك خلعة وهذا  
 بولاية قاهر لكونك نائبا عنك كما فعلت مع بني مطروح اصحاب طرابلس فسير اليه رجار  
 الخلعة والعهد فلبسها وقرا العهد بجمع الناس \* ٢ وبذلك ادخر الضعف على بني  
 قومه بطلب المساعدة من الاجنبي خذوا امته وبنوه الى مايجرى من الخدمات في الشاطيء  
 الافريقي وشجعه للاستيلاء عليه فيما بعد . فلما علم الحسن بما فعل يوسف جد  
 في السير الى قاهر وحاصرها واستولى عليها في مساعدة اهليها الذين فاضهم ما فعله  
 المولى يوسف ، واخذ يوسف هذا اسيرا وتولى عذابه معمر بن رشيد وبني قرة جزاء  
 على نكته بوهود سيده واستبداده بالحكم وخيانتة لبني قومه والتجاء الى اعدائه .  
 وبذلك قضى على تلك الفتنة التي اثارها يوسف . الا ان حادثا لم يكن بالحسبان  
 جرى للحسن واهل قاهر وهو التجاء ابن يوسف واخوه عيسى الى رجار صاحب صقلية  
 واستجارتهم به وشكواهم اليه بما لقوا من الحسن وبطشه بيوسف وعزله عن ولاية الحكم  
 التي اولاه اباها رجار . فافتم رجار هذه الفرصة وعمر اسطولا واكثر من المراكب حتى  
 بلغ مائتين وخمسين شنبيا ملوثة رجالا وسلاحا وقوة وسار نحو المدينة لفتحها واخرج  
 منها الحسن بن علي وقضى على الدولة الزيرية ٣ .



هكذا كانت خاتمة الدولة الزهرية التي كان لها جولة في البحر الرومي زمن قوة اسطولها ونشاطه . والتي ذهبت ضحية المنازعات اداخلية وغدر بعض الافراد الذين يخونون بني جلدتهم بالالتجاء الى عنصر عدو لهم وغرب عنهم .

### الفصل السادس

#### غزوات الاسطول الاندلسي

قلنا ان فتح الاندلس كان سنة ٩٢ هـ زمن الوليد بن عبد الملك الخليفة الاموي في الشام . علو يد طامه على افريقية موسى بن النضر ومولاه طارق بن زياد . وقد اهتم الاندلسيون بامر الاساطيل اهتماما زائدا ليوسعوا نفوذهم في بحر الروم ولبحر شغور بلادهم من هجمات المجوس الذين كانوا يطرقون بلادهم بين الفينة والفينة . ويوقعون باهل السواحل الاضرار والخسائر بقول المسعودي \* وقد كان قبل الثلاثمائة ورد الى الاندلس مراكب في البحر فيها الرزق من الناحية اغارت على سواحلهم ، رمى اهل الاندلس انهم ناس من المجوس تنزل اليهم في هذا البحر في كل مائتين من السنين \* ٢ . ان تعدد هجمات المجوس على سواحل بلاد الاندلس حدث بالمسعودي الى ان يجعل مجيئهم منتظما في كل مائتين من السنين . وفيما يلي ساعدده اهم غارات اولئك المجوس على بلاد الاندلس .

خرجت المجوس سنة ٢٢٠ هـ في شواطيء الاندلس البشوية زمن حكم عبد الرحمن الثاني ( ٢٠٦ - ٢٣٨ هـ ) وجرى بينهم وبين المسلمين عدة وقائع انهم فيها المسلمين ، وظلوا يقتلون بالمسلمين حتى دخلوا اشبيلية فوافتهم عساكر عبد الرحمن فضلبتهم واخذت منهم اربعة مراكب بها فيها وحرب البقية الى بلادهم ٣ . وفي سنة ٢٤٦ هـ جاء المجوس بمراكبهم الى شبه جزيرة الخضراء واحرقوا المسجد الجامع هناك واصابوا من النيب والسلب شيئا كثيرا وكان محمد بن عبد الرحمن الاموي

---

١- كان العرب يطلقون هذا الاسم على قرصان البحر الاسكتلنديين الذين كانوا يعبرون في انكلترا باسم اهل الشمال Northmen وفي فرانسه بالنورمان . كل هؤلاء كان العرب يسمونهم المجوس . تاريخ العرب ٥٢٠ / ٢ - مرجع ١ ر ١٣٧ / ٢ - المختصر ج ٢ ص ٢٦٠ .



( ٢٢٨ - ٢٧٢ هـ ) على بلاد الاندلس فارسل لهم الاسطول فلقبهم واحرق مركبين من مراكبهم واخذ مركبين آخرين وغنم ما فيهما فحرق العجول عند ذلك وجدوا في القتال لاستشهد جماعة كثيرة من المسلمين وهرب المجور لبلادهم ١ .

وفي زمن هذا الامير الامور نزل غزاة العرب الى بيوفان بموقع يدعى Camargna سنة ٢٥٦ هـ و Camargna جزيرة في نهر الرون في فرانسه . وهناك يوجد املاك لاحد المطارنة العظام وصدق ان ذاك المطران كان موجود يتعمد مزارعه عند نزول العرب ذاك الشاطيء فقبض عليه الغزاة العرب وقتلوا كثيرا من رجاله وساقوه الى احد مراكبهم ، فطلب المسيحيون فكاهة بلقديبة وجمعوا لذلك المال ، ولكن المصريين مات اثناء جمع القديبة من الرعب ، فسكت المسلمون في امره حتى قبضوا القديبة وسلموه مبتا ٢ .

وفي السنة التالية ٢٦٦ هـ امر الامير محمد باانشاء المراكب بنهر قرطبة كي يسير بها الى المحيط لياتي جليقية من ورائها . وعندما تم انشاء هذه المراكب سارت الى البحر ولكن ريحا شديدة هبت عليها فشتت شملها واغرقت اكثرها ولم ينج منها الا القدر اليسير وراح ذاك الحكم الذي كان يطمح به الامير محمد وسوال استيلاء على ذاك القطر الشمالي من يد الجلالقة ٣ .

لقام الخليفة عبد الرحمن الناصر ( ٣٠٠ - ٣٥٠ هـ ) سنة ٣٢٧ هـ لتنفيذ الخطة التي وضعها الامير محمد فنزل على جليقية وفتح سورين من اسوارها ولكن اهلها ثابوا على العرب وقتلوا منهم خلقا كثيرا ، واتحدوا مع الاسكندى واخذوا ما كان بايدي المسلمين من الثغور مما يلي الافرنجة واربونة وغيرها وذلك سنة ٣٣٠ هـ ولم يبق من ثغر للاسطول في شرق الاندلس الا ثغر طرطوشه على اجل البحر الرومي ٤ وبذلك تحضمت امال الامويين في الاستيلاء على ذاك القطر الشمالي .

وفي سنة ٥٤٢ هـ استولى الفرنج على المرة اشهر ثغور الاندلس فلما ملك ابو سعيد غرناطة جمع جيوشه وسار الى المرة ووالاه الاسطول من سبته فحاصروا المدينة برا وبحرا واستمادوها من يد الفرنج ٥ .

---

١- الكامل ج ٧ ص ٣٠ والروض ص ٢٥ والمعبرج ٤ ص ١٣٠ / ٢- تاريخ الغزوات لارسلان ص ١٥٨ / ٣- المعبرج ٤ ص ١٢١ / ٤- مروج ١ ص ٢٦٢ / ٥- الكامل ج ١١ ص ١٤٢



وقد كان اسطول الاندلس قويا ابدا قوة الدولة وتوحيدها وكان هو الغالب على  
غرب بحر الروم . فلما انقسمت الدولة الى طوائف ودول متعددة ضعف شأن الاسطول  
وقلت اهميته حتى صار المسلمون يستعينون على بعضهم بالفرن من جيرانهم يتغلب  
على ابناء ملتهم كما حدث سنة ٥٨٥ هـ من قصد ابن الرقيق مدينة شلب من مدن  
الاندلس والاستعانة بمراكب الفرن على ان يكون لهم السبي . فحاصر المدينة واستولى  
عليها واعطى ماغزم منها للفرن . وكذلك قام باسوا عمل نحو بني جنسه وملتة وترك  
للانرن اعداء ان يتسلطوا على قومه ويخربوهم فيما بعد من اعز موصى عرفوه وهو  
( الفردوس المفقود ) .

### الفصل السابع

#### غزوات الاسطول في زمن الابهيسين

لعب الاسطول ايام الابهيس دورا هاما في الدفاع عن هذه البلاد امام  
غارات الصليبيين الذين استولوا على سواحل الشام وملكوا بيت المقدس في اواخر الدولة  
الفاطمية ٢ فلما استولى السلطان صلاح الدين ( ٥٦٤ - ٥٨٩ هـ ) على زمام  
الحكم اهتم بحاربة الصليبيين واخذ على عاتقه طردهم من هذه البلاد ، فرأى بتأقيب  
نظرة ضرورة وجود اسطول بحري لمساعدته في انفاذ هذه الخطة العظيمة . فارس سنة  
٥٨٥ هـ عهد الكرم بن منفذ ابن اخي البطل الشهير اسامة بن منفذ الى امي  
يعقوب المنصور سلطان الموحدين يستعذه المعونة بانفاذ اسطول بحري ليمنع به مجي  
الصليبيين في البحر لساحل بلاد الشام وامداد اخوانهم الذين يحاربون في هذه  
البلاد ، وبعث صحبته هدية ثمينة تشتمل على مصحفين كريمين منسويين ، ومائة درهم  
من دمن البلسان وعشرين رطلا من العمود وستائة مثقال من الصابك والعنبر وخمسين  
وقفة نوسا عربية باوتارها وعشرين من النصول الهندية وسروى عدة ثقيلة ٢ وانفذ معه  
كتابا انشاء الفاضل البيهاسي يقول في افتتاحه " فتح الله لسيدنا ابواب المناجح  
والمبامن ٤٠٠٠٠٠ " ودهوه بامير المسلمين عوضا عن امير المومنين لان السلطان

١- المعجب ص ٢٠٣ / ٢- العبرج ٦ ص ٢٤٦ / ٣- نفس المصدر ج ٦ ص ٢٤٦

٤- المقدمة ص ٢١٢ .



صلاح الدين كان اهل الى اتباع العباسيين منه الى اتباع اى فئة اخرى فغصب  
النصور من ذلك ولم يجب السلطان صلاح الدين الى طلبه ١ ويقال انه جهز له  
بعد ذلك مائة وثلاثين مركبا وساعده في منع الصليبيين من سواحل الشام ٢ .  
ومهما يكن الامر فان السلطان صلاح الدين اعد لاجل ديوانا في مصر للاسطول  
واهتم بانشاء المراكب وخصر له موردا كبيرا كما مر معنا . واعتمد على نفسه في  
انشاء اسطول يستطيع به الوقوف في وجه الصليبيين . واستطاع بذلك الاسطول الذى  
انشاء ان يقوم باعمال جبارة في قتال الفرنج واعداد المدن المحصورة وغير ذلك من  
الاعمال التى ساوردها فيما يلي :

في سنة ٥٧٨ هـ عمل البرنس رينو صاحب الكرك **Reginald de Châtillon**

اسطولا في الكرك ثم حمل قطعه على جمال العرب المجاورين الى بحر القلزم ثم  
سيرها واكمل انشاءها وتأليفها وقذفها في البحر وشحنها بالمقاتلة وسيرها لفرقتين لفرقة  
انامت على حصن ابله تحميها وتضع اهلها من ورود الماء لتستولي عليها . ولفرقة  
سارت الى هذاب تفص على الحجال الدري وتذهب وتخرّب في السواحل . وقد انتهبوا  
الى بحر النعم فاحرقوا فيه نحو ستة عشر مركبا واخذوا مركبا من هذاب كان ينقل  
الحجاج ما بين هذاب وجده واخذوا ايضا في البر قافلة كبيرة آتية من قوس الى هذاب ،  
وقتلوا الجميع واخذوا مركبين كانا مقبلين بتجار من اليمن واحرقوا اضعف كثيرة على ذلك  
الساحل كانت معدة لميرة مكة والمدينة . واحداثوا حوادث شنيعة لم يسمع مثلها في  
الاسلام واعدها ومنها عادية تسد السامع شناعة وشاعة وذلك انهم كانوا عازمين على  
دخول مدينة الرسول واخراجه من السور المقدس ٣ . فشاخ الخبر حتى وصل لمصر  
وكان عليها الملك العادل اخو السلطان صلاح الدين فعمر اسطولا وشحنه بكثير من  
المسلمين على راسهم البطل العظيم حسام الدين لؤلؤ الحاجب وهو مشوي الاسطول  
بديار مصر وكان معروفا بجده ونشاطه وخبرته في الامور البحرية . فسار لؤلؤ في  
طلبهم وابتدأ بالذين على آيلة فانقض عليهم انقضاض العقاب على صيده فقاتلهم قتال  
الايغال وقتل بعضهم واسر الاخرين وسار من وقته بعد ظفروهم بقصر اثر الباقين الذين

١- المقدمة ص ٢١٣ / ٢- المبرج ج ٦ ص ٢٤٦ وابن خلكان ج ٣ ص ٢٨١ /

٣- رحلة ابن جبير ص ٢٨



فعدوا هذاب فلم يلقهم فلا نساو بقفو اثرهم فبلغ ساحل الجوزاء فادركهم هناك  
واقم بهم فما شعروا بالهزيمة وتلهدوا الهلاك خرجوا الى البر واعتصموا بهيخر  
فلك الشعب فلقهم لولو وقاتلهم اشد قتال واخذ خيلا من الاعراب هناك وقاتلهم  
طبيعا فرسانا ورجالة فقتل بهم وقتل اكثرهم واخذ الباقي اسرى وارسل بعضهم الى  
مصر لينحروا بها عقوبة على تعديهم على مجال حرم الله وعاد بالباقي الى مصر  
وقد شاهد دخولهم مصر الرحالة الاندلسي ابن جبير ووجد لنا حالتهم فقال " وذلك  
انا حللنا الاسكندرية ... اولا غابنا مجتمعنا من النار غضبا بمرور المعايبة اسرى  
من الرق ادخلوا البلد راكبين على الجمال ووجوههم الى اذناها وحولهم الطبول  
والابواب ... ٢٠٠٠ وقد اساء الفرنج بمعظم هذا الى المسلمين واثاروا حمتهم  
الدنية وتعرضوا لادق نقمة تثير عاصفتهم واحساسهم ما حدا بالسلطان لاح الدين  
المعروف بحلمه وسعة صدره ان يخلصهم بقتل البرنس رينون اذا قبر عليه وقد ابر  
بقسمه يوم حطين وقتله بيده ٣ .

وفي السنة الثانية ٥٧١ هـ سار اسطول الابرصين من مصر فلقوا بطسة في البحر  
فيها نحو ثلاثمائة من الفرنج بالسلاح التام ومعهم الاموال والسلاح الى دبح الساحل  
فقاتلهم ودمر التريقار وكان الدمار للمسلمين واخذوا الفرنج اسرى لقتلوا بعضهم  
وابقوا على البعير الاخر ونموا ماذهبهم ورجعوا بهم الى مصر ٤ .

واهتم عمل تام به اسطول الابرصين هو توينه مراني ساحل بلاد الشام بالخبره  
والاطمعة فقد حصار الصليبيين لها . وبعت الامل في قلوب المحصورين للدفاع عن  
مدنهم ومقاومة الصليبيين . بما يقومون به من الاعمال الحربية من اصطدامهم مع مراكب  
الفرنج . ثم اشترك الاسطول مع الجب البر في فتح بعض المدن الساحلية التي  
وقعت بيد الفرنج .

وفي سنة ٥٨٤ هـ حاصر السلطان صلاح الدين ميناء صور وصافتها من جهة  
البر وقاتلها قتالا طويلا الا انه لم يستطع الاستيلاء عليها الا بعد استدعاء الاسطول  
من مصر ومحاصرتة لها برا وبحرا ٥ .

١- الكامل ج ١١ ص ١٩٩ / ٢- رحلة ابن جبير ص ٢٨ / ٣- تاريخ العرب ص ٢٤٢

٤- الكامل ج ١١ ص ٢٠١ / ٥- سيرة صلاح الدين ص ٥٥ .



وقد قام رجال الاسطول بتسحيات عدة لمساعدة عكا عند حصار الفرنج لها سنة ٨٤٤ هـ من ذلك ما يرويه بن شداد بقول " وكان الفرنج خذلهم الله قد اداروا مراكبهم حول عكا حراسة لها من ان يدخلها مراكب المسلمين وكانت قد اشتدت حاجة من فيها الى الطعام والميرة فركب في بسطة ( بطسة ) بيروت جماعة من المسلمين وتزبوا بزي الفرنج حتى حلقوا لحاهم ووضعوا الخنازير على سطح البسطة بحيث ترى من بعد وطلقوا الصلبان وجاءوا قاصدين البلد من البعد حتى خالطوا مراكب العدو فخرجوا اليهم واحترصهم في الحراقات والشواني وقالوا لهم نراكم قاصدين البلد بعد ، فقالوا نحن نرد القلج الى العسكر . وقد اتى بطسة اخرى في هوائنا فاندروهم حتى يدخلوا البلد وكان وراءهم بطسة الفرنجية قد اتلفت معهم في البحر قاصدة العسكر ففتشوا فروها فقتلوه بنذرونها ، فاشتدت البطسة الاسلامية في السير واستقامت لها الرق حتى دخلت ميناء البلد وسلمت ولله الحمد . وكان فرحا عظيما فان الحاجة كانت قد اخذت من اهل البلد " ولم تكن جميع هذه المحاولات لامداد اهل عكا ناجحا فقد كان يغرق كثير من المراكب بما فيها من المسلمين او ان اصحاب هذه المراكب يغرقون سفنهم حتى لا يستولي عليها الاعداء ومثال ذلك ما يذكره ابن شداد بقول " وكان مقدمهم رجلا جيدا شجاعا مجريا في الحرب فلما رأى امارات الخلية عليهم وانهم لا يدوان بقتلوا قالا والله لا نقتل الا عن عز ولا نسلم اليهم من هذه البسة شيئا فوقفوا في البطسة من جوانبها بالمعاول فهدموها ولم يزالوا كذلك حتى فتحوها من كل جانب ابوابا فامتلأت ماء فغرق جميع من فيها من الالات والمبر وغير ذلك ولم يظفر العدو منها بشيء . وكان اسم المقدم المذكور يعقوب من رجال حلب . . . ٢ .

هذه بطولة اصهرها العرب في القديم للدفاع عن بلادهم وعدم تمكين الاجنبي من الاستيلاء عليها وهي بطولة يجب ان نقدرها ونسج على منوالها . ولا يكفي بان نفتخر بها فحسب بل يجب العمل على امادتها من جديد . لنخلق من كياننا - المتفكك وحدة جديدة قوية .



وقد كان الأيوبيون يجهزون أسطولهم ويمدون أهل عكا بالزخم من الفرنج كما حدث في هذه السنة نفسها ٥٨٤ هـ فإن السلطان صلاح الدين أمر بتجهيز أسطول مصر ليمد أهل عكا بالميرة فلما سمع الفرنج بقدمه جهزوا لأسطولاً ليلقاه ومقاتله فركب السلطان صلاح الدين في العسكر جميعها وتعبى تعبئة القتار وقصد مضائق العدو لينسفله من قصد الأسطول لينتكر من دخول عكا فلم يشتغلوا عن قصد بهشيء وكان القتال بين الفريقين برا وبحرا يقول ابن شداد " ودار النار على جانب البحر فتقوى للأسطول وأجاسا لرجالها والتقى الأسطولان في البحر والعسكران في البر واضطربت نيران الحرب واستعرت وناع كل فرس روحه وراحته الأخيرة . ورجح حياته الأبدية علم حياته الدنيوية . وجرى بين الممحلين قتال شديد انقشع عن نصرة الأسطول الإسلامي وأخذ من العدو الدواني وقتل من به ونهب جميع ما فيه وأفر من العدو — براكب أيضا كان وراء من القسطنطينية ودخل الأسطول المنصور إلى عكا . وكان قد حبه مراكب من الساحل فيها مير ودهخاتر ١٠ وعلى رأي ابن الأثير كان ذلك اليوم يوما مشهودا لم يؤمن المورخون مثله ٢ ما سبر نستدل على أن أسطول الأيوبيين كان في مصادفة مع الصليبيين تارة عافرا وأخرى مهزوما حسب وفرة مراكب الصليبيين في ساحل بلاد الشام وتلتها . ولولم يعاين العرب السلطان صلاح الدين لاستأصل شأف الصليبيين من هذه البلاد ولغزاهم في بلادهم . فانه قال من لا ين شداد " اما احكى لك شيئا في نفسي انه متى ما يسر الله تعالى فتح بقية السواحل قسمت البلاد وأوصيت وودعت وركبت هذا البحر إلى حرائرة واتبعهم فيها حتى لا ابقي على وجه الأرض من يكفر بالله أو أموت ٣ . فقد كانت فكرة الجهاد عنيدة راسخة في نفسه تدفعه لبذل كل ما يملكه في سبيل الدفاع عنها . ليس مثال القائد البطل في جميع اقواله وأعماله التي قام بها .

وبعد وفاته دخلت البلاد بمنازعات دالة واستقل كل من أولاده وأخيه بقطر من البلاد التي اخصها السلطان صلاح الدين وانحلت عن الوحدة بين هذه — الاقطار المنفصل بعضها عن بعض ، فتوقفت بذلك شوكة الصليبيين وقاموا سنة ٦١٥ هـ



للاستيلاء على مصر فحاصروا دمياط فغمر تلك البلاد الحصين وتمكنوا من قطع سلاسل الحديد المدودة في النيل وتمكنوا من ادخال مراكبهم فيه وحصار برج السلصة الذي كان يحمي دمياط ، وتمكنوا من الاستيلاء عليه بعد عدة دفاع عنيف قام به المسلمون . وكان الحاكم في مصر اذ ذاك الطغ الكامل بن الملك العادل فهدب للدفاع عن البلاد ونصب جسرا عريضا على النيل ليقوم مراكب الصليبيين من الدخول لمصر . ثم غرق عدة مراكب في النيل بعد ان اوثقها بالحجارة والريال وبذلك هزمت تقدم الصليبيين من الدخول الى داخل البلاد . ثم استولى الفرنج على دمياط بعد حصار دام ستة عشر شهرا واثنين وعشرين يوما . فبلغ قلب الكامل لاذات الخبر وارسل يستنجد الاشرف واخاه المعظم صاحب دمشق ونودي بالنفير العام في مصر فجاء الناصر من مصر الى اسوان وجميع تلك النواحي فاجتمع في القاهرة عالم لا يقيع عليه حصر ثم وصل الاشرف واجتمع بالكامل واستبشر المسلمون باجتماعهما واستقر الامر بينهما على التقدم الى خليج من النيل يعرف ببحر النحلة فسارت شواني المسلمين ومعها حراقة كبيرة الى بحر المحلة وعليها الامير بدر الدين حسين وقتلوا شواني الفرنج وحاربوهم في البر والبحر فاخذوا منهم ست شواني وجلاسة وحسة واسروا من الفرنج الفين ومائتين ثم خفر المسلمون بثلاث قطع اخرى . فتصنع الفرنج لذلك وضاق بهم المقام وانقطعت العبارة عنهم فبعثوا يطلبون الصلح . واخذت الرسائل ترد بينهم لتقرير قاعدة الصلح وبذلك المسلمون لهم تسليم بيت المقدس ومستقلان وطبريا وصيدا وجبله واللاذقية وجميع ما فتحه السلطان صلاح الدين ما عدا الكرك ليسلموا دمياط فلم يقبلوا بذلك وطلبوا ثلاثمائة الف دينار عوضا عن تخريب القديس ليعمره بها فلم يتم بينهم امر وهاد القتال لما كان عليه من الشدة . يقول ابن الاثير . وكان الفرنج لاقتدارهم في نفوسهم لم يستمحيوا معهم ما بقوتهم عدة ايام فظن منهم ان العساكر الاسلامية لا تقوم لهم وان الفرنج والسواد جميعه يبقى بايديهم يأخذون منه ما ارادوا من العبارة الامر يريد الله تعالى بهم فغير طائفة من المسلمين الى الارض التي عليها الفرنج ففجروا النيل فركب الماء اكثر تلك الارض ولم يبق للفرنج جهة يسلكون منها غير جهة واحدة فيها ضيق . فنصب الملك الكامل حينئذ الجسور



على النيل عند اشمن عبرت العساكر عليها فملك الطريق الذي يسلكه الفرنج ان ارادوا العودة الى دمياط فلم يبق لهم خلاص ١٠ وانفق في تلك الحال ان وصل مرة كبيرة للفرنج وهي مركب كبير وحوله عدة حراقات تحميه والجميع ملؤوا من العبوة والسلاح — والازودة وجميع ما يحتاجون اليه . فوقع عليها شواني المسلمين وقتلواهم قتال الابطال وقتلوا جميع المراكب واخذوها بما فيها . فلما رأى الفرنج ذلك سقط في ابلجهم وراول انهم قد ملوا التواب لفارقة دمياط في ارض بجهلونها . هذا وعسكر المسلمين محبطة بهم برمونهم بالنشاب ويحيطون على اطرافهم . فلما اشتد الامر عليهم احرقوا خيامهم ومجانيقهم وانقالتهم وحملوا على المسلمين حملة واحدة يريدون العودة الى دمياط ولكن جيش المسلمين ثبت لهم وردهم على اعقابهم خائبين فلما راوا انه — محصورين والوطل والماء والعساكر محبطة بهم قل املهم بالشفر وعولوا على التسليم واخذت الترسلات تتردد بينهم وبين المسلمين على شروط الملع . وفي اثناء ذلك اقبل جيش كبير له رهن شديد وجلبه عظيم من ناحية دمياط فتسلعت الابهين اليه وظن الفرنج ان مددا جاءهم وارسلوا يستعطفون الخبر واذا بالملك المعظم صاحب دمشق جاء من طريق دمياط بعشر خضم جرار . تسقط في ايدي الفرنج وابتقنوا بالبيضاء ويزودوا على التسليم وراولوا الملك الكامل والاشرف بذلك واستقرت — القاعدة والايمان سنة ٦١٨ هـ على تسليم دمياط بقول ابن الانبر . وانتقل ملوك الفرنج وكودهم وقمانعتهم الى الملك الكامل والاشرف رهائن على تسليم دمياط ٥٥٠ وسلموها الى المسلمين تاسع رجب المذكور وكان يوما مشهودا ٢٠ .

هكذا تم لديوبيين التغلب على الفرنج بائعادهم جميعا ومناصرة بعضهم البعض وتأذره في اخراج الصليبيين من مصر بعد ان اوغلوا في البلاد المصرية واستطار شهرهم فيها واملوا التغلب عليها . ولكن بهمة الملك الكامل ومساعدة الملك الاشرف والمعظم له تمكنوا من التغلب على ذلك العدو البخيل .

وفي سنة ٦٤٧ هـ اعاد الفرنج الكرة على دمياط في زمن السلطان الملك الناصر نجم الدين ايوب واستولوا عليها وقام بينهم وبين المسلمين قتال عنيف اشترك فيه — مراكب الطرفين . وتمكن الايوبيين اخيرا من التغلب على الصليبيين واسر ملكهم وجماعة



كثيرة من اصحابه واستردوا دمياط منهم واعادوها لنفوذ المسلمين ١ .  
ولتكرر هجمات الفرنج على دمياط واخذهم لها انفق ارباب الدولة بمصر سنة  
٦٤٨ هـ على تخريبها خوفا من سبيل الدين لها مرة اخرى فسبر الاشراف موسى بن  
الملك المسعود الفعلة والحجارين اليها وهدموا اسوارها وخربوا البلد عن آخرها  
ومحيت آثارها ٢ . وعند استيلاء الملك الناصر بيبرس البندقدار الصالحى على  
مصر سبر الى دمياط سنة ٦٥٠ هـ كثيرا من الحجارين ودمم فم بحر دمياط والقوا  
الاحجار في بحر السين الذى ينصب في شمالي دمياط في البحر الملح حتى صاق  
وتعذر دخول المراكب الكبيرة من البحر الى دمياط ، وارت البصائع تنقل الى داخل  
البلاد بواسطة مراكب بلية صغيرة ٣ ثم عبرت دمياط يوما بعد بالتدريج ورجعت ثغرا  
مهما لمصر ٤ .

اخيرا قسى على حكم الابويين في بلاد مصر والشام واعمل امر استولهم الذى  
ازدهر وتوى زمن السلطان صلاح الدين ٥ . ثم انتهت معانته بالتدريج مع انحلال  
هذه الدولة ولم يعد الى نشأته وحيويته من جديد الا عند ظهور دولة المماليك .

### الفصل الثامن

#### غزوات الاسطول في زمن المماليك

ان اسم الاعمال الحربية التي قام بها المماليك في غزو الملبيين من ساحل  
بلاد الشام وغزوهم لجزيرة قبرص ٥ . ولم ينجز المماليك العمل الاول — وهو غزو —  
الملبيين من بلاد الشام — بواسطة قوا الجيش فحسب بل استعانوا بالاسطول لدم  
جيشهم البرى حتى تمكنوا من تخليص هذه البلاد من يد الملبيين يقول امير  
الفداء عن الملك الاشرف في حوادث سنة ٦١٠ هـ مايلي ٦ : وتكاملت بهذه الفتوحات  
جميع البلاد الساحلية اللازمة وكان امرا لا يجمع فيه ولا يرام وتظهر الشام والسواحل

١- الخطط ج ١ ص ٢٢١ / ٢- نفس المصدر ج ١ ص ٢٢٣ /

٣- نفس المصدر ج ١ ص ٢٢٤ / ٤- نفس المصدر ج ١ ص ٢٢٤ .



من الفرنج بعد ان كانوا قد اخبروا على اخذ الديار الحميرة وعلى ملك دمشق وغيرها من الشام فله الحمد والمنة على ذلك \* ١ الا ان بقاء الصليبيين في بعض جزر — البحر المتوسط القريبة من ساحل الشام ومصر كان حصة في فم الممالك بنفس عيش السلاطين ويقطع على المراكب التجارية المواصلات البحرية فيما بين الثغور والمدن — الساحلية مما حدا بسلاطين الممالك للقيام بعدة محاولات لدخول تلك الاقاصي التي سكنها الصليبيون وتمركزوا فيها . واهم هذه المحاولات لفتح تلك الجزر واخذها لحاكمهم هي التي جرت زمن السلطان بيبرس الذي عمر اسطولاً سنة ٦٦١ هـ وارسله بعباده ابن مسعود لفتح جزيرة قبرص الا ان هذه الحملة باءت بالفشل وتكبد معظم ثرواني الاسطول واسر كثير من رجاله . ولما بلغ السلطان بيبرس خبر الهزيمة قال \* الحمد لله منذ ملكني الله تعالى ما خذل لي مسكرو ولا ذلت لي راية وما زلت اخشى العيب فانحمد لله تعالى بهذا ولا بنيره وامر بانشاء عشرين ثونة واحصصر خمس ثرواني كانت على مدينة قوس من صعيد مصر ٢٠٠٠٠ .

انتهت هذه المحاولة بفتح قبرص بالفشل وعمر السلطان بيبرس اسطولاً عوضاً عن الذي تكبد تكسراً لبحاره به على سواحل بلاده . وانتهى ذلك الحكم الذي كان يفكر فيه . ولما كان سلطنة الملك الناصر محمد بن قلاوون جهز سنة ٧٠٢ هـ اسطولاً اعده بالاسلح والذخيرة وعين له حلفاء من اهل بلاد الشام ونائب الامير سيف الدين كبردار المنصور انزواني للسفر بالاسطول فسر به الى سرابند واشتقت به مراكب عدده من ذاب الشعر وهاجم جزيرة ارواد من افعال قبرص بقوى انفرى \* وقالوا اهلها وقتلوا اكثرهم وملكوا في يوم الجمعة ثامن عشرين دفر واستولوا على ما فيها وهدموا — اسوارها وعادوا الى عرابند واخرجوا من الدنائم الخمس للسلطان واقتسموا ما بقي منها وكان منهم نحو مائتان وثمانون اسيراً فسر السلطان بذلك مروراً كثيراً \* ٢

اذن تنكر المسلمون من مهاجمة بعض افعال قبرص وهي جزيرة ارواد وشغروا وغنموا منها وبادوا سالعين . الا انه لم يشكوا من مهاجمة قبرص نفسها الا في زمن السلطان بارسبان فانه ارسل سنة ٨١٧ هـ اسطولاً لفتح مراكبه في عرابند ذاب الشعر القوي اجمع مجمع العزاة . يجتمعون فيه ويخربون منه للغزو ثم يعودون اليه . يقول صالح



ابن يحيى الذى كان حاضرا تلك الوقعة ومقدما على احدى الاغربة بان عدد المراكب التي غزت الجزيرة كان اربعون قلعا ومعدن انواعهم بقوله : " واجتمعوا المراكب كلها في طرابلس وهم ست محلات وعشرة اغربة كبار وصغار وست مراكب قراقرم ومركبين مخروط كبار واثنى عشر زورق وست بنوف صغار فكانوا اربعين قلعا \* ١

وصلت مراكب المسلمين الى جهة الماغوسة ونزل الجند منها الى البر فنهضوا تلك الجهة وبذل لهم ممتلك الماغوسة - وكان جنوى الامل - طاعته للسلطان وعرفهم بتبها صاحب قبرص واستعداد له لقتاله ٢ فعاد المسلمين الى مراكبهم وتوجهوا جهة الملاحة ونزل ثلاثمائة منهم الى البر في مكان يسمى رأس المعجوز فوجدوا الارض هناك خالية قفرا لا سكان ولا منازل بها . فعاد الجند الى مراكبهم . ثم جاءت تعبيرة صاحب قبرص يقول صالح بن يحيى \* وهي اثني عشر غراب ومركب كبير من الاغربة اربعة كبار وثمانية صغار \* ٣ فهاجمها اسطول المسلمين فلم تحتطع الثبات في وجهه ولجأت الى الهرب يقول صالح بن يحيى \* ثم رجعنا على تعبيرة صاحب قبرص وكان الريح علينا وهم فوق الريح كفاف مجردين للشمس بالمقاذيف ولم نقدر على لحوقهم لسرعة شبهم . ونهار الخميس فذه كشفنا عسكر المط في البر ونحن في البحر ولم نتحققه \* ٤ . وقد ارسل ملك قبرص اخاه هنري ديلوستيان مع جيش في البر وارسل التعبيرة في البحر لمحاربة المسلمين بصف صالح بن يحيى ماجرى بين الطرفين من الحروب فيقول \* وكان قد نزل من مراكبنا جماعة الى البر سياحة عريا فحضر اليهم فرقة من خيالة الفرنج الى الشط ومن طادة الفرنج لا يعرف الرمي بالقوس الطويل ولا خيالة تشيل معهم القسي فربوا المسلمين على خيالة الفرنج بالحجارة فربوهم . ثم عادوا الفرنج على المسلمين فنزلوا في البحر سياحة وصار هذا دأبهم ساعة فلما رأوا المسلمين ذلك نزلوا من اهبان شجعانهم قريبا من الف رجل امرا ومماليك سلطان ومماليك امرا جميعهم مشاة لانه تعذر عليهم سرعة نزول الخيل على القور وكان الامراء اعجل من ذلك فبادروا الى النزول مشاة وتركوا الاشتغال بالخيل لما فيه من التطويل بتقديم المراكب الى البر وفتح ابوابها ونصب السدائل ونزلوا في القوارب والشخاير فغنا



هاروا في البر فاثقلوا خيالة الفرنج مشاة وقتلوا منهم خلق وقطعوا رؤوسهم وجعلوا على اسنة رماحهم لبروها من في مراكب المسلمين . فانتهزت خيالة الفرنج بين يدي مشاة المسلمين . واما نحن في المراكب فتقدمنا الى مراكب الفرنج ورمينا عليهم بالمدايق صاعقة ورموا علينا ايضا . فبعد ذلك ساعدنا الريح عليهم ومشيينا اليهم بالقلوع فمروا منا ولم نقدر على لحوقهم لسرعة مشيهم بالعقائيد وتوقفنا نحن عن شحنتهم خوفا على السرية التي لنا في البر . ثم تقدمنا الى البر وشلنا السرية بعدما استظفروا على خيالة الفرنج \* ١

انتهى ذلك اليوم وقد هزم المسلمون فيه خيالة الفرنج في البر وهزموا مراكبهم في البحر وفي اليوم الثاني تشجع المسلمون ونزلوا ينهبون في الجزيرة وباخذون ما يجدونه من رجال ونساء وامعة بقرى صالح بن يحيى \* فلما سمعت المسلمين ذلك تباشرت بالنصر وطابت قلوبهم وتحكوا عن النهب والاسر . فصار بايديهم قريب سبعماية اسير كبير وصغير ونساء ورجال . وحصل بينهم خمس مجلات تجرها البقر عليها مدافع وسلاح احضروها لبقاثلوا بها مراكب المسلمين \* ٢ ثم توجه المسلمون بعد ذلك الى جهة اللسور فهاجبوا حشنتها وملكوه ، ونهبوا واسروا من كان فيه ، وقتلوا كثيرا من رجال ذلك الحصن ، وخربوا اقسام العلبا ورجعوا ظافرين الى دمياط فكان دخولهم لمصر دخول الفاتحين العظام ظافرين محملين بالغنائم والاسرى ٣ .

انصر امالي مصر وقاموا بالافراج والزين واشترك الجند والعمامة بهذا النصر الكبير واظهروا فرحهم وغبطتهم ، سوى السلطان بارساي الذي كان موقلا باستيلاء جنده على الجزيرة ونفعها فتحا دائما ان نظامه لم تكن تنتهي عند هذه الظواهر السطحية من الاستيلاء على بعض الغنائم والاسلاب لذلك عاد في السنة التالية وجهاز اسطولا جديدا للقضاء على نفوذ الفرنج من شرق البحر المتوسط . فامر بعمارة -

حمالتين كبيرتين في بيروت وحث متولي عمارتهما شعبان البعموري احد الحجاب بدمشق بالاسراع بانجازهما واحضارهما الى ثغر دمياط لشحنهما بالرجال والعقائيد . فساغر صالح بن يحيى في احدى هاتين الحمالتين وسافر ايضا فيهما ماينوف عن ثلاثمائة رجل



بحرية ومقاتلة الى دمياط سنة ٨٢٩ هـ ١ وندب بارسباى لهذه التجربة عددا كبيرا من امراء الامور واعيان الخاصكة واصاف اليهم بعض اعيان دمشق وغيرها وجندا غير يسير من البدو وامر بان يكون ابناء الجكمي على رأس من في البحر وتخري بردي الحمودي على قيادة من في البر وان لا يعارض احدهما الاخر ٢ . وتوجهت تلك التجربة الى جزيرة قبرص ويقول ابن تغري بردي عن عدد المراكب التي اشتركت في هذه الغزوة \* كان عدة مراكب الغزاة المصريين والظاهرية زادت على مائة قطعة وقبل ٢٠٠ وقبل اكثر او اقل ما بين افرقة وقراقير وزوايق وغير ذلك \* ٣ . اما الظاهري فيقول ان عددها كان ١٨٠ ولكنه يذكر بينها البرصانيات والحباطي والفوارب ٤ لذلك يصعب تحديد مراكب هذه التعميرة لانه اعتبار العدد عند المؤرخين بحسب اعتبار الفوارب والزوايق التي تلاحق بالاسطول فيما اذا كانت في عداد الاسطول ام انها ما يضاف اليه ولا تستحق الذكر .

خرجت مقدمة هذه التعميرة من ميناء الرشيد كطبيعة للاسطول فلقبت اربع مراكب للفرنج فاشتباك القتال بينهما . فتراموا طيلة ذلك اليوم بالنشاب واقتتلوا ايضا صبح اليوم التالي الى ان وصل بقية مراكب المسلمين فانهم مراكب الفرنج ولجوا للفرار . ثم تابع الاسطول مسيرة الى قبرص واخذ المسلمون حصن القسطنطين وانقسم الجند فرقة بالبحر واخرى بالبر . اما التي سارت بالبر فانها لقيت حاكما قبرص وكان معها ملك تلك الجزيرة فاقتتل الفريقان وانتصر المسلمون وقبضوا على الملك صدفه وهم لا يعرفونه وقتلوا اخاه في الحرب واستلوا على جزيرة قبرص يقول صالح بن يحيى \* فطلعوا الى مدينة الافقسبة *مدينه* وهي كوسى مملكة قبرص فاحرقوا دار الملك وبعض اماكن من دورها وخرّبوا قرايا كثيرة ووقع في ايديهم من الاسرى والنهب شي \* كثير ولكنهم لم يقيموا في قبرص الا ايام قلائل وعادوا الى دمياط قبل العيد ٦ . وكان دخولهم الى القاهرة في شوال سنة ٨٢٩ هـ من اعظم الايام التي مرت على مصر لما قام من

١- تاريخ بيروت ج ٢ / ٢٢٦ - النجوم ج ٦ ص ٦١٥ وتاريخ بيروت ج ٢ / ٢٢٢ - النجوم

ج ٦ ص ٦١٥ / ٢ - الظاهري ج ٢ / ٢٢٢ - النجوم ج ٦ ص ٦٠٢ /

١- تاريخ بيروت ج ٢ / ٢٢٨ .



الزمن والافراج والاعباد . وقد اعيد ملك قبرص الى ملكه بعد ان تعهد بدفع فدية قدرها مائتي الف دينار يقوم ببعضها قبل الافراج عنه وبالبعض الاخر بجيزه اذا صار ببلاده وقرر عليه غير ذلك خمسة الاف دينار تحمل الى الحرمين الشريفين مكة والمدينة وقد تحمل البنادقة في مصر وقنصلهم دفع مائة الف دينار من الفدية ١ .  
هكذا تمكن بارساي من قهر ملك قبرص وضم الجزيرة لملكه وبذلك تحقق الحلم الذي بدأ به بيبس وتم على يد بارساي . وبذلك تأمن طريق البحر لتجار المسلمين وصاروا يخذون ويرهون دون ان يعترضهم احد .

بذلك انهي كلامي عن اسطول الصاليك وعن اسطول العرب . راجيا ان اكون قد وفقت في محاولتي لعرض سيرة ذاك الاسطول الذي لعب دورا هاما في الاعمال البحرية زمن القرون الوسطى . وقد تبين لي بعد البحث عن اعمال الاسطول الحربية انه لم تكن اعماله بحالة واحدة في جميع ادواره بل كان يتطور بتطور حالة الدول من قوة وضعف . وعلى العموم فقد كان لذلك الاسطول شأنه واهميته في العصور السالفة وتغلب كثيرا على القوى البحرية المعروفة في الزمن القديم ضد الام التي عاصرت العرب . ولا شك ان هناك مجالا اوسع للبحث عن الاسطول العربي في العصور التي تطرقت اليها ، ومجالا لتكملة هذا البحث بدراسة اسطول العثمانيين والخذبويين ليكون لنا تاريخا كاملا للاسطول منذ اول نشاته الى يومنا هذا .

\*\*\*\*\*